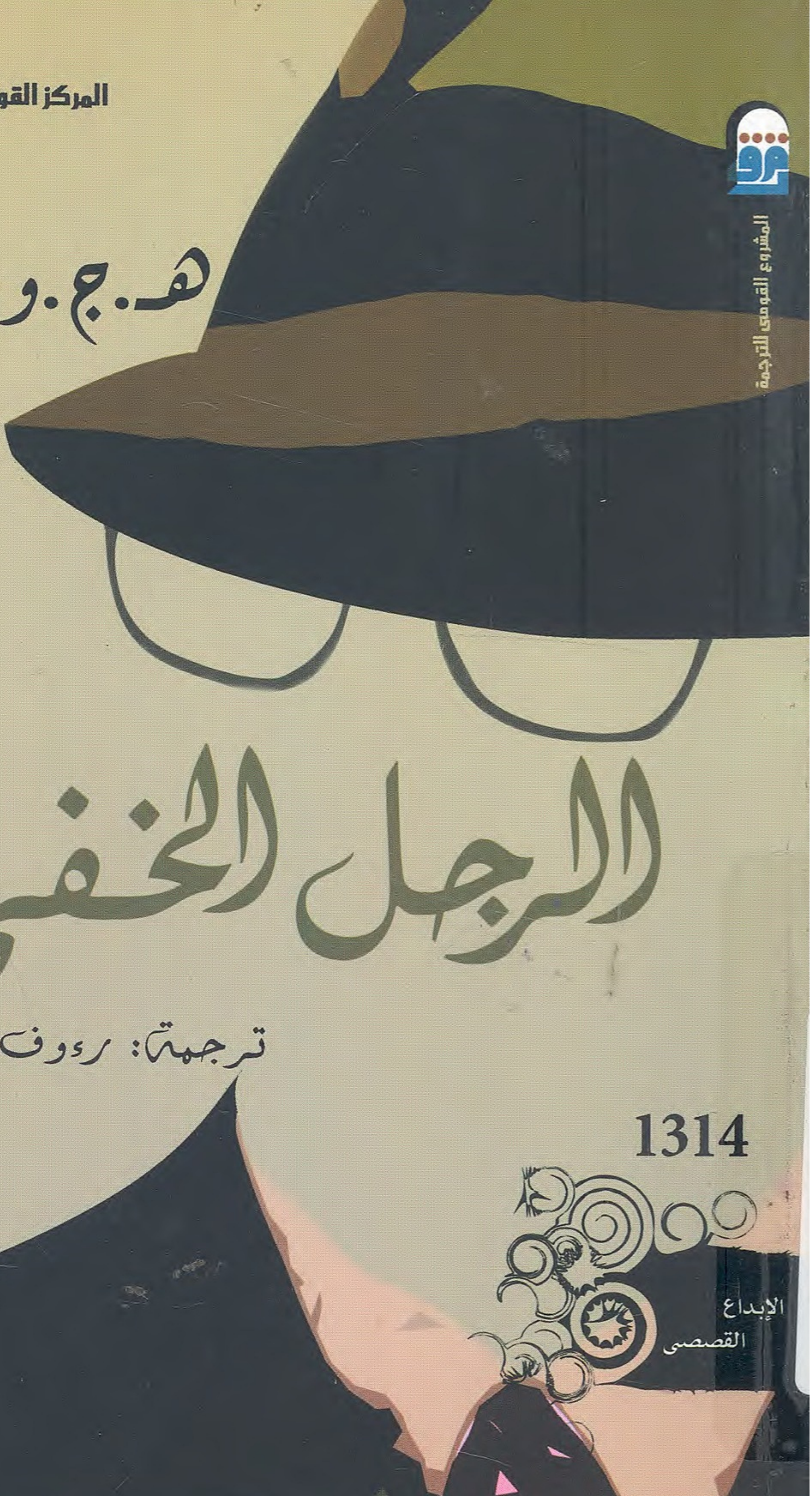
المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

هـ.ج.ويلز



الرجل الخفى

ترجمة: رءوف وصفى

1314

الإبداع القصصى

يعتقد بعض النقاد أن البناء التركيبى لرواية " الرجل الخفى " غير متوازن إلى حد ما؛ حيث تبدأ الرواية بوصول " جريفن "، وهو إنسان خفى بالفعل. وبعد سلسلة من الأحداث يقدم شرحًا مفصلا لكيفية هذا التحول. ولا يهم إن كانت وسائل " جريفن" ليجعل نفسه خفيًا، تبدو غير علمية؛ إذ إن هناك اختلافا كبيرًا بين أن تكون " شفافًا " وأن تكون "خفيًا"، فالرجل الشفاف لا يمكن ملاحظته إذا توفرت ظروف معينة، ولكن يمكن رؤيته ولو فى صورة شبح، وبالإضافة إلى ذلك فإن جهاز "جريفن" لتبييض الدم -ليجعله شفافا- قد لا يؤدى إلى رجل خفىّ، بل إلى رجل شفاف!

ولعل سبب شهرة رواية " الرجل الخفى " ترجع إلى تلك الأحداث المثيرة، التى تجيب عن السؤال... فعل الخفاء لجريفن، وما تأثيره فى الأفراد الآخ... أحداث الرواية متوازنة، ونحن لا نعرف ما... "جريفن" شريرًا أو شخصًا مُطاردًا يدافع عن... إنسانًا يستحق الكراهية أم شخصًا يستحق الش...

الرجل الخفى

(روايـــة)

المركز القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة الإبداع القصصي
المشرف على السلسلة : خيري دومة

- العدد : ١٣١٤
- الرجل الخفي (رواية)
- هـ. ج. ويلز
- رءوف وصفي
- الطبعة الأولى ٢٠٠٩

هذه ترجمة رواية :

The Invisible Man

by : H. G. Wells

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦
فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

الرجـل الخفى

(روايــة)

تـألـيــف : هـ. ج. ويلز
ترجمة وتقديم : رءوف وصفى

٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ويلز ، هـ . ج .

الرجل الخفى (رواية)/ تأليف: هـ. ج. ويلز ؛ ترجمة وتقديم : رءوف وصفى

ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٩

٢٤٠ ص ، ٢٤ سم

١ - القصص الإنجليزية

(أ) وصفى، رءوف (مترجم ومقدم)

(ب) العنوان ٨٢٣

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٢٣٧٧٠

الترقيم الدولى 977-437-990-x

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

مقدمة المترجم

"يمكن لأى شخص أن يتحدث إلى والدى، لأنه يهتم عمومًا بكل الأمور التى تدور مِنْ حوله. فالناس من جميع أنحاء العالم لا يجدون صعوبة فى مناقشة موضوعات متباينة معه".

هكذا قال (فرانك ويلز) عن أبيه المشهور فى مقابلة صحفية نشرت بمجلة "عالم نيويورك" عام ١٩٢٦.

وتعد "الشمولية العالمية"، أى المعرفة المتعددة الجوانب والبراعات العقلية فى المدى والمجال، هى المحور الأساسى لشخصية (هربرت چورچ ويلز) المولود فى إنجلترا عام ١٨٦٦.

ولا تعكس قصصه القصيرة اهتمامه الواضح بالتأمل العلمى فحسب، ولكن أيضًا بعلم الاجتماع وعلم النفس إضافة إلى المشاعر والمخاوف والطموحات الخاصة بالرجل العادى. ويتعامل الاتجاه السائد فى رواياته مع الطموحات الرومانسية، وتقدم مقالاته المتنوعة نبوءات – مستندة إلى أسس علمية – إلى جانب نواحٍ فى دراسة سلوك الإنسان الاجتماعى.

كما تنقب رواياته العلمية فى الفلسفة، حيث تحاول تفسير طبيعة الأشياء اعتماداً على أسباب منطقية، أكثر من الاستناد إلى الأساليب التجريبية. وما زال مصنفه "موجز التاريخ" يحتفظ بقوته كمجلد واحد، يؤرخ للحضارة الإنسانية.

كما أن تلك المؤلفات مثل "علم الحياة" - بالتعاون مع العالم المعروف (جوليان هكسلى) - تعزز من هدفه طويل الأجل، بجعل العلم مفهوماً للشخص العادى غير المتخصص.

وبالنسبة لطفل حساس مثل "ج. ويلز"، فقد عانى كثيراً من الشعور بالنقص والخجل طوال حياته، لأنه نشأ فى طبقة اجتماعية متواضعة. وعلى الرغم من شهرته الواسعة فيما بعد، فإنه لم ينس أصوله الاجتماعية، وكانت لديه رغبة دائمة فى أن يلقى الضوء على أنه رجل عصامى مكافح.

ومع هذا فقد كان هناك - إلى جانب العائق الاجتماعى - إحساس عميق لديه، بالتعاطف والتقارب مع الآخرين من بنى البشر، الذين لم يتمتعوا بمزايا من حيث ميلادهم فى طبقة اجتماعية راقية أو حصولهم على تعليم عالٍ.

وتزخر العديد من قصصه، بالصور الواقعية - القابلة للتصديق - عن الناس العاديين، على الرغم من تواضع الأدوار التى يلعبونها فى

أحـداث تلك القـصـص. ودرس (ويلز) العلوم لعـدة سنوات، وعـمل مدرسـًا ولكنـه تحـول إلى الصحافـة عام ١٨٩٣.

وكـان قـد تلقى دروسـه العلمـيـة على يد واحـد من أفضل علمـاء عـصـره، ألا وهـو (ت. هكسلى)، وهو جـد (ألدوس هكسلى) الكاتب المعروف. ولهذا فإن اهتمامات (ويلز) العلمية وتعاطفه مع زملائه الذين شاركوه الاعتقاد الفيكتورى الشائع عن العلم والتعليم – قد وضعت بذور عصر ذهبى جديد، كما قادته إلى أن تعبر عن تأمله العلمى على شكل قصص قصيرة وروايات ومقالات. وهكذا بدأ (ويلز) فى كتابة الرواية العلمية، فى وقت لم يكن فيه المصطلح موجوداً.

وربما كـان من الصعب على قـارئ القرن الحادى والعشرين، أن يسـتعيد الإحسـاس بالإثارة، التى كـان يشـعر بها كل من قرأ رواية "الرجل الخـفى "لأول مـرة عند نشـرها مـسلسلة فى مـجلة "بيـرسـون "الأسبوعية فى صيـف عـام ١٨٩٧، وصدورها كتـاباً فى خريف ذلك العام.

وبالنسبة إلى القارئ المعاصر، الذى يحرص على مطالعة أعمال ويلز حسب سنوات صدورها، فإنه يجد أن رواية "الرجل الخفى "ذات طاقة إبداعية غير عادية؛ إذ إن قصة "الرجل الخفى" ذات وضوح أكثر من "الزيارة الرائعـة" عام ١٨٩٦، كما تمثل تلك الرواية قدراً من التطور فى المهارة الروائية، فليس على المرء سوى أن يطالع الفقرة الأولى فى

الرواية، ليدرك على الفور أنها كتبت على يد أديب وعالم رائع، متمكن تماماً من وسائله ويملك أسلوباً فريداً مميزاً.

وبمقارنة الجمل الافتتاحية - التى تتسم بالواقعية - مع تلك التى كتبها فى قصص الخيال العلمى السابقة مثل "آلة الزمن "نجد أننا مبهورون بموهبة (ويلز) ككاتب، وهذا ما دعا النقاد إلى أن يمتدحوا رواية "الرجل الخفى "بقوة.

وتدور أحداث رواية "الرجل الخفى "داخل إطار ومواقع إنجليزية، وهى أماكن عرفها (ويلز) جيداً، منذ أن كان طالباً فى مدينة "ميد هارست ". حيث إن قرية "إيبنج "تقع على بعد نحو خمسة كيلو مترات فقط من هذه المدينة، وحوالى مئة كيلو متر من العاصمة لندن. وكان يصف هذه المناطق فى رواية "الرجل الخفى "بصورة حية ومثيرة للذهن، بتلك الصفات التى تتضمن الحدائق الواسعة والمروج، والتى لم تتغير فى معظم روايات (ويلز).

ويعتقد بعض النقاد بأن البناء التركيبى لرواية "الرجل الخفى "غير متوازن إلى حد ما، حيث تبدأ الرواية بوصول "جريفن "و هو إنسان خفىٌ بالفعل. وبعد سلسلة من الأحداث يقدم شرحاً مفصلاً لكيفية تحقيق هذا التحول. ولا يهم إن كانت وسائل (جريفن) ليجعل نفسه خفياً، تبدو غير عملية. إذ إن هناك اختلافاً كبيراً بين أن تكون "شفافاً "أو "خفياً "، فالرجل الشفاف لا يمكن ملاحظته إذا

توفرت ظروف معينة، ولكن يمكن رؤيته ولو كشبح وبالإضافة إلى ذلك فإن جهاز (جريفن) لتبييض الدم – ليجعله شفافًا – قد لا يؤدى إلى رجل خفىّ، بل إلى رجل شفاف !

ولعل سبب شهرة رواية "الرجل الخفى" ترجع إلى تلك الأحداث المثيرة، التى تجيب عن التساؤل : ماذا فعل الخفاء لجريفن، وتأثيره فى الأفراد الآخرين ؟!

وتبدأ الرواية بقدوم رجل غريب مغطى من أعلى رأسه إلى قدميه، إلى قرية صغيرة هادئة بانجلترا، فى إحدا ليالى الشتاء..

"فى باكورة أحد أيام فبراير قارسة البرودة، جاء الرجل الغريب سيرًا على الأقدام كما يبدو من محطة سكة حديد (برامبلهيرست) كانت الرياح تزمجر والثلج يتساقط بغزارة، ولا عجب فتلك آخر عاصفة ثلجية لهذا العام. كان يحمل فى يده المكسوة بقفاز سميك، حقيبة سفر صغيرة سوداء، وكان متدثرًا بالملابس من قمة رأسه إلى أخمص قدميه. كما كانت حافة قبعته المصنوعة من اللبّاد الليّن تغطى جميع وجهه ما عدا طرف أنفه اللاّمع، وكان الثلج قد تراكم على منكبيه وصدره، ومضيفًا طبقة رقيقة بيضاء، فوق سطح الحقيبة الثقيلة التى يحملها... "وعبر أحداث رواية" الرجل الخفى "يتساءل (ويلز) : ماذا يجنيه هذا الشخص الذى يمتلك القدرة على أن يصبح غير مرئى ؟! وهل هذه ميزة ؟ وكيف يمكن لرجل خفى أن يعيش فى عالم كل من حوله يخاف منه ؟ وكيف

يمكنك أن تأسر رجلاً خفيًا ؟ هل سيكون هناك أى دفاع لو تحوّل هذا الخفى إلى عدو للمجتمع كله ؟ وهل تمنحه قدرته على الخفاء، قوة خارقة فى مواجهة الآخرين ؟!..

إن فصول الرواية وتراكم الأحداث التى تصف وصول الرجل الخفى وردود فعل القرويين والمناخ القاسى فى تلك الفترة من العام، قد سردها (ويلز) بشكل ينم عن قوة الملاحظة والقدرة على الإقناع لدرجة أن الشك الأوّلى لمفهوم الإختفاء - ذاك الأمر العجيب غير المألوف - سرعان ما يتلاشى فى ذهن القارئ. إذا إن اللمسة "السحرية "للكاتب تجعل من الصعب الشك فى حقيقة الرجل الخفىّ. كما أنه من المستحيل الشك فى وجود آلة الزمن - الرواية التى كتبها (ويلز) عام ١٨٩٥ - و"الكافوريت "، المادة المضادة للجاذبية والتى تضمنتها أحداث رواية "أول بشر فوق القمر "عام ١٩٠١ . ولم يتخطَّ أحد قدرة (ويلز) فى إزالة الشك الذى قد ينتاب القارئ عن طريق وضع أحداث غير عاديةّ فى إطار يومى. كما يتميز (ويلز) بالشرح الدقيق لسلوكيات شخوص روايته، وإضفاء الحيوية عليها بحيث تبدو - فى ذهن القارئ - وكأنها تنبض بالحياة.

"... ولم تسمع السيدة (هول) بقية الحديث، إذ أغلق الباب دونها. وظلت بعدئذ عشر دقائق، تسمع فى داخل الحجرة حديثا خافتا لم تتبينه يدور بينهما، أعقبتـه صيحة دهشه، ووقع أقدام مسرعة وسقوط مقعد

وصوت ضحكة صاخبة، ثم وقع أقدام تتجه مسرعة نحو الباب، وظهر (كوس) ممتقع الوجه وأخذ يحدق بعينيْن زائغتيْن إلى خلف من وراء كتفيْه. وترك الباب مفتوحاً وراءه، واجتاز الردهة بخطوات سريعة ونزل الدرج دون أن ينظرإلى السيدة (هول)... "

كما نجد أن صورة السيد (توماس مارفل) تعد واحدة من أكثر شخصيات (ويلز) تشبّهًا بشخصياتِ (تشارلز ديكنز) (١٨١٢ – ١٨٧٠م)، خاصة عندما كان يتسلي بقراءة كتب الرجل الخفيّ – التى استولى عليها – أثناء تمتعه بتدخين الغليون، لذا فإن (ويلز) يحقق تأثيراته بطريقة هزليّة يتفوق فيها دائمًا.

لقد أصبح (ويلز) فى سنواته الأخيرة متشائمًا على نحو متزايد، ذلك أن الأحداث في هذا الوقت، أظهرت أن زيادة معرفة القراءة والكتابة، لا تساوى التعليم من أجل معيشة أفضل لأفراد المجتمع.

لذا نجد فى رواية "شكل الأشياء القادمة "و التى نشرت فى عام ١٩٣٦، حربًا قد نشبت عام ١٩٣٩، لتستمر وتزيد من حدة الأمور، على الرغم من زيادة التقدم العلمى والتكنولوجى. إذ استخدام العلم والتكنولوجيا فى الحرب، حتى دمرت حضارة العالم وأصبح البشر – الباقين على قيد الحياة – يعيشون فى الظروف التى سادت فى العصور الوسطى.

لقد عاش (ويلز) ليرى تقدمات علمية وتكنولوجية مذهلة، أكثر مما كان يتخيل، ولكنه عاصر أيضًا حربًا مروعة لم تدمر فقط دول العالم، ولكنها قضت أيضا على الكتّاب المشهورين الذين لم يعودوا يكتبون عن المدينة الفاضلة ومستقبل العالم المزدهر، بسبب حالة اليأس التى أصابتهم.

لذا فإن إحدى رواياته الأخيرة والتى تحمل اسم "لاعب الكروكيت" هى عبارة عن حكاية مرعبة عن القوى الشيطانية داخل الإنسان، والتى قد تهيمن عليه وتتحكم فى كل سلوكياته، وقد عاش كاتبها حتى عام ١٩٤٦، وبعدها لم يكتب أية رواية – لينهى بها تاريخه الأدبى – تحمل بين طياتها أى بوادر أمل.

ولأن الرؤى الخاصة (ويلز)، أخذت – على نحو متزايد – شكلا وثيق الصلة بالعالم الحقيقى، وأن الطول الهائل لهذه الرؤى يستلزم تطويرًا أكثر لمعانيها – فقد تبنى (ويلز) وجهة النظر التى مفادها أن الجنس البشرى هو الضحية المدانة، للقوى غير المتحكم بها. إن اليأس الرؤيوى من جانب والمثالية الرؤيوية من جانب آخر، يظهران للعيان تناقضا واضحًا، ولكنه غالبًا ما يكون – فى روايات (ويلز) – تناقضًا مقبولاً.

لذا فإننا نجد فى رواية "جزيرة دكتور مورو "عام ١٨٩٦، أن الصراع غير واضح بالصورة الكافية التى تؤدى إلى ضرر.

وتخلق الرواية جواً رائعًا من الاستخدام الممتع - والتهكمى فى نفس الوقت - فى علم الأساطير.

ويعد نموذج (ويلز) الرئيسى هنا، مشابها للكتاب الرابع من "رحلات جلفر" للكاتب (جوناثان سويفت) (١٦٦٧-١٧٤٥ م)، الذى يترك الإنسان حائراً بين جنسين خرافيين هما : "الهويهنهنمس" الذين يحكّمون العقل دائما و"الياهو" الوحشيين بالكامل، ويذكرنا هذا بجنس "المورلوك" و جنس "الألوى"، فى رواية "آلة الزمن"، وبنظرة أكثر عمقًا، نجد أن رواية "الرجل الخفى" تمتلك قيمة إقناعية واضحة، أكثر من رواية "الدكتور مورو".. فشخصيتها المركزية هى عالم، ولكنه ليس مثاليًا، ومغامراته عبر كل فصول الرواية أقل تعقيداً، لأنها قصة ميلودرامية، حيث تعتمد على الأحداث أكثر من الشخصيات، ويتم شرح المواقف الغريبة غير المألوفة عن طريق الإثارة وأحيانا الكوميديا.

ويحاول الرجل الخفى أن يستخدم قدرته على الخفاء، ليحول نفسه إلى ديكتاتور يحكم فى جو من الرعب، ولكن هدفه غير المثالى - فى إعلان الحرب على المجتمع - يتركه غير مأسوف عليه.

لذا نجده فى أوقات معينة، شريراً ومخيفًا، فى حين يبدو لنا - فى أوقات أخرى - مثيراً للشفقة أو حتى مضحكًا إلى حد ما. كما يتضح - منذ البداية - أن فكرته بأن العلم سيجعله حراً هى فكرة خاطئة؛ إذ بعد أن حدث له ذلك التحوّل إلى الخفاء، نجده يخرج إلى

العالم مبتهجًا ولديه أفكار رائعة عن المستقبل، ولكنه سرعان ما يتعثر ويتصادم مع الناس، بل يرتجف من برودة الطقس وهطول الأمطار، ويتألم من الأرض الخشنة التى يسير عليها حافى القدمين. ثم يطارده كلب ضالّ كما يتعقبه العامة، عن طريق آثار أقدامه بالإضافة إلى أنه غير قادر على أن يتناول طعامه أمام الناس. ويعود إلى المجتمع بارتداء ملابس مهرجى السيرك، قام بسرقتها من متجر لبيع الملابس والديكورات المسرحية.

وبمجرد أن يصبح (جريفن) رجلا خفيًا فأنه يصبح أقل وضوحًا مما كان عليه فى السابق كشخص أمهق(*)، كما أنه لا يستطيع أن يموت كبطل، ولكنه يطلب الرحمة – مع آخر أنفاسه – من الناس الذين كانوا يحيطون به.

إن ثورة (جريفن) ضد الظلم والمعوقات الأخرى فى المجتمع، اصطدمت مع فقدان تعاطف الآخرين معه، مما منعه من تطوير ثورته، من أجل تأكيد ذاته، على الرغم من وجود دافع ما، يحرك اصراره الرهيب على تحدى وهزيمتة العالم حوله وإنْ كانت كل محاولاته – عبر أحداث الرواية – تعد مثيرة بشكل لافت.

(*) شخص لبنى البشرة، أبيض الشعر قرنفلى العينين. (المترجم)

وبالمثل فإن تجرد مسافر الزمن من الوجود المادى وانطلاقه إلى المستقبل، وكذلك تخفى (جريفن)، تعبران عن عزلة مروّعة، ليس فقط عن الطبيعة، ولكن أيضًا عن عوائق المجتمع. وبعد موت الرجل الخفى، يبدأ جسده فى الظهور تدريجيًا، "مثل الانتشار البطىء للسم. وكان (جريفن) قد استخدام سم "الإستركنين "كمادة منشطة.

وثمة شخصية أخرى فى رواية "الرجل الخفى "، هو الطبيب (كمب) الذى، يرى أن استخدام "الإستركنين "هو نوع من الاستسلام لأسوأ عناصر الطبيعة الإنسانية، وقال عنه "إنه الشيطان بذاته ! معبئًا فى زجاجة ! "

كان (كمب) زميل دراسة للرجل الخفى (جريفن)، وتعد كراهيته لاستخدام "الإستركنين" مساويًا لامتناع (بريندك)(**) عن تناول المشروبات الكحولية، كما أن (كمب) يشبه (بريندك) فى كونه عالمًا جيداً، لديه استعداد دائم لتحمل المسئولية. ولكنه كان أكثر صراحة من (بريندك) فى التعبير عن العالم الفاسد الذى يعارضه.

وعند معرفتنا الأولية بالطبيب (كمب) نراه يحملق فى النجوم – فى حلم يقظة – متأملاً الظروف المستقبلية وأبعاد الزمان، ويظهر هذا صلته

(*) إدوارد بريندك بطل رواية "جزيرة الدكتور مورو". (المترجم)

العقلية بالرجل الخفى (جريفن) الذى أخذ يحملق أيضًا فى النجوم – مستشرفًا آفاق المستقبل – عندما أدرك للمرة الأولى، أنه قادر على أن يجعل نفسه خفيًا.

ويتذكر (جريفن) هذا الأمر، بعدما أجبره جرح – إثر إصابته برصاصة – على اللجوء إلى منزل (كمب). إن حنين الرجل الخفى إلى المغامرات – والذى يشرح أحداث الجزء الأول من الرواية، ويعدنا لمواجهته للنهاية – يحرك شيئًا ما داخلنا ليشد انتباهنا إلى وجهة نظره، ولكن تصرفاته الهوجاء أحيانا ضد من يحاول القبض عليه واعتراضات (كمب) تستثير عطفنا.

وفى حين كان يبدو (جريفن) مدرسًا بسيطًا يرتدى ملابس متواضعة ويعمل فى كلية ريفية، نجد أن (كمب) كان شخصًا محترمًا وثريًا، لديه منزل كبير وخدم ودخل خاص به. لذا فهو لم يكن يعرف شيئا عن المتشردين، ومن ثم كان متحجر القلب.

فنجده حينما يقدم مقعدًا لجريفن، فإنه لا يرأف به، ولكن يفعل ذلك ليجلسه، حتى لا يتمكن من رؤية رجال الشرطة وهم فى طريقهم إلى منزل (كمب).

إن خيانة (كمب) لجريفن وإساءته للثقة المتبادلة بينهما تتمثل فى إبلاغ الشرطة عن كيفية مضايقته باستمرار، يثير تعاطفنا مع الهارب

الخفى، ولكن ذلك - مع تتابع أحداث الرواية - يتبدد مع الأخبار التى تقول إن (جريفن) قد كسر ساق أحد الأطفال، حينما أسقطه من فوق الحصان عندما اندفع هارباً من منزل (كمب).

إن أحداث الرواية متوازنة بعناية شديدة، ومن ثم فإننا غير متأكدين من اعتبار (جريفن) شريراً أو شخصا مُطارداً يدافع عن نفسه، إنساناً يستحق الكراهية أم شخصاً يستحق الشفقة.

وبعد أن انتهت تهديدات (جريفن) للمجتمع بمجرد موته، فإن الكتب التى تحوى سر التخفى، أصبحت فى حوزة متشرد أفّاق، كان قد رافقه (جريفن) لمساعدته، وهو السيد (مارفل) على طلبات المجتمع منه، ولكن ليس بالتصرف بعنف. وعن طريق استغلال ما تبقى من ثروة (جريفن) التى سرقها، قام بفتح حانة تدعى "الرجل الخفى" تمكنه من التربح بالقصة الغريبة للرجل الخفى.

وعلى الرغم من أن الطبيب (كمب) أيضاً، كان يرغب فى امتلاك هذه الكتب، فإنه يتمكن من الحصول عليها.

وهكذا يتركنا (ويلز) فى النهاية وفى ذهننا فكرة، أن المعرفة الجديدة، قد تُوجّه إلى عالم غير معد لقبولها.

رءوف وصفى

الفصل الأول

وصول الرجل الغريب

فى باكورة أحد أيام فبراير قارسة البرودة جاء الرجل الغريب سيرًا على الأقدام كما يبدو من محطة سكة جديد "برامبلهيرست" ، حيث كانت الريح تزمجر والثلج يتساقط بغزارة ، ولا عجب فتلك آخر عاصفة ثلجية لهذا العام .

كان يحمل فى يده المكسوة بقفاز سميك حقيبة سفر صغيرة سوداء ، وكان متدثرًا بالملابس من قمة رأسه إلى أخمص قدميه . كما كانت حافة قبعته المصنوعة من اللباد اللين تغطى جميع وجهه ماعدا طرف أنفه اللامع ، وكان الثلج قد تراكم على منكبيه وصدره ، ومضيفًا طبقة رقيقة بيضاء ، فوق سطح الحقيبة الثقيلة التى يحملها .

دلف إلى فندق "العربة والجياد" مترنحًا ، وهو أدنى إلى الموت منه إلى الحياة ، ثم ألقى بحقيبته على الأرض وصاح : " أريد نارًا للتدفئة ، أناشدكم بما أودع من رحمة فى قلوب البشر ، أن تهبونى غرفة ومدفأة "

وعند البار دق الأرض بعنف بقدمه ، فتساقط الثلج عن جسمه ، ثم تبع السيدة "هول" - صاحبة الفندق - إلى قاعة الاستقبال ليتفقا على الأجر ، وإثر تلك المقدمة وقبوله السريع لشروطها ، فقد اتفق معها على استئجار غرفة ، وقذف لها بجنيهين فوق المنضدة ، وهكذا أصبح نزيلاً في الفندق .

وبعد أن أشعلت السيدة (هول) نار المدفأة له ، تركته هناك وذهبت لتعد له وجبة من الطعام بنفسها ، ذلك أن نزول ضيف في بلدة "إيبنج" في فصل الشتاء ، كان من المصادفات السعيدة التي لم يسمع بها الناس من قبل ، ناهيك عن انه لم يشأ مساومتها على أجر الغرفة ومن ثم قذفت بمهارتها كلها لكي تثبت لنفسها أنها جديرة بما منحت من حظ سعيد .

وبمجرد أن وضعت قطعة اللحم المملح والمقدد في إناء للطهي فوق الموقد ، طلبت من مساعدتها الكسولة (ميللى) أن توليها اهتمامها ، بعد أن أسمعتها بعض عبارات الازدراء المنتقاة بعناية ، جعلتها تتحرك من مكانها بنشاط . وحملت السيدة (هول) غطاء المائدة والصحاف والأكواب إلى حجرة جلوس صغيرة ، وراحت تعد المائدة ببراعة فائقة تستحق الثناء .

وعلى الرغم من أن نيران المدفأة كانت تتوهج بشدة ، فقد تملكتها الدهشة حينما شاهدت زائرها لا يزال يلتحف معطفه وقبعته ، وأنه

يوليها ظهره غير مهتم بها ويحدق النظر من النافذة إلى الثلج المتساقط في الفناء الخارجي .

كان عاقداً يديه المقفّزتين(*) خلف ظهره ، وبدا أنه غارق في التفكير ، ولاحظت السيدة (هول) أن الثلوج التي مازالت متناثرة على كتفيه قد ذاب البعض منها ، وتقطرت على السجادة .

قالت له : " سيدي ! هل أتناول معطفك وقبعتك وأجففهما جيداً في المطبخ ؟ " فأجابها دون أن يلتفت إليها : " كلا " .

لم تكن على يقين من أنها سمعت منه جوابا ، وأوشكت أن تعيد عليه سؤالها من جديد ، غير انه أدار لها رأسه ، ونظر إليها من فوق كتفه، وقال لها بحزم : " أفضل ألا أخلعهما " .

ولاحظت وقتئذ انه يرتدي نظارة كبيرة ذات زجاج أزرق تعكس أضواء جانبية ، وأن له سوالف كثة مرسلة حتى ياقة معطفه ، تخفي معالم وجهه تماماً .

فأجابت : " حسن جداً يا سيدي ، شأنك وما تريد وسوف يزداد دفء الحجرة بعد قليل ".

(*) المكسوتان بالقفاز (المترجم) .

لم يرد الرجل على قولها ، بل أشاح بوجهه عنها من جديد ولم يعرها أى اهتمام ، شعرت السيدة (هول) بأن حديثها لم يكن فى الوقت المناسب ، فعجلت بوضع ما بقى معها على المائدة ، ثم انطلقت بحركة سريعة رشيقة خارجة من الحجرة .

وعندما عادت من جديد ، كان لا يزال واقفًا فى مكانه ، كأنما هو تمثال من الصخر ، محنى الظهر رافعًا ياقة معطفه إلى أعلى ، وحافة قبعته - التى قطر منها الماء - والمدلاة إلى أسفل ، بحيث تخفى وجهه وأذنيه بالكامل .

فوضعت البيض وقطع اللحم المقدد على المائدة بشىء من الجلبة ، وقالت له بصوت أقرب إلى الصياح منه إلى الحديث : " سيدى ! لقد جئت إليك بالطعام " .

قال لتوه : " شكرًا لك " ولم يتحرك إلا وهى توصد الباب خلفها ، وعندئذ استدار حول نفسه وسار نحو المائدة . وبينما كانت السيدة (هول) تتجاوز البار فى طريقها إلى المطبخ ، سمعت صوتًا يتكرر على فواصل منتظمة (تشرك ... تشرك .. تشرك) بدا لها كصوت ملعقة تدور بسرعة فى حوض صغير . قالت " يالهذه الفتاة !عجبًا ! لقد كدت أن أنسى أنها تتأخر دائمًا" .

وبينما أنهت بنفسها خلط "المستردة"، انهالت باللوم علـى (ميللى) وراحت تلقى على الفتاة بعض كلماتها اللاذعة لبطئها الشديد وكسلها المتزايد . فقد قامت السيدة (هول) بإنضاج اللحم والبيض ، وأعدت المائدة وفعلت كل شيء ، أما (ميللى) فلم تفعل شيئًا سوى تأخير عمل الالسيددة ! ولمن ؟ لنزيل جديد تود أن تبقيه في فندقها أطول مدة ممكنة . ثم ملأت برطمان المستردة ووضعته بعناية وذوق ، على صينية شاى باللونين الذهبى والأسود ، وحملتها إلى حجرة الجلوس . دقت السيدة (هول) على الباب ثم دلفت إلى الحجرة على الفور ، دون أن تنتظر الإذن بالدخول . وبمجرد أن دخلت تحرك ضيفها بسرعة ، حتى أنها لم تلمح منه إلا شيئًا أبيض يختفى تحت المائدة . وبدا وكأنه يلتقط شيئًا وقع منه على الأرض . وضعت الإناء بعنف على المائدة . وعندئذ لاحظت أن الرجل الغريب قد خلع معطفه وقبعته ، ونشرهما على مقعد أمام المدفأة ، التى كاد سياجها أن يصدأ من حذاء الرجل ذى الرقبة الرطب الذى وضعه بالقرب منه.

ذهبت في تصميم إلى تلك الأشياء ، وحينئذ سألته بصوت رقيق لا يحتمل الرفض :

" أظن أن بإمكانى الآن أن أخذ المعطف والقبعة لتجفيفهما " .

قال ضيفها بصوت مكتوم : " اتركى القبعة " .

وعندما استدارت رأته وقد رفع رأسه وأخذ يتطلع إليها .. ووقفت لحظة تفغر فاها وقد غلبتها الدهشة وهى تشخص إليه ، فعقدت لسانها . كان ممسكًا بقطعة قماش أبيض - عبارة عن فوطة أحضرها معه - يحجب بها الجزء الأسفل من وجهه ، ويغطى بها فمه وفكيه فيخفيهما تماماً ، ولهذا السبب بدا صوته مكتوماً . بيد أن ذلك لم يكن سبب دهشتها ، فالذى روعها فجأة هو أن كل جبهة الرجل الغريب ، فوق النظارة الزرقاء ، مغطاة بضمادة بيضاء ، وكذلك كانت أذناه . ولم يكن يبدو من وجهه كله إلا أنفه المستدق ذو اللون الأحمر الوردى ، الذى بقى لامعًا وبراقًا كما شاهدته أول مرة عند قدومه . كان يرتدى سترة بنية داكنة من المخمل ، لها ياقة سوداء مبطنة بالكتان ، مرفوعة إلى أعلى حول عنقه .

ولاحظت السيدة (هول) أن خصلات من شعره الأسود الغزير ، كانت تبرز عند تقاطع الضمادتين وماتحتهما ، فبدت كأنها آثار ذيول وقرون ، خلعت عليه منظراً بالغ الغرابة لا يمكن تصوره !!

وكان هذا الرأس الذى تحيط به الضمادتان ، والفم المكمم ، لا يشبه فى شىء ما كانت تتوقعه ، مما دعا السيدة (هول) إلى أن تحدق إليه مليًا . ولم يرفع الرجل الفوطة البيضاء عن وجهه ، بل ظل واضعًا يديه المقفزتين عليها ، وهو يشخص إليها هى عبر منظاره

الأزرق الغامض ، وقال لها بصوت بالغ الوضوح من خلال القماش الأبيض : " دعى القبعة " .

وأخذت تشعر بأنها أقل خوفًا عن ذى قبل ، بعد الصدمة التى تلقتها ، فأعادت وضع القبعة إلى مكانها فوق المقعد بجانب المدفأة وقالت : " لم أكن أدرى ياسيدى أن ... " وتوقفت عن الكلام وهى مرتبكة . قال باقتضاب : " أشكرك" ونقل بصره عنها إلى الباب ثم إليها مرة أخرى .

قالت : " سأجففها جيداً فى الحال ياسيدى" .

وحملت ثيابه وخرجت بها من الحجرة . وقبل خروجها ، تطلعت إلى رأسه المحاط بالضمادات ونظارته الزرقاء ، وكانت الفوطة البيضاء لا تزال تغطى وجهه ، واعترتها رعدة خفيفة وهى توصد باب الحجرة خلفها ، وكانت سمات الدهشة والحيرة مرتسمة على وجهها إلى أقصى حد ، وهمست قائلة : " إننى طوال حياتى ، لم أر مثل هذا الشيء هنا " وتسللت إلى المطبخ فى خفة ، وكانت مشغولة البال لدرجة أنها لم تسأل (ميللى) عما كانت تفعله وقتئذ .

استوى الزائر جالساً يصغى إلى وقع أقدامها وهى تبتعد ، وألقى نظرة فاحصة صوب النافذة ، قبل أن يبعد الفوطة عن فمه ويستأنف الأكل من جديد . ملأ فمه بالطعام ، ونظر ثانية فى ارتياب إلى النافذة ،

ثم ملأ فمه مرة أخرى . نهض من على مقعده ، وتناول الفوطة البيضاء في يده وسار عبر الحجرة ، ثم أسدل الستار إلى أعلى قماش "الموسلين"(*) الأبيض الذى يغطى الألواح الزجاجية السفلى للنافذة ، فغرقت الحجرة في ضوء شاحب كضوء الشفق، وعاد بعدئذ إلى المائدة وطعامه ، وهو أسعد حالاً مما كان عليه من قبل .

قالت السيدة (هول) لنفسها : " لا ريب أن هذا الرجل المسكين وقعت له حادثة ، أو أجريت له عملية جراحية أو أصابه شيء ما ، لشد ما روعتني تلك الضمادات ! "

وضعت في المدفأة المزيد من الفحم وفردت منشر الغسيل ونشرت عليه معطف الزائر . وعادت تحدث نفسها : ".. ثم ماهذه النظارة الكبيرة ؟ إنه يبدو كمخلوق عجيب وليس كآدمي!" ثم علقت الوشاح الذى كان يلفه حول رقبته ، في أحد أركان المنشر ، واسترسلت : " وهذه الفوطة التى يمسكها باستمرار فوق فمه ، ويتحدث من خلالها ! لعل فمه قد أصيب أيضاً .. من يدرى ؟ "

ثم التفتت كمن تذكرت شيئًا ما بغتة ، وصاحت وهى تندفع إلى المطبخ : " يا إله السماوات! ألم تنتهى بعد يا (ميللى) من طهى هذه البطاطس المحمرة ؟ "

(*) نسيج قطنى رقيق (المترجم) .

ولما عادت السيدة (هول) لترفع الصحاف الفارغة وأدوات المائدة ، تأكد ظنها بأن فمه قد أصيب هو الآخر ، أو تشوه فى الحادث الذى تصورت أنه وقع له . فعلى الرغم من انه كان يدخن غليونه طوال الوقت الذى مكث فيه بالحجرة ، إلا أنه لم يترك أبداً الوشاح الحريرى الذى كان يغطى به الجزء الأسفل من فمه ، حتى يتمكن من وضع مبسم الغليون بين شفتيه . وكانت واثقة من انه يدخن لتصاعد الدخان بغزارة وتكاثفه فى جو الغرفة .

كان جالساً مولياً ظهره إلى ستار النافذة ، وقتئذ أخذ يتحدث وقد خفت لهجته القاسية المختصرة التى بدت منه فى أول الأمر ، بعد أن أكل وشرب وأحس بالدفء والراحة .

وكانت ألسنة لهب المدفأة المتوهجة ، تنعكس على نظارته الضخمة ، فتكسبها شكلاً جديداً محمر اللون .

قال : " لقد تركت بعض الأمتعة والحقائب فى محطة (برامبلهيرست) " وسألها عن كيفية إحضارها إليه ، ثم أحنى لها رأسه المضمدة تقديراً لشرحها .

قال : " غداً ! ألا توجد وسيلة أسرع ؟ " وبدا مخيب الأمل عندما أجابته : " بلى " إذ كانت متأكدة أن ما من شخص يركب عربة خفيفة ، يريد أن يذهب إلى محطة السكك الحديد . ولم تلجأ السيدة " هول "

للمواربة ، لكى تجيب عنّ أسئلته وتفتح باب الحوار معه ، عندما سألها عن العربة الخفيفة ، وقالت : " إن الطريق وعر للوصول إلى محطة السكك الحديدية ياسيدى " .. ثم انتهزت أول فرصة وأردفت " .. وقد انقلبت عربة هناك منذ عام أو أكثر ، فقتل السائق وشخص كان يجلس بجواره .. إن الحوادث ياسيدى تقع فجأة فى غمضة عين ، أليس كذلك ؟ " .

لكن الزائد لم يكن من النوع الذى يسهل الإيقاع به ، وقال من خلال الفوطة ، وهو يحدجها بثبات من وراء نظارته التى لا يمكن رؤية ما وراءها : "هذا صحيح" .

واستطردت السيدة (هول) : " ولكن يمضى وقت طويل على الإنسان حتى يبرأ مما أصابه ، أليس كذلك ياسيدى ؟ وقد حدث أن أصيب ذراع ابن أختى (توم) بعد أن سقط فوق منجل فى حقل الدريس وظل متدثراً بالضمادات ثلاثة أشهر طويلة ، رحماك اللهم ! ولعلك لا تصدقنى إن قلت إننى أمقت كل المناجل بعد هذا الحادث ! " .

رد عليها الزائر قائلاً : " هذا أمر يسهل علىّ فهمه " .

قالت السيدة (هول) : " كان يخشى فى وقت ما أن يضطر إلى إجراء جراحة له ، لقد كانت حالته بالغة السوء ياسيدى " .

فجأة انفجر الزائر ضاحكًا ، وكانت ضحكة أشبه بالنباح ، سرعان ما كتمها وقال : " هل ساءت حالته إلى هذا الحد ؟ " .

أجابته قائلة : " نعم ياسيدى ، لقد كان فى أسوأ حال . ولست أرى داعيًا للضحك . وقد قمت بواجب العناية به ، إذ كانت أختى مرهقة ومشغولة للغاية بأولادها الصغار . وكان على أن أربط له الضمادات وأحلّها بنفسى ، لذا فهل بإمكانى ياسيدى أن أسألك .. " قاطعها الزائر بغتة بقوله : "هل تستطيعين إحضار بعض أعواد الثقاب، لقد انطفأ غليونى؟" سكتت السيدة (هول) فجأة ، إذ شعرت بفظاظة الرجل وقسوته ، عندما قاطعها بهذه الخشونة ، بعد أن أفضت إليه بكل ما فعلته ، حدقت فيه لبرهة ، ولكنها تذكرت الجنيهين ، فذهبت لإحضار أعواد الثقاب .

وبعد أن وضعتها على المائدة ، قال لها بعبارة جافة : " أشكرك " .

ثم أدار كتفيه عنها واتجه صوب النافذة وأخذ يحدق من خلالها من جديد ، ففهمت انه لا يريد التحدث عن العمليات والضمادات . شعرت بالإحباط من تصرفه . ولم تجرؤ على فتح هذا الموضوع على الإطلاق ، غير أن أسلوبه الفظ ضايقها مثلما ضايقتها (ميللى) فى عصر ذلك اليوم .

وظل الزائر فى حجرة الجلوس حتى الساعة الرابعة ، دون أن يهيىء لأى شخص حجة ليتطفل عليه . وكان معظم هذا الوقت ساكنًا إلى حد بعيد . ويبدو أنه ارتاح لمرأى الظلمة وهى تغشي الحجرة وتتكاثف ، فظل جالسًا يدخن غليونه على ضوء النيران المتوهجة من المدفأة ، وربما غلبه النعاس .

ولو حدث أن شخصًا ما محبا للاستطلاع أرهف السمع قليلاً على باب حجرة الجلوس لوصل إلى أذنيه صوت خطواته وهو يروح ويغدو بجوار المدفأة كل خمس دقائق ، ولاح انه يتحدث إلى نفسه ، ثم سمع صرير المقعد ذى المسندين إذ عاد الرجل وجلس عليه من جديد .

الفصل الثانى

الانطباعات الأولى للسيد (تيدى هنفرى)

فى الساعة الرابعة عندما كادت الدنيا أن تظلم ، كانت السيدة (هول) تستجمع شجاعتها لتمضى إلى حجرة الجلوس وتسأل زائرها عما إذا كان يريد بعض الشاى . وفى هذه الأثناء ، جاء السيد (تيدى هنفرى) مصلّح الساعات إلى بار الفندق ، وبادرها قائلاً :

"ياللسموات ! يا سيدة (هول) إن الجو مروّع لاسيما لمن يرتدى حذاء ذى رقبة رقيق الجلد!" وكان الثلج يتساقط فى الخارج بسرعة متزايدة . أمّنت السيدة (هول) على قوله ، ولاحظت انه كان يحمل حقيبة فوانتتها فكرة رائعة ، وقالت له :

" الآن وقد جئت يا سيد (تيدى) ، كم أكون مغتبطة لو ألقيت نظرة على الساعة العتيقة التى فى حجرة الجلوس ، إنها تسير وتدق دقات عالية قوية ، ولكن عقرب الساعات لا يتحرك أبداً عن السادسة " .

ثم مضت أمامه تتقدمه ، عبر الردهة إلى حجرة الجلوس، حيث طرقت الباب ودلفت إلى الداخل . فلما فتحت الباب ، وجدت ضيفها قابعًا فى المقعد ذى المسندين أمام المدفأة يصطلى بنارها ، وخيل إليها انه يغط فى نوم هادئ . وكان رأسه المضمد مائلاً إلى كتفه . ولم يكن ثمة ضوء فى الحجرة إلا وهج النار الأحمر - الذى أضاء عينيه مثل الإشارات الضوئية للسكك الحديدية، وبصيص من الضوء الذى ولج من باب الحجرة المفتوح . وكان الجزء الأسفل من وجه الرجل الغريب مغموراً بالظلال .

وتراءى لها أن كل شىء من حولها ، ضارب إلى الحمرة ، وظلّى ويكتنفه الغموض ، وإزداد هذا الشعور لديها بعد أن انبهرت عيناها عندما أضاءت مصباح البار ، ولم تكن قد اعتادت الظلام بعد . وخيل إليها لحظة قصيرة أن للرجل الذى تنظر إليه فماً مفغوراً بالغ الاتساع . فمًا عجيباً كبير الحجم حتى لكأنه يبتلع الجزء الأسفل من وجهه .

وتملكها هذا الإحساس الغريب لحظة : الرأس الأبيض المحاط بالضمادات والعوينات الضخمة المخيفة ، ثم تلك الفجوة الهائلة تحتهما . حينئذ تحرك الرجل وشرع فى النهوض من مقعده ومد يده . فتحت السيدة (هول) الباب على مصراعيه ، فازدادت الحجرة ضياء ، وعندئذ أمكنها أن تراه فى وضوح أكثر من ذى قبل ، كان لايزال ممسكًا بالفوطة أمام وجهه كما رأته من قبل ، وبدا لها أن الظلال خدعتها وصورت لها أشياء غريبة .

تمالكت نفسها من الصدمة الخاطفة وقالت : " أتسمح سيدى ! أن هذا الرجل جاء ليتفحص الساعة ! " .

تساءل الزائر بصوته المكتوم الذى يأتى من وراء الفوطة ، وهو يحملق حوله فى كسل النائم : " يفحص الساعة ؟ " .. ثم أفاق لنفسه بغتة ، وقال : " ... بكل تأكيد " .

خرجت السيدة (هول) لتأتى بمصباح ، انتصب الرجل الغريب واقفًا وتثاءب ثم تمطى وجاء الضوء ودخل إلى الحجرة السيد (تيدى هنفرى) ، الذى ارتاع رؤية الرجل المضمد الوجه . وكما قال هو نفسه : " فزعت من منظره " .

حيَّاه الرجل الغريب بينما كان يحدق فيه : " عم مساء" . وعلى حد قول السيد (هنفرى) فيما بعد ، وقد أثاره منظر العوينات الداكنة : " كان يبدو مثل السرطان البحرى "! .

قال السيد (هنفرى) : " أرجو ألا يضايقك وجودى " .

رد الرجل الغريب قائلاً : " كلا على الإطلاق ، على الرغم من أننى فهمت .. " ثم التفت إلى السيدة (هول) وأردف : " إن هذه الغرفة لاستخدامى الشخصى بالفعل " .

قالت السيدة (هول) : " لقد ظننت ياسيدى أنك تفضل أن ساعة الحائط المعطلة " وأوشكت أن تكمل " .. يتم إصلاحها " قاطعها الرجل

الغريب : " بالطبع ... بالطبع . ولكن أفضل عادة أن أكون وحيداً وألا يزعجنى أحد .. " وعندما لاحظ تردداً فى سلوك السيد (هنفرى) وأنه يوشك على الاعتذار والانسحاب من الحجرة ، استطرد قائلاً : " الواقع انه مما يسعدنى أن يصلح شخص ماهذه الساعة ، بل إننى ممتن للغاية " وكانت هذه العبارة هى التى أعادت الطمأنينة إلى السيد (هنفرى) لكى يؤدى عمله .

ثم التفت الرجل الغريب وأدار ظهره نحو المدفأة وعقد يديه خلفه وقال :

" حينما تنتهى عملية إصلاح الساعة ، أرجو أن تعدى لى قدحاً من الشاى ، ولا تأتى به إلا بعد أن تنتهى عملية الإصلاح " .

عندما كانت السيدة (هول) على وشك مغادرة الحجرة – دون أن تحاول هذه المرة التفوه بمقدمات لحديث مع الزائر؛ خشية أن يجيبها بغلظة أمام السيد (هنفرى) – حينما استوقفها الغريب ليسألها عما فعلت بخصوص إحضار حقائبه وأمتعته التى تركها فى محطة سكة حديد "برامبلهيرست" . فأجابت بأنها دبرت الأمر مع ساعى البريد ، وطلبت منه أن يوصى أحد الحمالين بأن يأتى بها فى الغد .

فسألها : " هل أنت على يقين من أن الغد هو أقرب وقت ممكن لإحضارها ؟ "فأجابته ببرود واضح ، بأنها واثقة من ذلك ، حينئذ قال :

" يجب أن أوضح لك ما كنت عاجزًا عن إيضاحه من قبل ، بسبب ما كنت أعانيه من شدة البرد والتعب . وهو أننى عالم تجريبى " ردت السيدة (هول) عليه وقد تأثرت بعمق : " حقًا ياسيدى".

وواصل حديثه قائلاً : " وحقائبى وأمتعتى تحتوى على معدات وتجهيزات ".

قالت السيدة (هول) : " لاشك أنها أشياء مفيدة لك ياسيدى " .

فاستطرد قائلاً : " وأنا بالطبع حريص على استكمال أبحاثى بهذه المعدات والتجهيزات" .

قالت : " بالطبع ياسيدى" .

أكمل حديثه بتؤدة وبلهجة قاطعة : " وما جئت إلى قرية (إيبنج) إلا لرغبتى فى أن أكون وحيداً وألا يزعجنى أحد أثناء عملى ، وبالإضافة إلى هذا فقد وقعت لى حادثة .. " همست السيدة (هول) تحدث نفسها : " هذا ما اعتقدته" .

استطرد الرجل الغريب قائلاً : " .. اضطرتنى هذه الحادثة إلى العزلة ، كما أشهر أحياناً بضعف وألم شديدين فى ناظرى ، مما يحملنى على أن أحبس نفسى ساعات متواصلة فى الظلام موصداً على الباب . ويكون هذا من حين إلى آخر . ولكن بالتأكيد ليس فى الوقت الحاضر . وأثناء مثل هذه الأزمات ، فإن أقل إزعاج يحدث كدخول

إنسان غريب إلى حجرتى ، يقلقنى كثيراً، ويحسن أن تكون هذه الأمور مفهومة للجميع " .

قالت السيدة (هول) : "بالطبع ياسيدى ، وهل أجرؤ على أن أسأل .. "

قال الرجل الغريب بلهجته القاطعة الهادئة : " أعتقد أن هذا هو كل شىء " .

لزمت السيدة (هول) الصمت محتفظة بسؤالها ومشاركتها الوجدانية لمناسبة أفضل .

وبعد أن غادرت الحجرة ، ظل الرجل الغريب واقفًا أمام المدفأة يحدق فى الساعة، بينما يقوم السيد (هنفرى) بإصلاحها . ولم يكتف بخلع مؤشرات الساعة وإطارها بل وانتزع أيضًا معداتها الداخلية ، وكان يحاول أن يؤدى عملية الإصلاح بهدوء وبروّية دون أى إزعاج للآخرين وكان يزاول عمله واضعًا مصباحًا على مقربة منه ، وكان ضوؤه الأخضر يتألق على يديه وعلى إطار الساعة وتروسها ، أما بقية الحجرة فكانت تكتنفها الظلال .

وعندما رفع السيد (هنفرى) بصره عن الساعة ، كانت ثمة رقع ملونة تسبح أمام عينيه . وبسبب طبيعته المحبة للاستطلاع ، فقد قام باستخراج تروس الساعة – وهو إجراء غير ضرورى لعملية الإصلاح –

وذلك بهدف تأخير رحيله واحتمال أن يتجاذب أطراف الحديث مع الرجل الغريب . إلا أن الرجل الغريب ظل واقفًا في مكانه ساكنًا وصامتًا لا ينطق بكلمة ، وكان سكونه بالغًا إلى الحد الذى أثار أعصاب السيد (هنفرى) ، الذى أحس بأنه في الحجرة وحده ، فرفع رأسه متطلعًا ، فوقعت عيناه على الرأس الرمادية المظلمة المضمدة والعوينات الزرقاء الضخمة التى تحدق فى ثبات ، وثمة ضباب رقيق من النقاط الخضراء التى تنساب أمامها . وكان هذا المشهد بالغ الغرابة لم يألفه السيد (هنفرى) ، ومن ثم ظل الرجلان يحدق كل منهما فى الآخر لبرهة بنظرات بلهاء، ثم خفض السيد (هنفرى) بصره من جديد . يا له من موقف بالغ الغرابة ! لا بد أن يقول أحدهما شيئًا ما ليبدد الصمت . هل يبدى ملاحظة بأن الجو أشد برودة من المعتاد فى ذلك الوقت من السنة ؟

التفت إلى الرجل الغريب وقد عزم على أن يحقق هدفه ، وابتدره قائلاً :

" إنّ حالة الجو ... " .

حينئذ قاطعه الشبح الجامد وقد تملكته ثورة غضب عارمة : " لم لا تنجز عملك وتذهب ؟ كل ما عليك فعله هو تثبيت عقرب الساعات على محوره . إنك تتعمد إضاعة الوقت والخداع "

قال السيد (هنفرى): "معذرة ياسيدى ! بكل تأكيد سأنتهى بعد دقيقة واحدة . لقد أغفلت..".

وفرغ من إصلاح الساعة وغادر حجرة الجلوس على الفور . ولكنه عند خروجه كان مضطرباً ومنفعلاً بشدة . غمغم السيد (هنفرى) لنفسه بينما كان يسير مجهداً فى شوارع القرية والثلوج تتساقط عليه : " اللعنة ! يجب على الإنسان أن يصلح الساعة أحياناً بسرعة " . ثم أردف : " .. ألا يمكن للمرء أن يرى وجهك ؟ أيها الدميم ! " وعاد يحدث نفسه للمرة الثالثة : ".. لا أظن ذلك ! لوكان رجال الشرطة يجدّون فى البحث عنك ، فلن تفعل خيراً من أن تتدثر وتحيط نفسك بالضمادات ، أكثر مما أنت " .

رأى السيد (هول) عند منعطف شارع "جليسون" ، وكان قد تزوج من عهد قريب بصاحبة فندق "العربة والجياد" . وكانت وظيفته قيادة عربة نقل من قرية "إينبج" إلى توصيلة "سيدر بريدج" ، وكان السيد (هول) عائداً وقتئذ من هذا المكان الأخير ، فابتدره قائلاً كيف حالك ياتيدى؟"

قال السيد (هنفرى) : " لقد جاءكم نزيل غريب فى الفندق " .

تساءل السيد (هول) وهو رجل اجتماعى : " ما الذى تقوله ؟ " أجابه السيد (هنفرى) : " لقد هبط فندق العربة والجياد نزيل ذو هيئة غريبة ! يا إلهى كم هو بشع ! " .

ثم واصل حديثه ليعطي (هول) وصفًا دقيقًا ومفعمًا بالحيوية لزائره البشع : " .. يبدو وكأنه متنكرًا ، إن الأمر يبدو على هذا النحو ! إنني أصرّ على أن أرى وجه الشخص الذى يرغب فى الإقامة بمنزلى . ولكن النساء يثقن فى الغرباء . لقد استأجر غرفة بفندقكم دون أن يذكر حتى اسمه " .

رد عليه (هول) وكان يبتسم ببلادة التفكير : " إلى هذا الحد " .

قال (هنفرى) : " أجل وسيظل بالفندق لمدة أسبوع . ومهما كان من أمره ، فلن تستطيع التخلص منه قبل أسبوع على الأقل . وقد قال الرجل إن لديه حقائب وأمتعة عديدة ، ستصله غداً . دعنا نأمل ألا تكون مليئة بالأحجار ! " .

وأبلغ (هول) كيف أن عمته التى تقطن بمدينة "هاستنجز" ، قد خدعها غريب يحمل حقيبة سفر فارغة . وعلى الرغم من رحيل (هنفرى) إلا أن (هول) كان يتنابه شك غامض ، وقال يخاطب حصانه : " هيا أيها العجوز.! سأرى ما يكون من أمر هذا الرجل الغريب" .

أخذ (هنفرى) يسير بتثاقل، وقد شعر بالارتياح وبثقة بعد أن نفّس عن قلبه بحديثه مع (هول) عن الزائر العجيب . وبدلاً من أن يرى (هول)

مـا يكون من أمـر هذا الرجل ، فـإنه تعـرض بمجـرد عـودته إلى توبيخ غـاضب من زوجـتـه ، بسـبب الوقـت الطـويل الذى قـضـاه فى "سيدربريدج" . ومن ثم لم يتمكن من إيجاد إجابات دقيقة لما كان يعتمل فى نفسه من أسئلة . ولكن بذور الشك التى زرعها (هنفرى) بحديثه ، أخـذت تنمـو بطريقـة مبهـمـة ، على الرغم من كل هذه التثبيطات . فقد قال أخيراً للسـيدة (هـول): " إن النســاء لا يعرفن كل شىء " .

وكان عاقداً العزم على أن يتثبت من شخصية الزائر الغامض فى أقرب فرصة ممكنة . وحينما آوى الرجل الغريب إلى فراشه فى الساعة التاسعة والنصف ، ذهب (هول) بتصميم عدوانى مـاكر ، إلى حجرة الجلوس ، وأخذ ينعم النظر فى أثاثها الذى تمتلكه زوجته ، كى يطمئن من أن الرجل الغريب لم يبسط سلطانه على الفندق . ثم أمسك بورقة تركها الغريب مدّون عليها معادلات رياضية، وأخذ يتفحصها عن كثب وبشىء من الإزدراء .

وعندما آوى (هول) إلى فراشه ، طلب من زوجته أن تفحص بدقـة حقـائب وأمتعة الزائر الغريب عندما تأتى فى الغد ، فأجابته قائلة : " عليك أن تعنى بأمـورك يا (هول) ، وسوف أعتنى أنا بأمورى " .

وكانت تعتقد فى قرارة نفسها بأنها لم تشهد فى حياتها رجلاً بهذه الهيئة ، ونامت وهى تفكر فيه . وعند منتصف الليل استيقظت فجأة بعد

أن رأت فيما يرى النائم رؤوسًا بيضاء هائلة كنبات اللفت مثبتة على أعناق طويلة ، تتوسطها عيون سوداء ضخمة تحدق فيها . ولكنها كانت امرأة عاقلة ، ومن ثم فقد نزعت الخوف من قلبها ، وانقلبت على جنبها الآخر وخلدت إلى النوم من جديد .

الفصل الثالث

ألف قنينة وقنينة

وهكذا حدث فى التاسع من شهر فبراير فى بداية الجو الدافئ ، أن جاء هذا الرجل الغريب من مكان مجهول إلى قرية (إيبنج) . وفى اليوم التالى ، حملت إليه أمتعته عبر الوحل الجليدى ، وكانت تسترعى الانتباه ، وهى عبارة عن صندوقين عاديين مما قد يحتاجه أى إنسان مثقف ، بالإضافة إلى صندوق مملوء بالكتب الضخمة والسميكة ، وكان البعض منها عبارة عن مخطوطات من العسير قراءة الخط المكتوب به . واثنى عشر قفصًا للشحن وصندوقًا وحقيبة أو أكثر ، مملوءة بأشياء محاطة بعيدان القش . وخيل إلى (هول) – وقد انتابه فضول لحظى بسبب وجود القش – أنها قنينات من الزجاج . وخرج الغريب نافد الصبر متدثراً بقبعته وسترته وقفازيه والأربطة التى تغطى رأسه ، ليقابل عربة (فيرنسايد) ، بينما كان (هول) يتحدث بعض الحديث توطئة للمساعدة فى نقل الأمتعة إلى داخل الفندق .

تقدم الغريب إلى الخارج دون أن يفطن لوجود الكلب بجانب عربة (فيرنسايد) ، الذى أخذ يشم ويتمسح بساقى (هول) وصاح بهما : " هيّا أحضرا هذه الصناديق ، فقد انتظرت بما فيه الكفاية " .

ثم هبط الدرجات متجها إلى مؤخرة العربة، وكأنه يريد أن يأخذ أصغر أقفاص الشحن . ولكن ما أن أبصره الكلب ، حتى انفجر ينبح بوحشية ، وعندما هبط الغريب مندفعًا على الدرج ، وثب الكلب فجأة ، ثم انقض مباشرة على يده ..

صرخ (هول) : " يا إلهى ! " وهو يقفز إلى الوراء لأنه كان يخشى الكلاب ، صاح (فيرنسايد) فى كلبه : " ارقد على الأرض ! " وأمسك بسوطه ..

ورأوا أن أسنان الكلب أخطأت اليد ، على إثر ركلة شديدة صوبها له الغريب وشاهدوا الكلب يثب إلى جانب ، ويتمكن من نهش رجل الغريب، وسمعوا تمزق سرواله، ثم هوى طرف سوط (فيرنسايد) الرفيع على كلبه ، فارتد إلى الخلف وهو يعوى من فرط الألم ، وتسلل تحت عجلات العربة . وحدث كل هذا فى نصف دقيقة ، ولم يتكلم أحد، بل كان الجميع يصرخون . ألقى الغريب نظرة سريعة على قفازه الممزق وعلى ساقه ، وبدا وكأنه سوف يحنى جسمه ورجله إلى الأمام ليتفحصها ، ولكنه استدار على عقبيه وأخذ يرقى الدرج مندفعًا إلى داخل الفندق . وسمعا وقع قدميه وهو يخترق الممر ويرقى الدرج غير المكسو بالسجاد

إلى حجـرته، حينئذ قـال (فيرنسـايد) وهو ينزل عن العربة وسوطه فى يده ، بينما كان الكلب يرقبه من خلال فرجات إحدى العجلات : " أيها الوحش ! تعال هنا ! بالتى هى أحسن ! "

وقف (هول) مبهوتًا فاغرًا فاه ثم قال : " لقد عضّه الكلب ! ويحسن بى أن أذهب لأطمئن عليه " . وهرول خلف الغريب .

قابل السيدة (هول) فى الممر فقال لها : " لقد عضّه كلب الحمال " .

وذهب من فوره إلى الطابق الأعلى ، ولما كـان باب الغريب منفـرجًا قليلاً ، فقد دفعه فانفتح ودخل دون استئذان .

كانت الستارة مسدلة والظلام يلف الحجرة لفًا ، ووقعت عيناه على منظر عجيب ، فقد خيل إليه أنه يرى ذراعًا لا يد لها تتحرك فى الهواء تجاهه ، ووجهًا ذا ثلاث بقع ضخمة غير محددة على خلفية بيضاء ، كان يشبه إلى حد كبير سطح زهرة ثالوث باهتة . ثم أصابته ضربة عنيفة على صدره دفعته إلى الخلف خارج الحجرة ، وأغلق البـاب فى وجهه وأوصده بالمفتاح .

حدث ذلك بسرعة خاطفة إلى الحد أنه لم يتبين شيئا مما رآه ، أشباح متموجة غامضة ، ولطمة قوية والباب يغلق فى وجهه ويوصد بالمفتاح .

وهاهو ذا واقف عند منبسط الدرج الصغير المظلم يسائل نفسه عما شاهده .

وبعد بضع دقائق عاد إلى الجماعة قليلة العدد، التى انتظمت خارج فندق "العربة والجياد" . وكان (فيرنسايد) بينهم يروى الحكاية من أولها إلى آخرها للمرة الثانية ، وهاهى ذى السيدة (هول) تقول إنه ليس من حق كلبه أن يعض زبائنها . كما كان هناك (هكستر) صاحب المتجر القائم على الجانب الآخر من الطريق ، يطرح أسئلة ، و(ساندى وادجرز) من دكان الحداد بوجهه المتجهم والمتسم بالحكمة ، وحولهم نساء وأطفال كلهم يتحدثون بالحماقات .

وراح السيد (هول) يحدق فيهم من فوق الدرج ، ويصغى إلى حديثهم ، وليس فى وسعه أن يصدق أنه شاهد تلك الأحداث شديدة الغرابة تقع فى الطابق العلوى، وفضلاً عن ذلك فلم يكن مجموع مفردات اللغة التي يعرفها ، كافية للتعبير عن انطباعاته عما رأى . وقال يجيب عن سؤال طرحته عليه زوجته : " يقول إنه فى غير حاجة إلى المساعدة ، وخير لنا أن ندخل متاعه إلى الفندق " .

وقال السيد (هكستر) : " ينبغى أن يعالج الجرح بالكى على الفور ، خاصة إذا كان قد سبب التهابًا بالأنسجة " .

وانبرت سيدة من بين الجماعة المحتشدة تقول : " لو كنت مكانكم لأطلقت النار على هذا الكلب ، هذا ما كنت أفعله " .

وعاد الكلب إلى الزمجرة فجأة .

فقد ظهر الرجل الغريب الملثم عند مدخل الفندق ، وقد رفع ياقة معطفه إلى أعلى وحافة قبعته العريضة منحنية إلى أسفل ، وصاح بصوت غاضب : " عجلوا ! كلما أسرعتم بإدخال هذه الأشياء إلى الفندق ، زدتمونى سروراً " .

وكان قد أبدل سرواله وقفازيه ، وفق ما قرره متفرج مجهول .

سأل (فيرنسايد) الرجل الغريب : " هل أصبت بأذى ياسيدى ؟ لشد ما أنا آسف لأن هذا الكلب ... " .

قاطعه الغريب: " لم يصبنى بأى أذى، فجلدى لم يجرح قط ، عجّلوا بإدخال هذه الأشياء " وغمغم فى سخط لنفسه ، وتوقفت السيدة (هول) عن البوح بالجملة التى كانت تتراقص على شفتيها . وتم حمل الصندوق الأول إلى غرفة الاستقبال حسب تعليمات الغريب ، وما أن رآه حتى اندفع إليه بشوق جارف ، وفتحه وأخذ يفرغ ما فيه وينثر القش دون مبالاة على سجادة السيدة (هول) . وأخرج من الصندوق القنينات – قنينات صغيرة سميكة تحتوى على مساحيق، وقنينات صغيرة رفيعة بها سوائل ملونة وبيضاء ، وقنينات زرقاء محززة ، كتبت على بطاقاتها كلمة

"سم" ، وقنينات ذات أجسام مستديرة وأعناق رفيعة ، وقنينات ضخمة خضراء اللون وقنينات بيضاء كبيرة وقنينات ذات سدادات من الزجاج وبطاقات ، وقنينات ذات سدادات ناعمة من الفلين ، وأخرى لها سدادات من المطاط ، وقنينات ذات أغطية خشبية ، وقنينات نبيذ، وقنينات زيت نباتى للسلطة ... وأخذ الرجل الغريب يصفّ كل تلك القنينات صفوفًا على "الشيفونيره"، وفوق الرف الموجود فوق المدفأة ، وعلى منضدة أسفل النافذة وحول أرضية الحجرة وعلى رف الكتب .. وفى كل مكان .

لقد كان منظراً فريداً حقًا .. وتوالت الصناديق ، وكانت جميعها مملوءة بالقنينات، وكان كلما أتى صندوق راح الرجل الغريب يفرغ محتوياته ، حتى أصبحت الصناديق الستة كلها خاوية، وكوّم القش فى كومة عالية فوق المنضدة . ولم يكن فى الصناديق من شىء آخر - غير القنينات - سوى عدد من أنابيب الاختبار وميزان ملفوف بعناية .

وما أن انتهى الغريب من إفراغ الصناديق ، حتى اتجه إلى النافذة وبدأ عمله ، دون أن يكترث بالقش المتناثر فى كل مكان ، ولا بنار المدفأة التى خمدت ، ولا بصندوق الكتب الذى كان لا يزال بالخارج ، ولا بالصناديق ولا بباقى أمتعته التى نقلت إلى غرفته بالطابق العلوى .

وحينما حملت إليه السيدة (هول) طعام العشاء ، كان منهمكا فى عمله ، يصب قطيرات من القنينات إلى أنابيب الاختبار . ومن ثم لم يفطن إليها إلا بعد أن أزالت معظم القش . ووضعت صينية الطعام على

المائدة ، ربما بشيء من الانفعال؛ بعد أن رأت الحالة السيئة لأرضية الغرفة . وحينئذ التفت إليها نصف التفاتة ، ثم أدار وجهه عنها فى الحال ، ولكنها لحظت أنه خلع نظارته ، ووضعها إلى جانبه على المنضدة، وخيل إليها أن محجرى عينيه كانا مجوفين بشكل غريب . وتناول الرجل الغريب منظاره ووضعه على وجهه من جديد والتفت إليها ، وهمت بالشكوى من القش الذى تناثر فوق أرضية الغرفة . ولكنه ابتدرها قائلاً بصوت مفعم بالحنق الشديد الذى - فيما يبدو - وكأنه طبيعة قد تأصلت فيه : " أحب ألا تدخلى الغرفة دون أن تستأذنى بطرْق الباب " .

أجابته السيدة (هول) : " لقد طرقت الباب بالفعل ، ولكن يبدو أن .. "

- " ربما فعلت هذا . ولكن فى أثناء إجرائى لأبحاثى - تلك الأبحاث بالغة الأهمية، والعاجلة - فإن أقل حركة تزعجنى مثل فتح الباب ... "

- " بالطبع ياسيدى . يمكنك أن توصد الباب بالمفتاح فى أى وقت ، إذا كنت مستغرقًا فى العمل كما أنت الآن ، فهذا شأنك " .

قال الرجل الغريب : " فكرة حسنة للغاية " .

- " وهذا القش ياسيدى ، إذا سمحت لى أن أقول .. "

- " لا تقولى شيئًا ، وإذا كان القش يضايقك فلك أن تضيفى مصاريف تنظيفه إلى فاتورة الحساب " .

وغمغم لها بكلمات مريبة تبدو كأنها اللعنات . كانت تصرفاته غاية فى الغرابة ، وهو يتحدث بفظاظة وبطبع شرس ، ممسكا بقنينة فى يد وأنبوبة اختبار فى اليد الأخرى ، حتى شعرت السيدة (هول) بالذعر الشديد ، ولكنها كانت امرأة ثابتة العزم ، رزينة ، فقالت : " إذن أود أن أعرف ياسيدى ، كم تقدر مصاريف تنظيف الأرضية .. "؟

" شلنا . أضيفى للفاتورة شلنًا" .

بالطبع شلن يكفى ؟ "

"أجابته السيدة (هول) بينما كانت تأخذ مفرش المائدة وتبسطه فوقها : " حسنًا ! إذا كان يرضيك هذا بالطبع ".

استدار وأولاها ظهره ثم استوى جالسًا وياقة معطفه مرفوعة على عنقه متجهة نحوها .

وراح يعمل طيلة النهار بعد ظهر ذلك اليوم وقد أوصد على نفسه الباب بالمفتاح ، وقضى معظم الوقت فى سكون ، كما تؤكد السيدة (هول) . لكنها سمعت مرة ارتجاجًا وصوت ارتطام القنينات ببعضها البعض ، وكأن شيئًا ما قد أصاب المنضدة وأدى إلى سقوط قنينة إلى أسفل بعنف ، ثم وقع خطوات سريعة تسير جيئة وذهابًا فى الغرفة .

وخشية أن يكون الأمر خطيراً ، فقد هرعت إلى الغرفة وأخذت ترهف السمع من خلف الباب ، دون أن تعنى بأن تطرقه .

وسمعته يتكلم باهتياج شديد : " ليس فى استطاعتى أن أستمر ... لا أستطيع أن أستمر فى العمل .. ثلاثمائة ألف ، أربعمائة ألف ! ياله من مبلغ طائل ...! لقد خدعت ! وربما يستغرق منى حياتى كلها ! الصبر ! نعم الصبر ! إننى أحمق وأفاك ! " .

وتناهى إلى سمع السيدة (هول) صوت ضجيج على قرميد البار ، فلم تجد بُدًا من الذهاب لتتبين الأمر ، تاركة الغريب يكمل مناجاته لنفسه . وعندما عادت كانت الغرفة ساكنة من جديد ، إلا من صرير خافت ينبعث من مقعده ، وصلصلة لقنينة أخرى . لقد انتهى كل شىء وعاد الرجل الغريب يتابع عمله .

وحينما جاءته بالشاى ، أبصرت زجاجًا محطمًا فى ركن الغرفة ، تحت المرآة المقعرة وبقعة من سائل ذهبى تم تنظيفها بلا اهتمام ، فأشارت إليها لتسترعى انتباهه . فقال لها الرجل الغريب بجفاء : " أضيفيه إلى فاتورة الحساب . بالله عليك لا تزعجينى ! وإذا حدثت أية تلفيات فأضيفيها إلى الفاتورة " .

ثم أخذ يؤشر بقلم على قائمة فى كتاب تدريب مفتوح أمامه .

وفى وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم ، قال (فيرنسايد) بلهجة غامضة لرفيقه فى الحانة الصغيرة "إيبنج هانجر" : " سأفضى لك بشىء ما " .

وانبرى (تيدى هنفرى) قائلاً : " حسنًا وماهو ؟ " .

" هذا الرجل الذى تتحدث عنه وعضه كلبى ، إنه أسود البشرة أو أن ساقيه على الأقل سوداوان ! لقد تحققت من ذلك من خلال ثقوب فى سرواله وقفازه حين تمزقا . وكان من المفترض أن يظهر اللون الوردى الطبيعى للجلد . أليس كذلك ؟ حسنًا ، لم يكن ثمة شىء من هذا . فلم أر سوى السواد . إننى أؤكد لك ، إن الرجل أسود البشرة مثل لون قبعتى "

فقال (همفرى) : " ياالسماوات ! تلك قضية غريبة كل الغرابة ، فأنفه أحمر وردى كأنه طلاء بهذا اللون " .

رد عليه (فيرنسايد) قائلاً : " هذا صحيح ! إنى أعلم ذلك وسوف أحدثك عما أظنه إن هذا الرجل مرقط يا(تيدى) . إذ ثمة بقع سوداء هنا وبيضاء هناك على جسمه . وهو يشعر بالخجل من هذا الأمر . إنه نوع من سلالة مختلطة ، تأتى فيها الألوان كالبقع ولا تمتزج معًا . لقد سمعت بشىء من هذا القبيل سابقًا ، وذلك يحدث عادة بين الخيول ، كما يعرف كل الناس " .

الفصل الرابع

السيد (كوس) يجرى مقابلة مع الغريب

ذكرت الظروف التي أحاطت بمجىء الرجل الغريب إلى (إيبنج) ، بالتفاصيل الكاملة حتى يتفهم القارئ ذلك الانطباع المثير للاهتمام الذى أوجده هذا الغريب . ولكن فيما عدا الحادثتين العجيبتين ، فإن ملابسات إقامته حتى اليوم غير العادى لمهرجان النادى ، ربما كانت قد مرت بسرعة وفى هدوء . وكان البعض قد انهمك فى شجار كلامى مع السيدة (هول) حول النظام فى الفندق ، ولكن فى كل الأحوال - وحتى وقت متأخر من شهر إبريل - حينما بدت بوادر نقص عدد النزلاء بالفندق ، وعندما شعر الرجل الغريب بأن السيدة (هول) تعانى من هذا الأمر ، قام بدفع مبلغ إضافى فوق أجر الغرفة .

وكان السيد (هول) لا يميل إلى الرجل الغريب ، وكان من رأيه دائمًا أنه من المستحسن التخلص منه ، وكان يخفى كراهيته تلك أمام زائره ، مع الحرص على تجنبه بقدر الإمكان . صاحت زوجته بحكمة

وتعقل : " انتظر حتى يأتى فصل الصيف، ويأتى السياح إلى الفندق وعندئذ سوف نكتشف الحقيقة . قد يبدو على الغريب التغطرس بعض الشيء . ولكن عليه أن يدفع فواتير الفندق فى مواعيدها تمامًا ! أيا كان رأيك فى هذا الأمر ! " .

ولم يحدث مرة أن ذهب الرجل الغريب إلى الكنيسة ، بل إنه لم يكن يفرق بين يوم الأحد الذى تقام فيه الشعائر الدينية وأيام الأسبوع الأخرى العادية حتى ولو فى ملابسه .

واعتقدت السيدة (هول) أنه يعمل بجد وبلا انقطاع . وكان ينزل من حجرته مبكرًا فى بعض الأيام ، ويكون مشغولاً بصفة مستمرة . وفى بعض الأيام الأخرى ، كان يستيقظ متأخرًا ، ويذرع أرضية الحجرة جيئة وذهابًا فى خطوات مضطربة محدثًا صوتًا مسموعًا لساعات متواصلة ، ثم يدخن ويخلد للنوم فوق الكرسى ذى المسندين أمام المدفأة . وكانت الاتصالات بينه وبين العالم خارج القرية معدومه . وما زال مزاجه لا يثبت على حال أبداً ، فبالنسبة إلى كثير من الناس ، كان أشبه برجل يعانى من ظروف لا تحتمل . وفى مرة أو مرتين كان يكسر الأشياء أو يمزقها أو يحطمها أثناء نوبات تشنجية من العنف . وبدا وكأنه واقع تحت تأثير انفعال متأصل ، نابع عن حدة طبعه الهائلة . كما أن عادته فى التحدث إلى نفسه بصوت منخفض ، قد نمت بشكل راسخ

بداخله . وعلى الرغم من أن السيدة (هول) أنصتت إليه وكلها آذان صاغية ، فإنها لم تستطع فهم أى شىء مما سمعته !

وقلما كان الرجل الغريب يخرج من الفندق خلال النهار ، ولكنه فى الأصيل كان يخرج متدثراً من قدميه إلى عينيه سواء أكان الجو بارداً أم دافئًا . وكان يختار أكثر الطرق عزلة، التى تحف بها الأشجار، وكذلك الجسور، ويمشى بها. وقد فوجئ عامل أو عاملان حين عودتهما إلى منزليهما برؤيته بمنظاره الكبير ، ووجهه البشع المحاط باللفائف وقبعته العريضة وقد أرخاها على وجهه ، إذ خرج عليهما من الظلام .

وذات ليلة بينما كان (تيدى هنفرى) يخرج مهرولاً باضطراب من حانة "المعطف القرمزى" فى الساعة التاسعة والنصف مساءً انتابه الفزع الشديد عندما سقط بصره على رأس الرجل الغريب الذى يشبه الجمجمة (إذ كان يسير وقبعته فى يده) ، وقد أظهرها ضوء انبعث فجأة من أحد الأبواب المفتوحة . وكان يتراءى لأطفال القرية فى أحلامهم بهيئته البشعة التى تبعث على القشعريرة ، ولم يكن واضحًا أيهما أشد: كراهيته هو للصبية أم كراهية الصبية له ، ولكن الأمر المؤكد أن ثمة كراهية متبادلة بينه وبينهم .

ولاشك فى أن شخصًا هذا مظهره وتلك سلوكياته ، تروّج حوله الإشاعات دائمًا فى قرية ريفية مثل "إيبنج" ، وقد تباينت الآراء بشدة

حول طبيعة عمله . وكانت السيدة (هول) مرهفة حول هذا الأمر، فحين سُئلت أجابت بدقة بالغة أنه "باحث تجريبي"، وكانت تضغط على مخارج الكلمتين كمن يخشى الوقوع في خطأ ما ، وعندما سئلت عن معنى "باحث تجريبي" ، أجابت بشيء من الاستعلاء ، بأن الكثير من المعلمين في استطاعتهم أن يشرحوا ذلك ، وقد حسبت نفسها ضمن زمرتهم ، حينما شرحت الأمر بأن الرجل الغريب "قام بتجارب علمية ليكتشف أشياء" ، وأنه تعرض لحادث كان من أثره أن أصيب وجهه ويداه ، ويمنعه خجله من أن يُظهر الأجزاء المصابة لأعين الناس .

وثمة رأي آخر - يلقى قبولاً واسعًا - أن الرجل الغريب مجرم قد هبط القرية متنكرًا مخفيًا ملامحه حتى لا تقع عليه عين العدالة أبدًا . وقد انبثقت هذه الفكرة من ذهن السيد (تيدي هنفري) ولكن لم يحدث أن وقعت جريمة ذات شأن ، من منتصف شهر فبراير وإلى نهايته، وكان لدى السيد "جولد" - مساعد المدير في المدرسة القومية - وجهة نظر أخرى مفادها أن الغريب هو شخص ثائر على السلطة ، أتى متنكرًا لإعداد مواد متفجرة ، وأنه مصمم على كشف أمره ومتابعة تحرياته ، كلما سمح بذلك وقته . وكان السيد "جولد" معروفًا عنه قدرته على الاستنتاج وحل المشاكل المعقدة .

وأدى تباين هذه الآراء وتناقضها ، إلى أن يمقته سكان قرية (إيبنج) لسلوكه الغريب وحدة طبعه وكانوا يمقتونه ويتطلعون إليه

بنظرات قاسية إذا جمعهم به طريق واحد . وكان سكان القرية يتنحون جانبًا ، عندما يمر الرجل الغريب بالقرب منهم ، ويحاول الصغار تقليد مشيته وطريقة تخفيه الغامضة . وكانت ثمة أغنية شعبية فى هذا الوقت يطلقون عليها "الرجل الشبح" ، وقد غنتها مس (ستاتشل) فى حفلة مدرسية ، وحينما كان يجتمع إثنان من سكان القرية ، ويظهر هذا الغريب فإنهما كانا يدندنان بإيقاعات هذه الأغنية . وكان الأطفال أيضًا يدعونه "الرجل الشبح" بعد شيوع هذه الأغنية ، ليثيروا بذلك انتباهه .

وكانت الأربطة والألف قنينة وقنينة قد استرعت انتباه الدكتور (كوس) الطبيب العام للقرية ، فقد أثارت تلك الأشياء غير المألوفة ، فضوله المهنى .

وظل طوال شهرى أبريل ومايو وهو يتحين الفرصة المناسبة للتحدث إلى الرجل الغريب ، وأخيراً ، قبل أيام من عيد العنصرة(*) لم يستطع أن يصبر أكثر مما صبر ، فذهب إلى الفندق بحجة جمع تبرعات لإحدى الجمعيات التى تعالج الفقراء مجانًا ، ودهش حين وجد أن السيد (هول) لا يعرف اسم نزيل فندقه .

(*) عيد مسيحى – ذكرى نزول الروح القدس على تلاميذ المسيح (المترجم) .

وقالت السيدة (هـول) لتبرر موقفها : " لقد أخبرنى باسمه ولكنى لم اسمعه جيداً " .

ولم تكن صادقة فى هذا ، إذ كانت تعتقد انه من أسخف الأمور وأدناها أنها لا تعرف اسم الرجل الغريب .

طرق (كوس) باب الردهة وفتحه ودخل . وماكاد يفعل حتى سمع بوضوح شخصا يسب ويلعن فى الداخل ، وحينئذ قال كوس " معذرة لاقتحامى حجرتك" ولم تسمع السيدة (هول) بقية الحديث ، إذ أغلق الباب دونها . وظلت بعدئذ عشر دقائق ، تسمع فى داخل الحجرة حديثا خافتا لم تتبينه يدور بينهما ، أعقبته صيحة دهشة ، ووقع أقدام مسرعة وسقوط مقعد وصوت ضحكة صاخبة ، ثم وقع أقدام تتجه مسرعة نحو الباب ، وظهر (كوس) ممتقع الوجه وأخذ يحدق بعينين زائغتين إلى خلفه من وراء كتفيه . وترك الرجل الباب مفتوحا وراءه ، واجتاز الردهة بخطوات سريعة ونزل الدرج دون أن ينظر إلى السيدة (هول)، التى سمعت وقع أقدامه وهو يسرع الخطى عبر الطريق ويمسك قبعته فى يده . كانت واقفة خلف حاجز ، تتطلع إلى باب حجرة الجلوس المفتوح ، ثم سمعت الرجل الغريب يضحك فى هدوء ، وطرق أذنيها وقع قدميه وهو يخترق الغرفة ، ولم يكن بإمكانها أن ترى وجهه من المكان الذى وقفت فيه ، وانغلق الباب بصوت عال وعاد الصمت يخيم على المكان. ومضى (كوس) من فوره إلى (بانتنج) قس القرية، ودخل عليه حجرة مكتبه

الصغيرة وبادره بقوله: " هل ذهب عقلي؟ هل يبدو عليّ أنني مجنون ؟"

سأله القس وهو يضع صدفة لولبية الشكل فوق أوراقه المفكوكة الخاصة بعظته التالية فى الكنيسة : " ماذا حدث ؟ "

"رد الكتور (كوس) قائلاً : " هذا الرجل الذى يقطن بالفندق ".

" حسنًا ، وما شأنه ؟ " قال (كوس) : " أعطنى شيئا أشربه " ثم تهـالك على مقعد .

وعندما هدأت أعصابه بعد أن تناول كوبًا من النبيذ الرخيص – وهو المشروب الوحيد الذى كان متاحًا لدى القس – سرد عليه وقائع المقابلة التى جرت للتو ، قال لاهثًا : "دخلت ، وبدأت أطلب منه تبرعًا لصندوق الممرضات . وكان يدس يديه فى جيبه عندما دخلت ، وجلس متكوما على مقعده ثم شهق بعمق . وأخبرته أننى سمعت بأنه يهتم بالشئون العلمية . فرد بالإيجاب ، ثم عاد وشهق من جديد . واستمر فى العطس طوال الوقت ، وبدا واضحًا أنه أصيب مؤخراً ببرد شديد ، ولا عجب ، وهو متدثر بهذا الشكل ! حاولت أن أتحدث بالمزيد عن صندوق الممرضات هذا ، وعيناى لا تتحولان عنه. قنينات وكيماويات فى كل مكان بالغرفة . وميزان ذو كفتين وأنابيب اختبار على حواملها ، ورائحة زهرة "كعب الثلج" المسائية . سألته عما إذا كان يود أن يتبرع ؟ أجاب بأنه سوف يفكر فى الأمر . وسألته – بغير مواربة – عن البحث الذى يقوم به

. فقال بأنه بحث طويل ثم استشاط غضبًا ، واندفع قائلاً : " بحث طويل لعين " . قلت : " ياللعجب ! " ويبدو أن سؤالي زاده غضبًا . ثم قال لي أن لديه أوراقًا ذات شأن عظيم، ولكن لم يخبرني ما الغرض منها . فسألته عما تتضمن : أهي تتعلق بالطب ؟ فكان جوابه : " اللعنة ! ولِمَ تريد أن تعرف ؟ اعتذرت وبعد أن شهق وسعل وعطس عدة مرات ، قال بأنه قرأ الورقة وكانت تتضمن خمسة مكونات كيميائية ثم وضعها على المنضدة ، وبينما هو يدير رأسه عنها ، أطارها تيار هواء من النافذة . وصدر عنها حفيف وهسهسة . وكان يعمل في حجرة بها مدفأة مفتوحة . شاهد الورقة تخفق بشده وتندفع إلى المدفأة المشتعلة ، فتحترق ويتصاعد دخانها في المدخنة . اندفع نحوها في الوقت الذى كانت فيه تنطلق إلى أعلى المدخنة . وبينما كان يقص عليّ هذه القصة ، رفع الرجل الغريب ذراعه ليصور لي ماحدث " .

قال القس : " حسنًا "

لم يكن هناك يد ، مجرد كم فارغ ! يا إلهي ! هل هذه عاهة جسدية ! وأنه يمتلك ذراعًا اصطناعية واقتنعت بهذا الرأى . ولكننى عدت أفكر ، بأن ثمة شيئًا غريبًا فى هذا الأمر . فما الذى يمكن أن يبقى الكم مرفوعًا ومنتفخًا وهو خال من الذراع ؟ إننى أؤكد لك بأن الكم كان خاليا . لاشى فى داخله ، حتى مكان مفصل الذراع ، وكنت أستطيع أن أرى حتى الكوع ، ولكن لم يكن هناك إلا ومضة من ضوء تلمع وقد نفذت من

تمزق فى ثيابه . قلت : "يا إلهى !" توقف الرجل الغريب وحدق باتجاهى بعويناته السوداء ثم تطلع إلى كمه " .

" ماذا بعد ؟ "

" هذا كل شىء ، لم ينبس ببنت شفه ، بل أخذ يحملق ثم دس كمه فى جيبه بسرعة "ثم استطرد : "كما كنت أقول ، كانت الوصفة الطبية تحترق . أليس كذلك ؟ وسعل بعصبية . سألته : بحق الشيطان ! كيف تستطيع أن تحرك كمًا فارغًا على هذا النحو ؟ "

عاد يتساءل : "كمًا فارغًا ؟ أجبته : "نعم، إنه كم فارغ " قال : " كم فارغ ، أليس كذلك ؟ أرأيته كمًا فارغًا ؟ " .

"هبّ واقفا من فوره ، ووقفت أنا أيضًا ، تقدم نحوى بخطا ثلاث جِد بطيئة . ووقف قريبًا جداً منى ، وشهق بعنف . ولم أجفل ، على الرغم من أن هذه الضمادات التى تغطى وجهه وتلك العوينات السوداء الكبيرة ، كفيلة بأن تثير أعصاب أى إنسان ، خاصة إذا كانت على مسافة قصيرة منه ."

قال لى : " أتقول بأنه كم فارغ ؟" فأجبته : "بكل تأكيد " .

ثم أخرج كمه من جيبه مرة أخرى فى هدوء بالغ ، ورفعه صوب وجهى كأنما يريد أن أتيقن منه ، وفعل ذلك ببطء جِد شديد . نظرت إليه ، وخيل إلى أن الوقت قد استطال حتى صار دهراً ، وقلت له بعد أن

نظفت حنجرتى بالتنحنح : " حسنًا ! لا شىء بداخله . والحقيقة أننى بدأت أشعر بالرعب يتملكنى ، وأنا أحدق النظر داخل الكم الفارغ ، وقام الرجل الغريب بمده نحوى مباشرة ، ببطء شديد للغاية ، حتى أصبح طرف الكم على بعد خمسة عشر سنتيمتراً من وجهى . كان شيئا عجيبا أن ترى كما فارغا يتجه نحوك بتلك الطريقة ! حينئذ .. "

" ثم ماذا ؟ "

"شىء ما .. يشبه تمامًا سبابه وإبهامًا شعرت بهما يجذبان أنفى ! " .

وأطلق القس (بانتنج) ضحكة .

واستطرد (كوس) : " .. لم يكن هناك أى شىء داخل الكم ! " وارتفع صوته حتى صار صراخًا عندما نطق بكلمة "هناك " .

وأردف قائلاً : " .. لك أن تضحك كما تشاء ! ولكنى أصدقك القول بأننى كنت مذعوراً إلى الحد أنى ضربت طرف الكم بقوة وأدرت ظهرى إليه، ثم هرعت إلى الخارج .. تاركًا إياه .. "

توقف (كوس) عن الكلام ، وقد بدت معالم الذعر واضحة جلية على وجهه ، وكان يتلفت من حوله وكأنه شخص ضعيف لا حول له ولا قوة ثم تناول قدحًا آخر من النبيذ الرخيص وواصل بقوله : " ... وحينما ضربته

على طرف كمه ، شعرت كأن بداخلها ذراعًا ! ولكن لم يكن هناك أى ذراع ! ولا حتى طيف ذراع ! " .

وفكّر القس (بانتنج) فى الأمر مليًا ، ونظر إلى (كوس) بارتياب ثم قال :

" يالها من قصة بالغة الغرابة " .. وبدا رجلاً حكيمًا ووقورًا بالفعل وأردف بلهجة رزينة : " إنها حقا قصة جِدُّ غريبة" .

الفصل الخامس

سطو على دار القس

بلغنا نبأ السطو على مقر القس بشكل أساسى من خلال القس وزوجته . وقد حدث هذا قبل فجر يوم عيد "الاثنين الأبيض"(*) ، وهو اليوم الذى تخصصه قرية "إيبنج" لحفلات ناديها . ويبدو أن السيدة (بانتنج) استيقظت فجأة فى ساعات السكون التى تسبق بزوغ الفجر ، وقد تملكها شعور قوى بأن باب حجرة نومهما فتح ثم أوصد. وفى البداية لم تشأ إيقاظ زوجها ، واكتفت بأن قبعت فى فراشها مرهفة السمع . وبعد ذلك سمعت بوضوح وقع أقدام عارية خفيفة وبطيئة ، تخرج من حجرة اللبس المجاورة لحجرة النوم ، وتسير عبر الردهة فى اتجاه الدرج وما أن أيقنت هذا الأمر، بادرت بإيقاظ زوجها القس فى هدوء بقدر الإمكان .

(*) عيد مسيحى ، وهو اليوم التالى لعيد العنصرة (المترجم) .

وقام القس ولكنه لم يشعل ضوءاً ، بل ارتدى نظارته على عينيه ووضع قدميه فى خفى الحمام وخرج إلى منبسط الدرج لينصت . فسمع فى وضوح شديد شخصاً ما يتحرك فى غرفة مكتبه أسفل الدرج وتبعه صوت عطسه شديدة .

عندئذ عاد إلى حجرة نومه ، وتسلّح بقضيب تقليب وقود المدفأة ، وهبط الدرج على أطراف أصابعه ، بينما ظلت زوجته على رأس السلم مرهفة السمع . وكانت الساعة قد بلغت الرابعة تقريباً ، وقد ابتدأت خيوط الفجر الباهتة تبدد شيئا من كثافة الظلام ، وفى الضوء الضئيل للردهة وقف القس ليرى باب غرفة مكتبه مفتوحاً . وكان السكون يغلّف المكان ، فيما عدا الصرير الخافت للسلالم تحت أقدام القس ، والحركات الواهية فى غرفة المكتب . حينئذ سمع صوت درج يفتح ثم حفيف أوراق وشخصاً ما يسب ويلعن ، وأشعل عود ثقاب فغمر الحجرة بفيض من الضوء الأصفر . أصبح القس الآن فى الردهة ، ومن خلال فرجة الباب المفتوح استطاع أن يرى الدرج المفتوح والمكتب وشمعة موقدة فوقه . بيد أنه لم يتمكن من رؤية اللص ، فوقف فى الردهة حائراً لا يدرى ماذا يفعل ؟ وهبطت إليه زوجته بخطوات بطيئة وقد بدا وجهها شاحباً ينم عن الخوف . وكان ثمة شيء واحد يحفظ القس شجاعته ، وذلك هو قناعته بأن هذا اللص لابد وأن يكون من أهل القرية .

وفجأة سمعا رنين نقود معدنية ، وأدركا أن اللص عثر على نفقات تدبير شئون المنزل من الجنيهات الذهبية، وهى عبارة عن جنيهين وعشرة من أنصاف الجنيهات . وأصابت القس نوبة من الغضب العارم عند سماعه لصوت رنين النقود ، فشد قبضته على القضيب الحديدى، واندفع إلى داخل غرفة المكتب ، وزوجته تتبعه كظله .

وصاح القس بشراسة : " استسلم ! " ثم توقف عن الكلام وقد ذهل من فرط الدهشة ، إذ كانت الغرفة خالية تماماً ! .

ولكنه هو وزوجته كانا موقنين أنهما سمعا منذ دقائق شخصاً ما يتحرك فى غرفة المكتب .. وربما لنحو نصف دقيقة ، وقفا ساكنين محدقين فاغرى الفم .

ثم عبرت السيدة (بانتنج) الغرفة ونظرت خلف الستار ، بينما اندفع القس يبحث بعينين زائغتين أسفل المكتب . بعدئذ أخذت السيدة (بانتنج) تفتش فيما وراء ستائر النافذة ، بينما حاول زوجها أن يسبر غور مدخنة المدفأة بالقضيب الحديدى الذى بيده، ثم أخذت الزوجة تمعن النظر فى سلة الأوراق المهملة . وفتح زوجها غطاء الدلو الذى يوضع فيه فحكم المدفأة ، وتفحص ما فى داخله . وأخيراً توقفا عن البحث ، وهما ينظران إلى بعضهما البعض ، وقد بدت علامات الدهشة والتساؤل على وجهيهما .

ثم قالت السيدة (بانتنج) : " أستطيع أن أقسم أن ... " .

قال القس : " والشمعة ! من الذى أوقدها ؟ "

قالت زوجته : " الدُرج ! لقد اختفت النقود ! ..

ثم هرعت إلى مدخل الدار .

واستطردت : " من بين كل الحوادث الغريبة .. "

وسمعا صوت عطسه عنيفة فى الممر ، فاندفعا إلى الخارج وما كادا يفعلان حتى انغلق باب المطبخ . صاح بها زوجها : " إيتينى بالشمعة " وسار أمامها ثم سمعا صوت المزاليج وهى تغلق بسرعة من جديد، شاهد فى اللحظة نفسها عبر حجرة غسل الأطباق الباب الخلفى مفتوحًا، ورأى من خلاله الحديقة وقد أضاءها بخفوت انبثاق الفجر القريب . ولم يكن يخالجه شك فى أن أحداً لم يخرج من الباب ، ومع هذا فقد فتح الباب ، وظل مفتوحًا لبرهة ثم انغلق بشدة وحينئذ جاءت السيدة (بانتنج) حاملة فى يدها الشمعة التى كانت فى غرفة المكتب ، ولهيبها يرف ويخبو . ومرت دقيقة أو أكثر قليلاً قبل أن يدخلا المطبخ .

كان المكان خاليا ، فأعادا إغلاق الباب الخلفى ، وفتشا المطبخ تفتيشًا دقيقًا وكذلك حجرة الكرار وحجرة غسل الأطباق ، ثم توجها بعد ذلك إلى قبو خزين الطعام . ولكنهما لم يعثرا على أى مخلوق .

استقبلا ضوء النهار وهما لا يزالان يبحثان فى كل أرجاء الدار . على ضوء الشمعة المحتضرة ، الذى لم يعد له ضرورة .

الفصل السادس

الأثاث الذى أصابه الجنون

فى باكورة يوم "الاثنين الأبيض" ، قبل أن تستيقظ (ميللى) لمباشرة أعمالها فى الفندق ، استيقظ السيد (هول) والسيدة (هول) وتسللا فى هدوء إلى القبو فى الطابق الأرضى . وكانت مهمتهما هناك ذات طبيعة خاصة ، ولها علاقة بالوزن النوعى للجعة .

وما كادا يدخلان حتى تذكر السيد (هول) أنه نسى إحضار زجاجة الخَلْط المسماة "سارساباريلا" من حجرتهما . ولما كان خير من يقوم بمزج الجعة وإقلال كثافتها ، فقد صعد لإحضار الزجاجة ، وعندما كان يرتقى الدرج ، لاحت منه نظرة إلى حجرة الرجل الغريب فانتابته الدهشة؛ إذ وجد الباب موارباً . واستمر السيد (هول) فى طريقه إلى حجرته ، ووجد الزجاجة فى المكان الذى حددته له زوجته. وعندما عاد بالزجاجة ، لاحظ أن الباب الأمامى غير موصد بل مغلق بالسقاطة فقط . وطاف بذهنه فجأة حديث السيد (تيدى هنفرى) عن حجرة الغريب فى

الطابق العلوى ، فسرت فى بدنه رعدة . وتذكر أن زوجته أوصدته جيداً بالمزلاج فى الليلة السابقة وأنه كان ينير لها بالشمعة . فلما رأى ذلك وقف فاغراً فاه . وعندئذ صعد إلى الطابق العلوى من جديد ، وهو مازال ممسكًا بالزجاجة ، وطرق باب حجرة الرجل الغريب، فلم يجبه أحد . وأعاد الطرق ثم دفع الباب لينفتح على مصراعيه ، ودلف إلى الداخل .

وصح ما توقعه ، إذ وجد الفراش خاليا وكذلك الحجرة . وكان أغرب من هذا – على الرغم من فهمه المحدود – انه رأى ملابس الضيف ، ملابسه الوحيدة على قدر علمه ، متناثرة على مقعد حجرة النوم وعلى الفراش ، ومن بينها الضمادات التى طالما رآها تحيط برأس الغريب ، وأما قبعته عريضة الحافة ، فكانت موضوعة فوق عمود الفراش .

وسمع السيد (هول) وهو يقف مذهولاً فى الحجرة ، صوت زوجته يأتى من أعماق القبو ، وكان يعبر عن نفاد صبر بالغ ، قالت : "هل وجدت ما نبحث عنه ؟" .

فاستدار وهرع إليها هابطًا الدرج وصاح بها وهو مطل فوق قضبان (درابزين) سلالم القبو:

" (جينى) ! لقد صح ماقاله (هنفرى) ! إن الرجل ليس فى غرفته ! والباب الأمامى غير موصد " .

ولم تفهم السيدة (هول) قوله فى أول الأمر ، ولكنها ما كادت تفهم حتى اعتزمت فى الحال التأكد من خلو الغرفة بنفسها . وتقدمها (هول) إلى الغرفة ، ومازال يمسك بالزجاجة فى يده ، وقال : " ولكن طالما أنه فى الخارج ، لِمَ إذن ترك ثيابه هناك ؟ ! وما عساه أن يفعل من غير ثيابه ؟ هذا أمر غريب للغاية ! " .

وبينما هما يصعدان سلالم القبو، بلغ إلى سمعيهما صوت الباب الأمامى يُفتح ثم يُغلق ، ولكنهما لم يريا أحداً يدخل أو يخرج ، فلم يهتمّا بأمره . ووقتئذ لم ينطق كلاهما للآخر بكلمة عن هذا الأمر .

تخطت السيدة (هول) زوجها فى الممر ، وسبقته ركضاً إلى الطابق العلوى . وسمعت صوت شخص يعطس وهو صاعد على السلم ، وكانت تتقدم السيد (هول) بست درجات ، فظن هذا أن زوجته هى التى عطست ، كما اعتقدت هى بدورها أن زوجها الذى يتبعها هو الذى عطس .

دفعت باب حجرة الغريب ففتحته ، متجهة إلى الداخل ، وجالت بعينيها فيها ، ثم صاحت :

" ياله من أمر غريب ! " .

وفجأة أحسّت بأن شخصاً ما يستنشق نفساً قصيراً من الأنف ، خلف رأسها مباشرة ، فحسبته زوجها ، والتفتت إلى الخلف وحينئذ راعها أن تجد أن السيد (هول) يبعد عنها بنحو أربعة أمتار ، إذ كان لا

يزال عند أعلى السلم . ولكنه بعد برهة كان إلى جوارها . انحنت فوق الفراش ووضعت يدها على الوسادة ثم عادت وتحسست بها تحت الملابس المتناثرة على الفراش وقالت : " إن المكانين باردان ! لقد ترك فراشه منذ ساعة أو أكثر " .

وحين فعلت هذا ، حدث أغرب ما رأت في حياتها . فقد وجدت ملابس النوم الملقاة على الفراش تجمع نفسها بنفسها ، وتثب فجأة لتكوّن ما يشبه التل ثم تقفز إلى الأمام ، وبدا الأمر تمامًا كأنما أمسكت بالملابس يد خفية من منتصفها ثم قذفت بها بقوة جانبًا . وعلى الفور ، ارتفعت القبعة من فوق عمود السرير ، وراحت تطير في شكل شبه دائرى بجو الغرفة ، ثم اندفعت مباشرة إلى السيدة (هول) ولطمتها على وجهها ، وعقب ذلك - وبالحركة الفجائية نفسها - جاءت الإسفنجة من مكانها بحوض الغسيل ، ثم رأت المقعد يطرح جانبا سترة الرجل الغريب وسرواله في إهمال ، وبعدها كانت ضحكة جوفاء بصوت يشبه صوت الرجل الغريب . حينئذ انقلب المقعد وصوب أرجله الأربعة نحوها ، وبدا في هذه اللحظة أنه سوف ينقض على السيدة (هول) فصرخت وأولت المقعد ظهرها ، ثم شعرت بأرجله تدفعها هي وزوجها برقة ، ولكن بثبات إلى خارج الحجرة . وانغلق الباب بشدة خلفهما وأوصد بالمزلاج . ولاح لها أن المقعد والفراش يؤديان رقصة انتصار لهنيهة من الزمان ، ثم ساد الصمت بغتة .

وكادت أن تنتاب السيدة (هول) حالة إغماء ، وهى بين ذراعى زوجها فى "بسطة السلم" ولم يستطع السيد (هول) و(ميللى) – التى أيقظتها صرخات السيدة (هول) – أن ينزلاها إلى الطابق السفلى إلا بصعوبة شديدة ، وقاما بالإجراءات المعتادة للمساعدة فى إعادة الوعى لها .

وحينما أفاقت السيدة (هول) قالت : " إنها أرواح ! أعرف تماماً أنها أرواح ! لقد قرأت عنها فى الصحف . موائد ومقاعد تقفز وترقص !! " .

قال السيد (هول) وهو يقدم لها زجاجة الخمر : " (جينى) ! تناولى جرعة أخرى ، حتى يعود لك هدوؤك ! " .

استطردت قائلة : " أوصد الباب جيداً ، ولا تدعه يأتى مرة أخرى . لقد راودنى الشك فى بادئ الأمر .. وكان يجب أن أعرف بعد أن رأيت نظارته الكبيرة الداكنة .. ورأسه المعصوب بالأربطة ، وعدم ذهابه إلى الكنيسة فى أيام الآحاد . ومن كل هذه القنينات الكثيرة ، إذ ليس من المعقول أن يكون لبشر الحق فى الاستحواذ على مثل هذا العدد منها . لقد أسكن الأرواح فى الأثاث ، أثاثى الجميل القديم . ولطالما جلست والدتى العزيزة على هذا المقعد نفسه حين كنت طفلة صغيرة . وها هو الآن يرتفع فى الهواء وينقض علىّ ! " .

قال السيد (هول) : " تناولى مجرد جرعة صغيرة يا (جينى) ، إن أعصابك مضطربة ".

ثم أرسلا (ميللى) عبر الشارع ، خلال الأشعة الذهبية لشمس الساعة الخامسة صباحًا ؛ لتوقظ السيد (ساندى ودجرز) الحداد ، وتخبره أن السيد (هول) يبلغه تحياته ويدعوه إلى الحضور ليرى ماذا أصاب الأثاث الذى فى الطابق العلوى ؟

كان السيد (ودجرز) ثاقب الرأى وحسن التصرف إلى حد بعيد ، أبدى رأيه بقوله :

" إنّ هذا سحر مبين ! " .

وجاء إلى الفندق مهمومًا وقلقًا ، وحينما طلبا إليه أن يقودهما إلى الطابق العلوى حيث حجرة الرجل الغريب ، لم يكن متعجلاً الأمر . وفضّل الحديث معهما فى الممر . وبعد قليل ، انضم إليهم السيد (هوكستر) فسألوه أن يشترك معهم فى الحديث ، ودارت مناقشات طويلة، دون أية نتيجة .

قال السيد (ودجرز) بإصرار : " لتذكروا لنا الحقائق أولاً ، حتى لا يؤاخذنا الرجل لو اقتحمنا عليه الحجرة وحطمنا الباب " .

وفجأة تملكتهم الدهشة حين سمعوا باب الحجرة التى يقطنها الغريب فى الطابق العلوى ، يفتح من نفسه ، فاشرأبت أعناقهم إلى

أعلى، وشاهدوا الرجل الغريب ملثمًا يهبط الدرج ببطء وبصلابة ، وقد أحاط رأسه بالضمادات والأربطة ، وكان يحدق فيهم طوال الوقت ، ويشخص إليهم من خلال منظاره الكبير بنظرات أحلك سوادًا عن ذى قبل . اخترق الممر وهو لا يزال يتفرس فى كل منهم على حدة ثم توقف .

وقال : " أنظروا هناك ! " وتطلعت عيونهم إلى الاتجاه الذى يشير إليه إصبعه المغطى بالقفاز ، وشاهدوا زجاجة " سارساباريلا" بالقرب من باب القبو ، ثم دلف إلى الردهة ، وفجأة أوصد الباب فى وجوههم من فوره .

لم يحاول أحدهم أن يلفظ بحرف واحد ، حتى تلاشت أصداء صوت إغلاق الباب، وراح كل ينظر إلى الآخر . قال السيد (ودجرز) : " إن هذا ليفوق كل شىء فى غرابته " ولم يكمل حديثه بل عاد بجملة أخرى وجهها إلى السيد (هول) : "سأذهب إليه وأسأله عما يقصد ، وسوف أطلب إيضاحًا " .

وقضى السيد (هول) بعض الوقت بين الإقدام والإحجام ، وأخيراً تشجع وطرق الباب ثم فتحه وابتدر الرجل الغريب : " أرجو المعذرة " .. فقاطعة الرجل الغريب بصياح مدو : " اذهب إلى الشيطان ! واغلق هذا الباب خلفك ! " . وهكذا انتهت هذه المقابلة القصيرة .

الفصــــل الســـابع

إماطة اللثام عن الرجل الغريب

دلــف الرجل الغريــب إلى الردهــة الصغيــرة بفنــدق (العــربة والجياد) فــى نحو الساعة الخامسة والنصف صباحًا ، وظل فيها إلــى الظهــر تقريبًا . وكانت الســتائر مسدلة والباب موصداً ، ولم يجرؤ أحد على الدنو منه ، بعد أن طرد السيد (هول) .

ومـا من شك فى أنه لم يتناول شـيئًا من الطعـام طيلة هذه المدة . وقد دق الجـرس ثلاث مرات ، وكانت الدقة الثالثة بشدة وباستـمرار ، ولكن أحداً لم يجبه .

قـالت السيـدة (هول) : " لست أبالى به ! ألم يقل لنـا أن نذهب إلى الجحيم ! " .

وجـاءتهــم بعد فتـرة قصيـرة أنباء منقوصـة عن السطو على مـقر القس ، مما جعلهم يفكرون فى الأمر مليًا .

ومضى (هول) يساعده (ودجرز) للبحث عن السيد (شاكرز) القاضى لطلب المشورة والنصح ، كل ذلك دون أن يجازف أحد بالصعود إلى غرفة الرجل الغريب فى الطابق العلوى ، كما لم يعرف أى شخص ما كان يفعله . وبين الفينة والفينة كان الغريب يذرع الغرفة بخطى واسعة وسريعة . وسمعوه يسب ويلعن عدة مرات ، ثم صوت تمزيق أوراق وتحطيماً عنيفًا لقنينات .

زاد عدد الجماعة الصغيرة من المروعين والفضوليين . وجاءت السيدة (هوكستر)، وانضم إليهم عدد من الفتيان والفتيات ، المتأنقين بالسترات السوداء الجاهزة وأربطة العنق من قماش البيكة(*) - إذا كان هذا يوم "الاثنين الأبيض" فى القرية - وأخذوا يلقون بأسئلة لا ينضب لها معين . وحاول الشاب (آرشى هاركر) أن يعرف عن الرجل الغريب أكثر مما يعرفون ، فذهب إلى الفناء ليختلس نظرة من تحت ستائر النافذة . وعلى الرغم من أنه لم يستطع أن يرى شيئا ، فإنه أوحى للجميع بأنه رأى شيئا ما ، وسرعان ما انضم إليه عدد من شبان "إيبنج" .

لقد كان الاحتفال فى هذه المرة من أروع ما تم فى أعياد "الاثنين الأبيض" ، حيث تراصت فى شوارع القرية أكشاك صغيرة بلغت اثنى

(*) نسيج مضلع (المترجم) .

عشر كشكًا . علاوة على مكان ممهد تم إعداده لتقديم فقرات الحفل ، وعلى الكلأ كانت هناك ثلاث شاحنات تستخدم لحمل أغراض الممثلين ، يتداخل فيها اللونان الأصفر والبنى الفاتح . وقد كان الحضور من الجنسين فى غاية الأناقة ، حيث يرتدى الرجال سترات زرقاء والنساء يرتدين مآزر وقبعات أنيقة ذات أرياش عديدة زاهية الألوان . وكان بين الحضور السيد (جاجرز) الإسكافى وبائع الدراجات المستعملة ، والسيد "وودجر" التاجر ، الذين أخذوا يمدون شرائط من الحرير النفيس الزاهى عبر الطريق .

وفى جوف الظلام المخيم على حجرة الغريب ، الناتج من إسدال الستائر وغلق الأبواب ، الذى لا يبدده سوى قبس ضئيل واحد من شعاع الشمس النافذ إلى الداخل. انتصب الرجل الغريب يتضور جوعًا ، ويسيطر عليه الخوف ، مندسًا بين ثيابه شديدة الدفء غير المريحة ، يشخص إلى الأوراق التى أمامه من خلال عويناته السوداء أو يرجّ قنيناته الصغيرة القذرة . وبين الفينة والأخرى يصب لعناته وشتائمه على الأطفال الذين لا يراهم ، ولكنه يسمعهم خارج النافذة .

وفى ركن الحجرة على مقربة من المدفأة شظايا ست قنينات أو نحوها ، ورائحة كلور لاذعة انتشر عبقها فى الجو . هذا كل ما نعرفه ، وفقا لما سمعناه فى ذلك الوقت، وما شاهدناه فيما بعد فى حجرة الرجل الغريب .

وعند الظهر فتح الغريب باب حجرة الاستقبال فجأة ، ووقف على عتبتها يتفرس فى الأشخاص الثلاثة أو الأربعة الذين كانوا عند البار ونادى قائلاً : " السيدة (هول)"، فذهب أحدهم على الفور واستدعاها .

وبعد فترة قصيرة ، ظهرت السيدة (هول) وهى تلهث قليلاً ، ولكنها كانت شديدة الغضب ، وكان زوجها لا يزال فى الخارج ، وكانت قد فكرت بإمعان وروية، وتشاورت مع آخرين بشأن الرجل الغريب ، جاءت ومعها صينية صغيرة عليها فاتورة حساب غير مُسَدَّدة قالت : " سيدى ! ها هى قائمة حسابك التى تريدها" .

تجاهل الرجل الغريب قولها وصاح متسائلاً : " لماذا لم يعد طعام إفطارى ؟ ما الذى جعلك لا تجهزين لى واجباتى ولا تجيبين على دق الجرس ؟ هل تظنين أننى فى مقدورى أن أعيش بلا طعام ؟ "

ردت السيدة (هول) قائلة : "ولِمَ لَمْ تدفع قائمة حسابك ؟ هذا ما أريد أن أعرفه" .

" لقد أبلغتك منذ ثلاثة أيام أننى فى انتظار حوالة نقدية بالبريد " .

قاطعته السيدة (هول) بقولها : " ولقد أخبرتك منذ يومين ، أننى لن أنتظر مجىء هذه الحوالة . فليس من حقك إذن أن تتذمر لأن طعام إفطارك تأخر قليلاً ، فكيف يكون حالى إذن وقد تأخرت عن دفع حسابك أيام ؟ ! "

وكانت إجابته عبارة عن سباب وشتائم . وتصاعد الصياح والضجيج من عند البار .

قالت السيدة (هول) : " أكون ممتنة لك ياسيدى أشد الامتنان ، لو احتفظت بسبابك وشتائمك لنفسك ! " .

وبدا الغريب بضماداته - أكثر من أى وقت مضى - وكأنه يرتدى خوذة غوص فى الماء ! ساد شعور عام بين الموجودين فى البار ، بأن السيدة (هول) استطاعت أن تحد من غطرسته . وأوضحت كلمات الرجل الغريب التى تفوه بها ، صحة هذا الرأى .

قال : " اسمعى أيتها المرأة الطيبة .. " .

قاطعته السيدة (هول) بقولها : " لا تنعتنى بالمرأة الطيبة " .

" لقد أخبرتك بأن الحوالة النقدية لم تصل بعد .. " .

ردت السيدة (هول) قائلة : " حوالة نقدية بحق ! " .

" ومع ذلك فإن فى جيبى الآن " .

" لقد قلت لى من يومين ، إن جيبك لا يحتوى إلا ما يساوى جنيها من العملات الفضية " .

" حسنًا ، ولكنى وجدت غيرها " وازداد صياح مَنْ فى البار .

قالت السيدة (هول) : "أعجب من أين حصلت على هذه النقود !" .

وأثار قولها قلق الغريب إلى حد بعيد ، فدق الأرض بقدمه وتساءل : " ماذا تعنين ؟ "

أجابته السيدة (هول) قائلة : " أعجب من أين حصلت عليها ؟ وقبل أن أتقاضى حسابك أو أعدّ لك إفطارك ، أو أفعل لك أى شىء عليك أن تشرح لى بعض الأمور التى لم أفهمها ولم يفهمها أحد ، ويتلهف كل إنسان على فهمها . أريد أن أعرف ما الذى كنت تفعله بمقاعدى فى الطابق العلوى ، وكيف كانت غرفتك خالية ؟ وكيف دخلت إليها مرة أخرى ؟ إن المقيمين فى هذا الفندق يدخلون من الأبواب ، هذه هى القاعدة المتبعة هنا ، ولكنك لم تفعل ! وما أريد أن أعرفه هو كيف دخلت ؟ ! وأريد معرفة .. "

وفجأة رفع الرجل الغريب يديه المقفزتين وصرّ بقبضته وضرب الأرضية بقدمه وقال صائحًا : " كفى " وكان صوته عنيفا للغاية ، أسكتها على الفور .

أردف الرجل الغريب قائلا : " أنت لا تفهمين . ولا تعرفين من أكون ؟ ولا حقيقة أمرى ؟ سوف أريك إذن . قسمًا برب السموات ! لأرينك" .

عندئذ وضع راحة يده المفتوحة فوق وجهه ثم رفعها ، فأصبح وجهه مجرد تجويف أسود ثم قال : " هأنذا" . وتقدم إلى الأمام ، وناول السيدة (هول) شيئًا ، فقبلته دون أن تعرف ماهو ، إذ كانت تتفرس في وجهه المسخ بإمعان . لكنها ما كادت تدرك ما تراه ، حتى أطلقت صيحة مدوية ، وأسقطت الشيء على الأرضية ، وتراجعت إلى الخلف في ذهول . كان هذا الشيء "أنفًا" أنف الرجل الغريب !الذي كان قرنفلي اللون ولامعًا ، وأخذ يتدحرج فوق الأرضية ! .

على أثر ذلك ، نزع الرجل الغريب عويناته الكبيرة ، وشهق كل من كان في البار ، ثم خلع قبعته وفي حركة عنيفة ، مزق ضماداته التي تحيط برأسه واقتلع خصلات شعره المستعار . وسرت موجة من التوقع المروع خلال الموجودين في البار . وقال شخص ما : " ياإلهي ! " .

كان منظر الرجل الغريب ، لا مثيل له في رهبته . ووقفت السيدة (هول) فاغرة فاها وقد استبد بها الرعب ، وأخذت تصرخ من بشاعة ما رأت ، ثم اندفعت إلى باب الفندق . وتحرك كل من كان موجوداً في المكان . كانوا مهيئين لرؤية ندوب أو جروح أو تشوهات رهيبة ، ولكن بدلاً من كل هذا .. لم يجدوا إي شيء !!

وأخذت الضمادات وخصلات الشعر المستعار تتطاير عبر الممر ، وحتى البار ، والحاضرون يحاولون تفاديها بقفزات خرقاء ، وتساقط الجميع فوق بعضهم البعض على الدرج . إذ كان الشخص الغريب الذي

ينتصب هناك يصيح بتفسيرات ليس فيها تتابع منطقى، ولم يكن رجلاً كاملاً بل مجرد قوام حتى موضع طوق رقبة المعطف ثم لا شىء .. لا شىء مرئيًا على الإطلاق .. لقد كان بلا رأس ! وأصغى أهل القرية ، للصيحات والصرخات ، فتطلعوا عبر الشارع وشاهدوا فندق (العربة والجياد) يلفظ بعنف كل من كان داخله . وشاهدوا الذين كانوا فى داخل فندق (العربة والجياد) وهم يتدافعون فى فوضى خارجين منه ، وهم يتصايحون ويصرخون كما رأوا السيدة (هول) تسقط على الأرض مغشياً عليها ، والسيد (تيدى هنفرى) يقفز حتى لا يرتطم بها، ثم تناهت إلى أسماعهم الصرخات المفزعة للخادمة (ميللى) التى خرجت فجأة من المطبخ ، لتستطلع أمر الجلبة ، فشاهدت الرجل الذى بلا رأس ، من خلفها . وعلى الفور نزل الجميع إلى الشارع ، وكان بينهم بائع الحلوى ومساعده والأولاد والبنات الصغار والريفيون شديدو التأنق فى ملبسهم ، والفتيات الجميلات ، والغجر الذين يرتدون المآزر - كل هؤلاء أخذوا يسرعون الخطى إلى فندق (العربة والجياد) وفى وقت قصير للغاية وصل عددهم إلى حوالى أربعين فرداً ، وظلوا يتزايدون باطراد . وكانوا يتمايلون ويصيحون ويطرحون أسئلة ويبدون الكثير من الاقتراحات والاستفسارات ، كل هذا أمام فندق السيدة (هول) .

وبدا أن كل شخص منهم ، يتلهف إلى الحديث فى وقت واحد وكانت النتيجة لغطًا وبلبلة، وذهبت جماعة صغيرة من المحتشدين

لمساعدة السيدة (هول) على النهوض ، إذ كانت فى حالة انهيار . وحدث نقاش بين بعض المحتشدين وشاهد عيان أخذ يردد :

" إنه شبح بالتأكيد ! "

تساءل أحدهم : " إذن ماذا كان يفعل ؟ "

" إنه لم يسبب أى أذى للفتاة، أليس كذلك ؟ "

" لقد هاجمهم بسكين " .

" أؤكد لكم أنه كان بلا رأس " .

" هذا قول هراء ! إنها مجرد خدعة " .

" كانت خصلات شعره التى نزعها تجرى خلف الفتاة " .

" لقد انتزع الضمادات " .

وبينما كان المحتشدون يشقون طريقهم بجهد ويتقدمون بصعوبة ، محاولين أن يروا من خلال الباب المفتوح ، قال أحدهم : " توقف الرجل الغريب للحظة ، ثم سمع صرخة فتاة فاستدار بسرعة وهنا رأيت تنورتها ، وأخذ يتبعها . ولم يستغرق هذا سوى عشر ثوان ، ثم عاد وسكين فى إحدى يديه ، وممسكًا برغيف بيده الأخرى ، ووقف ساكنًا ومحدقًا فى شىء ما ، ولم يمر سوى لحظات إلا وقد توجه إلى الباب " .

كانت ثمة ضجة فى الخلف ، وتوقف المتحدث عن الكلام ، ليفسح الطريق لجماعة صغيرة من السائرين وكأنهم فى موكب ، كانوا يسرعون الخطى بتصميم ثابت نحو فندق (العربة والجياد) ، يتقدمهم السيد (هول) راسخ العزم وقد أحمر وجهه بشدة ، ومن خلفه السيد (بوبى جافيرس) كونستابل القرية ثم السيد (ودجرز) الوقور الرزين كان معهم أمراً بالقبض على شخص ما .

ازداد هياج المحتشدين المتحمسين ، وأخذوا يصيحون ويسردون وقائع متضاربة عما حدث ثم طالبوا بالقبض على الساحر ! .

ورد عليهم (جافيرس) الكونستابل قائلاً : " برأس أو بدون رأس ! على أى الحالات سوف أقبض عليه .. ولن يفلت منى " .

وراح السيد (هول) يصعد الدرج متجهًا إلى حجرة الغريب مباشرة ، وفتح بابها بشدة وقال : " أيها الكونستابل .. قم بواجبك ! "

دخل (جافيرس) وخلفه (هول) وأخيراً (ودجرز) . وفى الضوء العاتم للحجرة كان القوام الذى بدون رأس يواجههم ، وكان يمسك قشرة خبز مقضومة فى إحدى يديه المقفزة ، وفى اليد الأخرى قطعة غليظة من الجبن .

صاح (هول) : " هاهو ذا " .

وارتفع صوت تحذير غاضب من أعلى ياقة معطف القوام : " ماهذا بحق الشيطان ؟ "

قال السيد (جافيرس) : " سيدى ! إنك ضيف جدُّ غريب الأطوار ، ولكني سوف أقبض عليك سواء كنت برأس أم بغير رأس ! " .

تقهقر الرجل الغريب إلى الوراء قائلاً : " ابتعد عنى ! " .

وفجأة ألقى على الأرضية بالخبز والجبن ، وهرع السيد (هول) ليأخذ السكين من فوق المائدة قبل أن تصل إليها يد القوام . ونزع الرجل الغريب القفاز الذى يرتديه فى يده اليسرى، ولطم به وجه (جافيرس) ، الذى قبض على معصمه الذى لا يد له ، ثم أمسك بعنقه غير المرئى وركله الغريب بعنف فوق قصبة الساق ، فتأوه من فرط الألم . بيد أنه ظل قابضًا على معصمه .

وقذف السيد (هول) بالسكين عبر المائدة إلى (ودجرز) ليقوم بمهمة الدفاع ، فالتقطها كما يفعل حراس المرمى فى لعبة كرة القدم ، وتقدم إلى الأمام ، بينما كان (جافيرس) والرجل الغريب يشتبكان فى عراك عنيف ، أدى بهما إلى السقوط على الأرضية ، وكان فى طريقهما مقعد ، اصطدما به فتحطم بصوت عال ، عندما هوى الاثنان .

صاح (جافيرس) من بين أسنانه : " إمسكا بقدميه ! " وحاول السيد (هول) أن يتبع تعليمات الكونستابل ، إلا أن تلقى ركلة شديدة من

الرجل الغريب فى أضلاعه شلت حركته لبرهة ، وعندما شاهد السيد (ودجرز) الغريب الذى بلا رأس ، يتدحرج فوق الأرضية ، حتى استطاع أن يجثم فوق (جافيرس) ، فارتد نحو الباب ، وهو يشهر السكين فى يده . وحينئذ اصطدم بالسيد (هوكستر) وسائق إحدى العربات ، اللذان قدما ليساعدا رجل الشرطة فى القيام بواجبه . وفى تلك اللحظات هوت ثلاث أو أربع قنينات من فوق خزانة عالية ، فتهشمت وأشاعت فى جو الغرفة رائحة قوية نفاذه .

صاح الرجل الغريب : " إننى استسلم " .

قالها على الرغم من تغلبه على (جافيرس) وإسقاطه على الأرضية . وبعد هنيهة قام من فوقه ، وكان منظره وقتئذ قد ازداد غرابة وبشاعة . إذ كان بدون رأس ويدين ! وكان قد انتزع قفازه الأيمن أيضًا ، بعد قفاز يده اليسرى . وأردف وهو مقطوع النفس : " هراء " .

وربما كان أغرب شىء فى العالم هو أن يسمع الإنسان صوتًا من مكان خفىّ أو فراغ غير مرئى ولكن الظاهر أن سكان مقاطعة "ساسكس" أكثر واقعية من البشر جميعًا !

وكان (جافيرس) قد نهض بدوره من على الأرضية وأخرج زوجًا من الأصفاد ، ثم تمهل قليلاً ، وقد أدرك صعوبة الأمر كله ، صاح قائلاً :

" اللعنة ! لا أدرى كيف أكبل معصميك الخفيين بالأصفاد ؟ "وأجرى الرجل الغريب ذراعه على صدرته ، وكأنما بمعجزة ، أخذت الأزرار تنفك من تلقاء نفسها ، كلما أشار إليها كمه الفارغ ! ثم قال شيئًا ما عن قصبة ساقه ثم إنحنى إلى أسفل وبدا للجميع وكأنه يتحسس حذاءه وجواربه .

قال (هوكستر) بغتة : " يا للعجب ! إ هذا ليس من البشر على الإطلاق .. انه مجرد ثياب فارغة . انظروا ! يمكنكم أن تروا من خلال ياقته وبطانة ملابسه .. وأستطيع أن أضع ذراعى.."

ومد (هوكستر) ذراعه ، ولكنها التقت بشىء فى منتصف الطريق ، فسحبها بسرعة وهو يصرخ من فرط الدهشة . وصاح صوت الغريب المفعم بالغضب الشديد :

" ابعد أصابعك عن عينى ! الحقيقة أن كلى هنا .. الرأس واليدان والقدمان .. وبقية جسدى .. ولكننى غير مرئى .. خفىّ ! ربما يبدو لكم الأمر وكأنه مجرد هراء ! ولكنها الحقيقة ! وليس هذا مبرراً يدفع كل شخص من أهل قرية (إيبنج) إلى معاملتى بمثل هذه القسوة ! أليس كذلك؟ "

وكانت ثياب الرجل الغريب المفكوكة الأزرار ، معلقة فى فضاء الحجرة على دعامات غير مرئية ، والذراعان موضوعان فى الخاصرة .

وجاء عدد آخر من الرجال إلى الحجرة فازدحمت بهم . قال (هوكستر) متجاهلاً سب الرجل الغريب وشتمه : "غير مرئى ! هل سمع أحدهم عن أمر كهذا من قبل ؟ ! "

انبعث الصوت الخفى يقول : " ربما يبدو الأمر غريبًا ، ولكنه ليس بجريمة على كل حال ، فلِمَ إذن يهاجمنى شرطى على هذا النحو ؟ " .

قال (جافيرس) : " آه .. هذه مسألة أخرى .. لاشك انه من الصعب رؤيتك فى هذا الضوء الخافت ، ولكن لدى أمرًا بالقبض عليك .. وهو صحيح من الناحية القانونية وما اقتفيت أثرك لكونك غير مرئى .. بل بسبب جريمة سطو على أحد البيوت . وسرقة بعض النقود " .

" ثم ماذا ؟ "

" وتشير الظروف إلى .. " .

قال الرجل الخفى : " سخافات وهراء ! "

" أرجو هذا ياسيدى ! ولكن لدى تعليمات يجب أن أنفذها " .

قال الغريب : " سآتى معك .. ولكن دون أصفاد " .

رد (جافيرس) قائلاً : " إنه الأمر المعتاد " .

ولكن الرجل الغريب اشترط ألا يستخدم الشرطى الأصفاد .

قال (جافيرس) : " أرجو المعذرة " .

وجلس الرجل الغريب بغتة ، وقبل أن يدرك أحد ما سوف يفعله ، شاهدوا الحذاء والجوارب والبنطلون ، تقذف جميعها تحت المنضدة ، ثم انتصب واقفًا من جديد ، وخلع معطفه .

وفجــأة أدرك (جافيرس) ما الذى يحــدث ؟ فصــاح قائلاً : " امنعــوه من خلع ملابسه ! " .

ثم هجم عليه وأمسك به من صدرته فتملص منه الرجل الغريب وتركها رخوة وفارغة بين يدى الكونستابل .

صاح (جافيرس) بصوت مدوٍ : " إمسكوا به ! وإلا خلع قميصه فلا يمكن القبض عليه ! "

وصاح كل شخص من الموجودين بالحجرة : " امسكوه ! " .

واندفع الجميع نحو القميص الأبيض الخافق ، الذى أصبح الآن هو كل ما يظهر من الرجل الغريب ، الذى صوّب كُمَّ قميصه إلى وجه (هول) ولطمه بقوة بحيث لم يتمكن من استخدام ذراعه الممدودة فى الدفاع عن نفسه ، بل ارتد إلى الخلف واصطدم بالموظف الكنسى (توشم) . ولم تمر إلا لحظات ، حتى رُفع القميص الأبيض، فأخذ يختلج ويخفق حول الذراعين الخفيين .

تشبث (جافيرس) بالقميص ، ولكنه لم يفلح إلا في المساعدة على خلعه ثم تلقى لطمة فوق فمه جاءته من الهواء . وبعزم لا يلين سحب هراوته وهوى بها على كم القميص ، إلا أن الضربة طاشت وأصابت قمة رأس (هنفرى) بعنف .

وتعالت الصيحات من كل الموجودين : " انتبهوا " ، وأخذ كل واحد يدافع عن نفسه كيفما اتفق ، ويضرب عبثا . وتعالت الأصوات : " إمسكوا به ! أوصدوا الباب ! لا تدعوه يهرب ! لقد أمسكت بشيء ما ! ها هو ذا " .

وأصبح المشهد خليطاً من الأصوات والضجة ، وبدا أن كل شخص من الموجودين يضرب في الوقت نفسه ، وقام (ساندى وادجرز) - بعد أن تلقى لطمة قوية فوق أنفه - بفتح الباب واندفع منه إلى الخارج ، ولكن عندما حاول الآخرون أن يتبعوه ، حوصروا لهنيهة في الركن بجانب مدخل الباب ، بسبب الضربات واللكمات المتلاحقة عليهم ، فكسر السن الأمامى لأحدهم ، وأصيب (هنفرى) في غضروف أذنه . وتلقى (جافيرس) لكمة تحت فكه، وعندما استدار اصطدم بشيء ما - مثل صدر عضلي غير مرئيّ - يقف بينه وبين (هوكستر) في خضم المعركة بحيث لم يتمكنا من الالتقاء معًا. وبعد لحظات ، انتقلت المعركة برمتها إلى الردهة ، فأصبحت مزدحمة بالرجال المهتاجين والمتصارعين .

صاح (جافيرس) : " لقد أمسكت به ! " وكان يترنح وسط الحشد الكثيف الخانق، محمرّ الوجه بارز الأوردة من فرط الانفعال ، يصارع عدوه غير المرئى ! .

تمايل الرجال تجاه اليمين واليسار، بينما كان الصراع غير العادى ينتقل بسرعة تجاه الباب ، ثم أخذ يهبط لولبيا على الدرجات الست للفندق . صرخ (جافيرس) بصوت مختنق - مع أنه كان متماسكًا بقوة ومعتمداً على ركبتيه - ودار حول نفسه ثم سقط بعنف واستقرت رأسه فوق الحصى ، وأنذاك شعر باسترخاء فى أصابعه .

وسمعت صرخات مهتاجة : " أمسكوه ! " .. " شخص خفىّ " وهلم جرا ، وقام شاب غريب عن تلك الناحية وغير معروف الاسم ، بالاندفاع على الفور مشاركًا فى المعركة ، وأمسك بشىء ما ، سرعان ما تملص منه ، وسقط فوق جسم الكونستابل المسجى على الأرض. وفى نحو منتصف الطريق ، صرخت إمرأة إذ شعرت بشىء خفى يدفعها من الخلف ، وأخذ كلب يعوى من فرط الألم بعد إصابته - على الأرجح - برفسة قوية ، ثم ركض إلى فناء بيت (هوكستر) وبهذا تلاشت معالم الرجل الخفىّ .

ومرت برهة ، والناس واقفون مشدوهون ، وقد عقد الخوف ألسنتهم وغشى قلوبهم الذعر، وأخيراً تشتتوا فى أرجاء القرية ، كما تتناثر أوراق الشجر الجافة ، عندما تعصف بها الرياح. أما (جافيرس) فقد ظل راقداً فى سكون ووجهه إلى أعلى وركبتاه منحنيتان .

الفصل الثامن

اجتياز الطريق

الفصل الثامن موجز إلى حد بعيد ، ويروى حكاية (جيبنز) الباحث فى علم التاريخ الطبيعى فى تلك المقاطعة ، إذ بينما كان مضطجعًا فوق أعشاب المراعى الفسيحة الرحبة ، كان وحيداً دون أن يزعجه أى شخص فى محيط دائرة ، تبلغ ثلاثة كيلومترات تقريبًا .

وخيل إليه ، وقد دب النعاس إلى جفنيه ، أنه سمع بالقرب منه صوت رجل يسعل ويعطس ثم يسب ويلعن ، وتلفّت (جيبنز) حوله ولكنه لم يجد أحداً على مرمى البصر . ولكن الصوت كان يقينيًا ، واستمر السباب وتواصلت اللعنات ثم تعالت إلى أن بلغت الذروة ، وأخذت تخفت رويداً كلما تباعدت فى اتجاه قرية "أديربان" . ثم تحولت إلى عطسه تشنجية ، سرعان ما تلاشت .

ولم يكن (جيبنز) قد تناهت إلى أسماعه بعد ، حوادث الصباح التى وقعت فى فندق "الجياد والعربة" بقرية "إيبنج" ، ولكن هذه الظاهرة

العجيبة التى حدثت للتو ، بلغت من الغرابة حداً جعله يفقد رباطة جأشه وهدوء نفسه ، ومن ثم انتصب واقفًا على الفور ، وراح ينهب أرض المنحدر الشديد للتل ، هابطًا فى اتجاه القرية بأسرع ما تستطيع ساقاه أن تحملاه .

الفصل التاسع

السيد (توماس مارفل)

إذا أردت أن تتخيل السيد (توماس مارفل) ، فإنه شخص ذو جبهة عريضة وأنف مدبب طويل وفم متسع مهتز وذقن شعرها خشن وأشعث ، وجسمه يميل إلى البدانة ، وساقاه ويداه قصيرتان . وكان يرتدى قبعة من الحرير مبطنة بالفراء . وكان يستخدم رباط حذاء بديلاً عن الأزرار فى ملابسه ، وينم منظره العام على أنه أعزب .

وكان السيد (توماس مارفل) جالسًا على جانب الطريق فوق التل المؤدى إلى "أديربان" – التى تبعد نحو كيلومتر ونصف من "إيبنج" – يدلى قدميه فى حفرة عميقة بالأرض ، بعد أن خلع حذاءه وكانت أصابعه العارية تبرز من ثقوب واسعة فى جوربه .

وبدا إبهاما قدميه كبيرين وعريضين ، وكانا ينتصبان مثل أذنى كلب حراسة يقظ، وبأسلوبه المتمهل المعتاد ، كان يفكر فى زوج الأحذية الذى يرتديه . وعلى الرغم من أن هذا كان أجمل حذاء ارتداه منذ مدة

طويلة ، فإنه بدا ضخمًا فى قدميه ، وبينما كانت أحذيته الأخرى التى يمتلكها ، مريحة للغاية فى الطقس الجاف ، فإنها كانت ذات نعول رقيقة لا تصلح فى الطقس الرطب . وشعر السيد (توماس مارفل) بالكراهية نحو الحذاء بالنسبة إلى ضخامته على قدميه التى جعلته قبيح المنظر . وفجأة سمع صوتًا ينبعث من خلفه لم يجفل له على الإطلاق :

" إنه حذاء على كل حال "

قال السيد (توماس مارفل) وهو لازال يحدق فى الحذاء باشمئزاز : " لقد وهبه لى أحد الأشخاص على سبيل الصدقة ! وأعتقد أنه أقبح حذاء فى العالم كله " .

قال الصوت : " حقا ! " .

استطرد السيد (توماس مارفل) قائلاً : " الواقع أننى ارتديت ماهو أسوأ منه ، ولكن لم أنتعل حذاء بهذا القبح مطلقًا . لقد كنت أتسول هذه الأحذية، خاصة ذات الرقبة لعدة أيام ، حتى سئمت منها . إن أهل القرية قوم طابت قلوبهم" .

رد الصوت قائلاً : " بل هى قرية وحوش ! زخرت بالخنازير بدلاً من البشر ! " .

قال السيد (توماس مارفل) : " أوافقك الرأى ! ولكن .. يا إلهى ! هذا الحذاء ! " .

وأدار رأسه من فوق كتفه إلى اليمين ، لينظر إلى الحذاء العالى لمحدثه ليجرى مقارنة بحذائه ، ولكنه لم ير سيقانا ولا أحذية ، فأدار رأسه إلى اليسار ، فلم يكن حظه بأحسن منه فى المرة الأولى ، وحينئذ صاح بدهشة بالغة :

" أين أنت ؟ " .

وأخذ يدور فى حلقة على أربعته ، وأخذ يتلفت حوله فلم ير سوى سلسلة من التلال الخالية التى تهب عليها الرياح ، وعلى البعد شاهد شجيرات نبات "الوزال"(*).

تساءل السيد (توماس مارفل) : " هل أنا ثمل ؟ هل تتراءى لى أطياف ؟ هل كنت أتحدث إلى نفسى ؟ ولكن ما الذى ... " .

قاطعة الصوت قائلاً : " لا تفزع " .

. فقفز السيد (توماس مارفل) وانتصب واقفا وهو يقول :

" إن التكلم من البطن لا يفزعنى ! ولكن أين أنت ؟ "

عاد الصوت يكرر : " لا تفزع " .

(*) نبات ينمو فى أوروبا يتميز بأزهاره الصفراء (المترجم) .

قال السيد (توماس مارفل) : " بل أنت الذى سوف ينتابك الفزع بعد برهة !

نعم أيها الغبى الأحمق ! أين أنت ؟ دع نظرى يسقط عليك ! .. "

واستطرد بعد برهة : " .. هل أنت مدفون تحت الأرض ؟ "

ولم يُعر الصوت جوابا . وكان السيد (توماس مارفل) يقف دون حذاء متحيراً ، وقد أوشك أن يخلع سترته .

وسمع صوت صفير طائر " أبو طيط "على البعد . فقال : " صوت طائر ! إن الوقت لا يناسب الصفير أيها الأبله ! " .

وكان التل مقفراً لا حياة فيه ، من جميع الجهات شرقًا وغربيًا ، شمالاً وجنوبيًا ، وكان الطريق يمتد قفراً وفارغًا شمالاً وجنوبيًا إلا من تلك الحفر الضحلة والأوتاد البيضاء التى توجد على جانبيه . وكانت السماء خالية أيضًا ، فيما عدا طائر "أبو طيط" هذا .

أعاد السيد (توماس مارفل) سترته إلى كتفيه من جديد ، وغمغم قائلاً :

" إن الخمر هى التى هيأت لى كل هذا ! كان يجب أن أعرف "

قال الصوت : " إنها ليست الخمر ! احتفظ برباطة جأشك ! " .

فصاح السيد (مارفل) وقد ابيّض وجهه : "أوه !" وأخذت شفتاه تردد بصوت غير مسموع : " أجل إنها الخمر " وظل يحدق فيما حوله ، ثم أخذ يدور ببطء إلى الخلف ، وهمس قائلاً : " .. أستطيع أن أقسم إننى سمعت صوتًا " .

"بكل تأكيد، .. إنك سمعت صوتًا " .

قال السيد (مارفل) وهو يغلق عينيه ويمر بيديه على حاجبيه فى حركة عصبية .

" هاهو ذا الصوت من جديد " .

وفجأة أمسك به من ياقته شيء ما يهزّه بعنف ، مما جعله مذهولاً أكثر من أى وقت مضى وقال الصوت : " لا تكن أبله " .

قال السيد (مارفل) : " إننى أكاد أفقد الوعى ! لا أدرى ما الذى حدث لى ! لقد كنا نتحدث عن الأحذية ، ولكنى لم أستطع رؤية محدثى ! فهل هى الأرواح ؟ "

قال الصوت : " لا الخمر .. ولا الأرواح .. أنصت ! " .

قال السيد (مارفل) : " ياالحماقتى ؟ !

وقال الصوت بحدة وبنبرات متهدجة من تأثير ضبط النفس : " اسمعنى دقيقة واحدة " .

رد السيد (توماس مارفل) ، ولديه إحساس غريب بإصبع يغرس في صدره : " حسنا؟"

" هل تظن أنني لست إلا من نسج الخيال ؟ مجرد خيال محضٍ ؟

أجاب السيد (توماس مارفل) وهو يحك مؤخر عنقه : " هل أظنك غير هذا ؟ "

قال الصوت بنبرة ارتياح : " حسن جداً ! إذن سوف أرميك بالحجارة حتى تغير رأيك ! "

" ولكن أين أنت ؟ "

ولم يُعر الصوت جوابًا ، وإنما سمع أزيز حجر يأتي من الهواء ، أخطأ كتف السيد (مارفل) بعدة سنتيمترات فقط ، ثم التفت لمصدر القذف فإذا بحجر آخر يقفز إلى أعلى في الهواء ، ويتخذ مسارًا معقدًا ، ويقف لهنيهة ثم يندفع في اتجاه قدميه . ومنعته حالة الذهول الشديدة التي أصابته من أن يتفادى هذه الضربة . وألقى حجر ثالث فأصاب إبهام قدمه العاري ثم ارتد إلى داخل الحفرة .

قفز السيد (توماس مارفل) وصرخ عاليًا من شدة الألم ، ثم حاول أن يركض ولكنه تعثر في عائق غير مرئي ، فانقلب رأسًا على عقب متخذا وضع الجلوس .

قال الصوت : " والآن ! هل أنا مجرد خيال ؟ "

وكان ثمة حجر آخر معلق عاليا في الهواء ، فوق رأس السيد (مارفل) الذى بذل جهداً مضنيًا حتى استطاع الوقوف على قدميه ، ولكنه أُلقى على الأرض من فوره ، وبقى ساكنًا لبرهة وجيزة . قال الصوت : " إذا بذلت أية محاولة للمقاومة ، فسأقذف رأسك بهذا الحجر " .

اعتدل السيد (مارفل) فى جلسته ، وأمسك إبهام قدمه المجروح بيده ، وعيناه مثبتتان على الحجر المعلق فى الهواء، الذى يشبه قذيفة توشك على الانقضاض :

" يا إلهى ! إننى لا أفهم ما الذى يحدث ! الأحجار تُقذف من تلقاء نفسها .. الأحجار تتكلم .. اهبط إلى الأرض أيها الحجر المعلق فى الهواء .. ابتعد عنى .. لقد قضى على ! " .

وسقط الحجر المعلق فى الهواء .. وكأنما بفعل معجزة !

قال الصوت : " الأمر أبسط مما تظن ! فأنا شخص خفىّ ! "

رد السيد (مارفل) وهو يتنفس بصعوبة من فرط الألم : " أنبئنى بشىء لا أعرفه ، أين تختفى ؟ وكيف فعلت هذا ؟ لا أعلم ! إننى فى حيرة من أمرى "

أجابه الصوت بتؤدة : " هذا كل ماهناك .. فأنا خفىّ .. لا يرانى أحد .. وأريدك أن تفهم الأمر على حقيقته " .

قال (السيد مارفل) : " إنه أمر واضح لكل إنسان ، ولا حاجة بك أن تضيق بى ذرعًا ! والآن أعطنا فكرة عن كيفية اختفائك عن الأنظار ؟"

"المسألة الهامة هى أننى خفىّ ! والذى أريدك أن تفهمه هو هذا ... "

قاطعه السيد (مارفل) قائلا : " فى جوار أى مكان ! "

" هنا .. أمامك على بعد نحو خمسة أمتار " .

رد السيد (مارفل) بقوله : " محض هُرَاء ! هل تظننى أعمى ؟ لعلك تخبرنى بعدئذ أنك مجرد هواء رقيق ! لا تظننى شخصًا جاهلاً ! "

" نعم ، إننى هواء رقيق ! وأنت تنظر الآن من خلال جسدى ! "

" ماذا تقول ؟ أليس لك كيان مادى ؟ هل أنت مجرد صوت .. وثرثرة ؟ "

" إننى مخلوق بشرى ذو شكل وحجم .. فى احتياج إلى طعام وشراب وكساء أيضًا .. ولكنى غير مرئىّ .. أتفهم هذا ؟ غير مرئىّ .. مسألة بسيطة .. أنا خفى ! "

" إذن أنت إنسان حقيقى ! "

" نعم، إنسان حقيقى " .

قال السيد (مارفل) : " إذا كنت صادقا فيما تقول ، دعنى ألمس يدك لأتأكد ، ولن يكون الأمر غريبًا ! يا إلهى ! كيف أمكنك أن تجعلنى أقفز على هذا النحو ، وأنت تمسكنى بقبضتك القوية ! "

ثم شعر السيد (مارفل) بيد قوية تقبض على معصمه وتضغط على أصابعه ، وأمكنه أن يتحسس – متهيبا – أعلى ذراع محدثه الخفىّ ويلمس صدره العضلى ويكشف أن له لحية مرسلة ، فبدت على وجهه أمارات الدهشة البالغة ، وصاح قائلاً : " يا إلهى ! إننى أكاد أجن .. إن هذا أعجب شىء رأيته فى حياتى ! ومع ذلك ففى إمكانى أن أرى أرنبا بريا على بعد نصف كيلومتر خلال جسمك الشفاف ! حقا ليس فيك ما هو مرئى إلا .. "، ثم أخذ يتفحص بإمعان ما بدا له وجهًا غير مرئى وتساءل بينما كان يمسك بالذراع الخفيّة : " هل كنت تأكل خبزًا وجبنا ؟ "

أجابه الرجل الخفى قائلاً : " نعم إنك على حق ! وحتى لم يتم هضمها بعد داخل جسمى "

قال السيد (مارفل) : " أوه ! هذا حدث خارق للطبيعة ! "

" بالطبع ، إن الأمر برمته ليس غريبا ، كما قد تظن ! "

رد السيد (مارفل) قائلاً : إن فيه من الغرابة ما يكفى حاجاتى المتواضعة ! ولكن كيف استطعت أن تخفى نفسك ؟ أرجوك أخبرنى ! "

" إنها قصة طويلة ، بالإضافة إلى ... "

قاطعه السيد (مارفل) بقوله : " إن الأمر كله يصيبنى بالذهول ! "

" إن ما أود قوله فى الوقت الحاضر : إننى أطلب المعونة . إذ عندما قابلتك بالصدفة كنت أتجول لا ألوى على شىء وأنا أتحرق غضبا ، وأتضور جوعًا .. عاريا ... وقد نال منى الضعف والوهن . وكان يمكننى أن أتهور وأرتكب جريمة قتل ! حتى رأيتك .. "

قال السيد (مارفل) : " رباه ! "

" وقفت خلفك .. وترددت لبرهة .. ثم تجاوزتك بعدة خطوات " .

وأصبحت الإيماءات فوق وجه السيد (مارفل) تعبر بوضوح عما يختلج فى نفسه .. من ذهول .. واستطرد الرجل الخفىّ : " وتوقفت من جديد وقلت لنفسى : هذا رجل منبوذ من المجتمع مثلى ، إنه الرجل الذى أحتاج إليه ! وعدت أدراجى لأقترب منك وأتحدث إليك "

قال السيد (مارفل) : " يا إلهى ! لقد أصابنى الدوار . اسمح لى أن أسألك . كيف يمكننى أن أساعدك ، أيها الرجل الخفى ؟ ! "

" أتوسل إليك أن تقدم لى ثيابا ومأوى وأشياء أخرى ، فارقتها وقتا طويلاً ، وإذا لم تساعدنى .. لا .. بل يجب أن تساعدنى ! "

قال السيد (مارف) متحيراً : " حسنًا ، إننى فى حالة ذهول ! ولكن أرجو ألا تضربنى من الآن فصاعداً . ودعنى أذهب إلى حال سبيلى لأفكر قليلاً فيما حدث لقد كدت أن تكسر إبهام قدمى. إن الأمر برمته غير عقلانى . كنت جالسا على جانب الطريق وحيدا ، وليس على مرمى البصر سوى التلال الخالية ، والسماء الصافية ، ثم فجأة أسمع صوتا بجانبى وكأنه يأتى من أحشاء الفضاء ! ثم حجارة تلقى على ! وقبضة يد غير مرئية ! يا إلهى لماذا يحدث لى كل هذا؟"

صاح الصوت : " اجمع شتات نفسك ! لأن عليك أن تقوم بالعمل الذى اخترته لك " ، لهث السيد (مارفل) وأخذ ينفخ الهواء من فمه وراح يدور بعينيه فيما حوله ، بينما استطرد الصوت قائلا : " لقد اخترتك ، لأنك الرجل الوحيد – إذا استثنينا بعض أولئك البلهاء فى القرية – الذى يعرف شيئا عن الرجل الخفىّ ! ستكون مساعدى من الآن فصاعدا .. ساعدنى وسوف أكافئك . فإن الرجل الخفىّ ذا قوةٍ وبطشٍ " وأمسك عن الكلام هنيهة وسمع السيد (مارفل) عطسة شديدة .

وعاد الرجل الخفى يقول : " ولكنك إذا خدعتنى .. أو فشلت فى تنفيذ ما أمرتك به.. "

توقف وأحس السيد (مارفل) بيد قوية تهوى على كتفه . فصاح مرتاعا عندما شعر بلمسة اليد ، وقال وهو يبتعد عن مسار أصابع تلك اليد التى لا يراها ، ولكنه يقدر مكانها : " ليس فى نيتى أن أخدعك ، فلا تفكر فى شيء من هذا ! كل ما أريده أن أساعدك وأنفذ طلباتك .. وعليك الأمر وعلىّ الطاعة .. وأقسم لك على هذا ! كل ما تتوق نفسك إليه .. سوف أبذل ما أستطيع من جهد لأقوم به ."

الفصل العاشر

زيارة السيد (مارفل) لقرية "إيبنج"

فى إثر تبدد وطأة الذعر بسبب العاصفة التى سادت قرية "إيبنج" ، احتدمت المناقشات ، وغلب عليها النزوع إلى الشك غير المبرر ، ولكنه شك على كل حال ، فالبعض لا يؤمن بالرجل الخفى ، أما البعض الآخر الذى شاهده أو أحس بضرباته الموجعة ، فقد تبخروا فى الهواء ! ولم يكن يتجاوز عددهم عشرة أفراد .

وكان السيد (ود جرز) من بين هؤلاء الشهود ، ولكنه اختفى داخل منزله بعد أن أغلق على نفسه الباب بالمزلاج ، أما السيد (جافيرس) فقد كان ممدداً فى ردهة فندق "العربة والجياد".

إن الأفكار الغريبة التى تتجاوز التجربة الإنسانية ، تكون عادة أقل تأثيرا فى الرجال والنساء من الوقائع المادية الملموسة .

فى ذلك الوقت ، كانت قرية "إيبنج" فى أبهى حلة ، وارتدى كل السكان ملابس العيد احتفالا بعيد العنصرة، الذى كانوا ينتظرونه منذ

شـهر أو أكثـر . وفى عصر ذلك اليوم ، أخـذ المؤمنون بالرجل الخـفى يذيعون حـوله شتى الإشاعات، وأنه قـد رحل بعيداً عن القـرية . ثم عاد المؤمنون والشكاكون على حد سـواء للاحتفال بالعيد ، متسمين بالود والمؤانسة .

واحتفل أهلى مروج "هايزمان" بهذا العيد بإقامة خيمة كبيرة ، وداخلها أعدت السيدة (بوبنتج) وسيدات أخريات ، الشاى ، بينما أخذ أطفال مدرسة الأحد يتسابقون ويقومون ببعض الألعاب ، تحت إشراف مساعد القس ومس (كوس) ومس (ساكبوت) .

وبلا ريب أنه كانت ثمة مسحة من القلق تغلِّفُ جو المكان . وفى معظم الأحيان كان الناس يخفون ما يعانون منه من شعور مفاجئ بعدم الارتياح . وفى القرية كانت تتدلى هذه الخيوط التى تم تعليقها للزينة ، وتحتها كان هناك من يمارس لعبة دفع الأثقال ، حيث تصطدم بشىء ما على الطرف الآخر ، وهذه اللعبة كانت تستهوى المراهقين لإثبات قواهم أمام الجموع الحاشدة . كما كانت هناك أرجوحات للأطفال ، ومن خلفها وضعت آلات تنبعث منها أبخرة ذات رائحة نفاذة تملأ هواء المكان ، وهى تتناغم مع الموسيقى الصاخبة التى تشتد من حين لآخر متزامنة مع فعاليات هذه الألعاب المحببة .

وكان أعضاء النادى الذين حضروا الصلاة فى الكنيسة هذا الصباح ، قد تجمعوا بأوسمتهم الأنيقة وقد وضعوا عليها شارات

صغيرة زاهية بعضها كان قرمزيا والبعض الآخر أخضر، كذلك كانت تزين قبعات الشباب منهم شرائط متألقة الألوان تثير البهجة .

أما السيد (فليتشر) العجوز الذى كانت له مفاهيمه الخاصة عن كيفية قضاء الإجازات ، فقد كانت نوافذه تزينها زهور الياسمين ، وكذلك يمكن مشاهدتها فى كل مكان من خلال الباب المفتوح. وكان السيد (فليتشر) يقف فوق لوح خشبى سميك موضوع باحتراس فوق مقعدين متباعدين ، ويقوم بطلاء سقف حجرته الأمامية باللون الأبيض .

وفى نحو الساعة الرابعة بعد الظهر دلف إلى القرية رجل غريب من جهة التلال وكان قصيرا بدينا يرتدى قبعة عالية رثة غير مألوفة ، وكان يلتقط أنفاسه بصعوبة ، كما بدت أوداجه منتفخة متوردة ووجهه محتقنا وحركاته مضطربة .

انحدر هذا الغريب من ركن الكنيسة ثم اتجه إلى الطريق المؤدى لفندق "العربة والجياد" وتذكر بعض رجال القرية أنهم شاهدوه من قبل ، وكان من بينهم العجوز (فليتشر) ، الذى فزع من رؤية الرجل حتى إنه غفل عن فرشاة الدهان فتقاطر منها الطلاء الأبيض على كم معطفه .

وقد بدا الرجل وهو ينظر إلى مايزخر به المكان من زينات ، وكأنه يكلم نفسه ولاحظ السيد (هوكستر) الشيء نفسه ، عندما رآه يصل أول الدرج فى فندق "العربة والجياد" .

وكان مما أثار حفيظة السيد (هوكستر) أن هذا الرجل قد توقف برهة يصارع شعورا ما بداخله قبل أن يقنع نفسه بالدخول إلى الفندق .

وفى نهاية الأمر ، ارتقى الدرج وشاهده السيد (هوكستر) وهو يتجه إلى اليسار ويفتح باب الردهة ، ثم سمع السيد (هوكستر) أصواتًا تنبعث من إحدى الغرف وكذلك من البار تدل على استياء الموجودين من دخول الرجل المفاجئ ، وارتفع صوت السيد (هول) وهو يقول باستهجان " هذه الحجرة خاصة" فما كان من الغريب إلا أن صفق الباب بعنف واتجه إلى البار" .

وفى غضون دقائق معدودة عاود الرجل الظهور من جديد ، وهو يمسح شفتيه بظهر يده ويبدو عليه شعور دفين بالرضا ، مما استثار السيد (هوكستر) بطريقة ما ثم وقف الرجل القصير ينظر حواليه لبضع لحظات، وحينئذ رآه السيد (هوكستر) وهو يترنح بطريقة غريبة فى اتجاه بوابات الساحة، التى تطل عليها نوافذ ردهة الفندق المفتوحة .

وبعد فترة من التردد انزوى الرجل إلى جانب إحدى البوابات ، وأخرج من جيبه غليونا قصيرا من الخزف ، واستعد لحشوه بالتبغ ، وكانت يداه ترتعدان وهو يقوم بذلك. ثم أشعل التبغ بتثاقل وضم

ذراعيه وبدأ فى التدخين بطريقة فاترة وهو يجول ببصره فى كل أنحاء الساحة.

كل هذا شاهده مستر (هوكستر) بينما كان ينظر من النافذة ، وبسبب غرابة تصرفات الرجل القصير استمر السيد (هوكستر) فى مراقبته ليدرك حقيقة أمره .

وبعد قليل ، نهض الغريب فجأة ووضع غليونه فى جيبه ثم اختفى فى الساحة وتصور السيد (هوكستر) أنه الشاهد الوحيد الذى رأى حادث سرقة ، فأسرع يبحث عن هذا الرجل الغريب الذى افترض أن يكون لصا. قفز السيد (هوكستر) من فوق الحاجز داخل متجره ، وخرج يركض فى الطريق لتتبع أثر اللص ، وما أن بدأ فى المطاردة حتى ظهر السيد (مارفل) مرة أخرى وقبعته منحرفة على رأسه وكان يمسك فى إحدى يديه صرّة كبيرة ملفوفة فى مفرش منضدة أزرق اللون ، وفى الأخرى ثلاثة كتب ضخمة شدت بعضها إلى بعض – كما اتضح فيما بعد – بواسطة حمالات بنطلون القس.

وما أن شاهد السيد (هوكستر) أمامه ، حتى شهق شهقة عظيمة واستدار بسرعة إلى جهة اليسار وبدأ فى العدْو . وعندئذ أخذ السيد (هوكستر) يصرخ وهو يطارده : " أوقفوا اللص " ورأى الرجل القصير أمامه ، وهو يشق طريقه بخطوات حثيثة إلى ركن الكنيسة ثم عبر الطريق المؤدى إلى التل وشاهد من خلفه بيارق ومراسم احتفالات

القرية ، والتفت إليه شخص أو شخصان وعاد (هوكستر) يصرخ بأعلى صوته : " توقف ! " .

ولم يكد يعدو عشر خطوات أخرى ، حتى شعر بأن ساقه قد تقلّصت فجأة ، وأصبح غير قادر على الاستمرار فى الركض ، ولم يدر إلا وهو يطير فى الهواء بسرعة فائقة وشاهد الأرض وهى تقترب فجأة من وجهه . وفى هذه اللحظات بدت له الدنيا وقد أصبحت ملايين من نقاط الضوء على هيئة دوّامات وما حدث بعد ذلك لم يعرف عنه شيئا، فقط سقط مغشيا عليه .

الفصل الحادى عشر

فى فندق العربة والجياد

والآن حتى نستطيع أن نتفهم بوضوح ما الذى حدث فى الفندق ، يجب علينا أن نعود إلى الخلف ، إلى اللحظات التى شاهد فيها السيد (هوكستر) – لأول مرة تحت نافذته – السيد (مارفل) .

وفى هذه الفترة بالتحديد ، كان السيد (كوس) والسيد (بوتنج) فى ردهة الفندق ، يقومان بالتحقيق والتفحص باهتمام فى حوادث الصباح العجيبة ، ثم أخذا يفتشان بدقة فى الأغراض الشخصية للرجل الخفىّ ، بعد أن حصلا على إذن من مســتر (هول) .

وكان السيد (جافيــرس) قد أفـاق جزئيا من غيبــوبته ، وعاده إلى منزله مصحوبًا بأصدقائه المتعاطفين معه . فى حين جمــعت السـيدة (هول) ملابس الرجل الغـريب المبعثرة ، وأعــادت ترتيب حجرته .

وفوق المنضدة التى تحت النافذة – حيث كان الغريب عادة يعمل – عثر السيد (كوس) على ثلاثة كتب ضخمة مكتوبة بخط اليد ، ومعنونةً "مذكرات يومية" .

قال (كوس) وهو يرتب الكتب فوق بعضها البعض : " مذكرات يومية ! الآن سوف نعرف شيئا ما " .

كان القس يضع يديه فوق المنضدة . كرر (كوس) قوله : " مذكرات يومية" ثم جلس وهو يسند الكتاب الثالث بكتابين ، وفتح أحدهما وقال : " عجبا! لا يوجد اسم على الورقة الغفْل بل مجرد حروف رمزية متشابكة وأرقام ! " استدار القس لينظر من فوق كتفه . أخذ (كوس) يقلّب صفحات الكتب وفجأة بدت على وجهه علامات خيبة الأمل وقال : " يا للعجب ! إن كلها حروف رمزية متشابكة ! يا (بوتنج) ! إننى لا أفهم منها شيئا ! " .

تساءل (بوتنج) قائلاً : " أليس فيها رسومات توضيحية ولا صور ، تلقى الضوء على .. " قاطعه السيد (كوس) بقوله : " انظر إليها بنفسك ! يبدو أن البعض منها معادلات رياضية والبعض الآخر باللغتين الروسية واليونانية أو ربما بلغة أخرى ! أعتقد أنك تعرف اللغة اليونانية" .

قال (بوتنج) : "آه .. بالطبع ..". وأخرج منظاره وأخذ يمسحه وقد انتابه فجأة شعور بعدم الارتياح ، لأنه نسى ما كان يعرفه من اللغة اليونانية ثم استطرد :

" .. نعم ، إن المكتوب باللغة اليونانية ، سوف يقدم مفتاحًا لحل لغز الرجل الغريب ! "

" سوف أهيئ لك مكانًا " .

قال (بوتنج) وهو لا يزال يمسح نظارته . "الواقع أننى أفضل إلقاء نظرة شاملة على الكتب الثلاثة أولاً ثم نبحث عن الأدلة التى تفسر هذا الأمر العجيب " .

وسعل ووضع نظارته فوق عينيه بتؤدة ، ثم سعل من جديد وتمنى فى هذه اللحظات أن يحدث شيء ما ، ينقذه من هذا الموقف الحرج الذى يواجهه . وتناول الكتاب الذى قدمه له (كوس) على مهل ثم حدث بالفعل شيء ما ، كما تمنى ! .

إذ فتح الباب بغتة . وجفل الرجلان بعنف ثم استدارا بسرعة ولكن سُرِّى عنهما عندما وجدا وجها ورديا ، تحت قبعة رثة من الحرير المبطن بالفراء .

قال الرجل : "هل هنا البار ؟ "، ثم وقف يحدق فى الرجلين وهو يمسك بيده الباب وهو مفتوح ، رد الرجلان فى الوقت نفسه : " كلا " .

قال السيد (بوتنج) : " فى الناحية الأخرى من الفندق " .

وقال السيد (كوس) بضيق صدر : " نرجو أن تغلق الباب خلفك " .

رد المتطفل بصوت خفيض : "حسنا ! أنت على حق ! أفسح الطريق!"، واختفى بعد أن أوصد الباب خلفه .

قال السيد (بوتنج) : " إنه بحار حسب ظنى ! إن البحارة قوم مرحون ! أفسح الطريق ! بحق ! إنه اصطلاح بحرى أعتقد أنه يعنى به مغادرته الحجرة إلى الخارج من حيث أتى ! "

قال السيد (كوس) : " أوافقك الرأى ! إن أعصابى متهيجة وترتجف! وهذا ما جعلنى أجفل بعنف حين فتح الباب فجأة بهذا الشكل " .

وابتسم السيد (بوتنج) وكأنه لم يجفل هو أيضًا ، ثم قال وهو يتنهد : " والآن ، دعنا نفحص هذه الكتب " .

وقال : " لحظة واحدة .. ! " وذهب ليحكم غلق الباب ثم استطرد قائلاً : " .. الآن أعتقد أنه لن يزعجنا أحد " .

ما إن انتهى السيد (كوس) من حديثه ، حتى أخذ شخص ما نفسًا عميقًا .

قال السيد (بوتنج) وهو يسحب مقعداً إلى جانب مقعد (كوس) : " شيء واحد غير قابل للنقاش، إن ثمة أموراً بالغة الغرابة حدثت في "إيبنج" خلال الأيام القليلة الماضية . ولكنى لا أسلم بوجود رجل خفى " .

رد (كوس) قائلاً : " أعلم أن هذا الأمر لا يصدق ! لكن تظل الحقيقة قائمة .. بأن بصرى نفذ من خلال كمه " .

" ولكن هل أنت واثق من هذا ؟ افترض – على سبيل المثال – أن هناك مرآة فى مكان ما أو إدراك خاطئ للأحداث .. لعله عمل من أعمال الشعوذة .. ألم تر أبداً مشعوذاً ماهراً ؟!"

" إننى على ثقة مما شاهدت ! والآن دعنا نناقش الأمر بشكل شامل في وجود هذه الكتب الثلاثة .. هاهى حروف اللغة اليونانية " .

وأشار إلى منتصف صفحة فى أحد الكتب . تورد وجه (بوتنج) خجلاً ، ثم انحنى واقترب من الصفحة يتفرس فى الحروف محاولاً كشف رموزها ، وبدا واضحًا أنه يعانى مشكلة فى الرؤية الواضحة بنظارته . وفجأة شعر السيد (بوتنج) بإحساس غريب عند مؤخرة عنقه ، وحاول أن يرفع رأسه ، ولكنه لقى مقاومة شديدة . كان الشعور العجيب يتمثل فى يد قوية تضغط على قفاه مما جعله لا يستطيع تحريك ذقنه من فوق المنضدة .

وسمعا صوتًا هامسًا يقول : " لا تتحركا أيها الرجلان الحقيران ! وإلا هشمت رأسيكما .."

اختلس (بوتنج) نظره إلى وجه (كوس) القريب منه ، وشاهد كلاهما على وجه الآخر ، رعباً مروعًا . استطرد الصوت الغامض قائلاً : " يؤسفنى أن أعاملكما بخشونة ! ولكن منذ متى تعلمتما العبث بممتلكات الغير الشخصية ؟ "

ثم ضغط على رأسيهما في الوقت نفسه ودق المنضدة بذقنيهما ، فأحسا بأسنانهما تصطك وسكت لبرهة ثم واصل : " منذ متى تعلمتما اقتحام غرفة رجل أثناء غيابه ؟ "

وأعاد الضغط على عنقيهما .. ثم استرسل : " .. أين وضعوا ثيابى"؟ استمعا لى جيداً . إن النوافذ موصدة ومفتاح الباب معى . وأنا رجل قوى إلى حد بعيد ، والقضيب المحرك لوقود المدفأة فى متناول يدى ، بالإضافة إلى كونى خفيًا . ويمكننى إذا شئت أن أقتلكما – كليكما – وأفر هاربًا بسهولة ، هل تفهمانى جيداً ؟ حسنًا . فإذا أطلقت سراحكما ، هل تعدانى بعدم ارتكاب أية حماقة، وتفعلان ما آمركما به ؟ "

ونظر القس والطبيب بعضهما إلى بعض ثم قالا فى صوت واحد : " لك ما تريد، " وعندئذ خف الضغط على عنقيهما ، فجلس الرجلان وقد

تدفقت الدماء إلى وجهيهما وارتعدت أطرافهما من شدة الرعب . قال الرجل الخفىّ : " أرجو أن تمكثا جالسين فى مكانيكما ! انظرا هاهو قضيب المدفأة فى يدى .. ! " وأخذ يحرك قضيب المدفأة فى الهواء ويلمس به أرنبتى أنفى القس والطبيب ، ثم استرسل : " حين جئت إلى هذه الغرفة ، لم أتوقع أن أجدها مشغولة ، بل توقعت أن أعثر فيها على ملابسى ، أين هى؟ لا تنهضا .. إننى لا أراها فقد اختفت . إننى أريدها على الرغم من أن النهار فى هذه الأيام يميل إلى الدفء ويمكن للرجل الخفىّ أن يتجول فيه عارياً دون ملابس ، إلا أن المساء قارص البرودة ، ومن ثم أحتاج إلى ملابسى ، وكذلك لهذه الكتب الثلاثة ! "

الفصل الثانى عشر

الرجل الخفىّ يفقد أعصابه

لا مفر من أن يتوقف الراوى عند هـذه النقـطة ، لسبب جدِ مؤلم سوف يتضـح بعد قليل .

بينما كانت هذه الأحداث التى سردتها تدور فى حجرة الرجل الخفى ، وبينما كان السيد (هوكستر) يرقب السيد (مارفل) وهو يدخن غليونه عند باب الفندق . وعلى بعد عدة أمتار منه كان هناك السيد (هول) و(تيدى هنفرى) اللذان كانا يتناقشان وهما فى حيرة بالغة ، حول ما جرى فى قرية "إيبنج" منذ هبوط الرجل الغريب .

وفجأة سمعوا شيئا ثقيلا يسقط بصوت مكتوم خلف باب الردهة ، تبعته صرخة حادة ثم ران السكون على المكان .. صاح (تيدى هنفرى) : " ما هذا ؟ "

وجاء صوت من حانة الفندق : " ما هذا ؟ "

كان من عادة السـيد (هـول) أن يأخذ الأمور بتمعن وتؤدة فقال : " إنه أمر غير طبيعي" .

لف حول الحانة في اتجاه الردهة ، واقترب مع (تيدى) من الباب وهما عاقدان العزم ثم تلاقت أعينهما . فقال (هول) : " ثمة خطأ ما " .

فأومأ (تيدى) برأسه موافقا بعد أن شم هبات من رائحة كيميائية نفاذة غير مستحبة، وسمعا مناقشة بصوت مكتوم ، كانت الكلمات متلاحقة بسرعة كبيرة . طرق السيد (هول) الباب قائلاً : " سيدى ! هل أنت بخير ؟ "

وانقطع الحديث بغتة ، ومضت لحظة سكون ثم استؤنفت المناقشة على شكل همسات وأعقبتها صرخة حادة وصياح : "كلا ! كلا ! لا تفعل ذلك " .

ثم سمعا حركة مفاجئة وسقوط مقعد وعراكًا قصير الأمد ، وعاد الصمت يخيم على الحجرة . تساءل (هنفرى) بصوت خفيض : " ماذا حدث ؟ "

وعاد السيد (هول) يكرر سؤاله بحدة : " سيدى ! هل .. أنت .. بخير ؟ "

أجاب القس من الداخل بصوت نبراته مرتعشة : " كل شيء على ما يرام ! نرجو ألا تزعجونا ! "

غمغم السيد (هنفرى) : " أمر غريب "، ووافقه السيد (هول) .

قال السيد (هنفرى) : " قال لا تزعجونا " !

رد (هول) قائلاً : "لقد سمعته " .

استطرد السيد (هنفرى) : " .. وكانت هناك شهقة"

وظلا يرهفان السمع . وكانت الكلمات تتلاحق فى الداخل .

قال السيد (بونتنج) وصوته يتصاعد : " لا أستطيع . إننى أقول لك ياسيدى .. لن أفعل " .

تساءل (هنفرى) : " مع من يتحدث ؟ "

أجابه (هول) : " بالتأكيد لم يكن يتحدث إلينا " .

همس السيد (هنفرى) : " أمر مشين ! "

رد السيد (هول) : " بالتأكيد ، لقد سمعت كلامه بوضوح " .

تساءل (هنفرى) : " من الذى يتحدث الآن ؟ "

رد (هول) قائلاً : " أعتقد أنه السيد (كوس) ، هل تستطيع أن تسمع شيئا ؟ "

لم يكن هناك سوى الصمت ، وغدت الأصوات فى الداخل غير واضحة ومحيرة .

قال (هول) : " يخيل إليّ أن ثمة صوت إلقاء لغطاء المائدة على الأرضية " .

وظهرت السيدة (هول) خلف الحانة ، وأشار إليها زوجها بالتزام الصمت والقدوم إليه . وأغاظها ذلك فصاحت بانفعال : " (هول) ! ماذا تسمع عندك ؟ أليس لديك ما تفعله ، فى يوم حافل بالشغل كهذا سوى التنصت خلف الأبواب ؟ "

وحاول زوجها أن يسكتها بالإيماءات والإشارات دون جدوى ، فقد كانت السيدة (هول) عنيدة وبدأت ترفع صوتها ، ومن ثم لم يجد (هول) و(هنفرى) بداً من النزول على أطراف أصابعهما إلى الحانة ، وعندما شرح لها زوجها ما حدث ، رفضت فى البداية أن تصدق شيئا مما سمعاه .

ثم أصرت ألا يتفوه (هول) بكلمة واحدة وأن يبقى صامتًا ، بينما أخذ (هنفرى) يسرد عليها ما حدث من وجهة نظره . وكانت تميل إلى الاعتقاد بأن الأمر كله هراء، وربما كانا يحركان بعض قطع الأثاث من أماكنها .

قال (هول) : " لقد سمعتهما يقولان : "أمر مشين " .

وقال (هنفرى) مؤمنا : " نعم، سمعت ذلك أيتها السيدة (هول) " .

وبدأت السيدة (هول) بقولها : " وكأن الأمر مجرد .. "

قاطعها السيد (تيدى هنفرى) قائلاً : " أنصتا ! هل تسمعان صوت صرير نافذة ؟ "

تساءلت السيدة (هول) : " أية نافذة ؟ "

أجاب (هنفرى) بقوله : " نافذة الردهة " .

ووقف الجميع يرهفون السمع ، وكانت السيدة (هول) تبصر أمامها مباشرة ، فشاهدت باب الفندق المستطيل المتألق ، والطريق الأبيض والمشرق ، وعلى واجهة متجر (هوكستر) التى تسطع عليها شمس يونيو ، وفجأة فتح باب المتجر وظهر (هوكستر) يحدق بعينين مضطربتين ويلوح بذراعيه ، وصاح قائلاً : " امسكوا اللص ! " أخذ يركض وعبر الباب فى اتجاه بوابات الفناء ثم اختفى ! .

وتزامن هذا مع صوت جلبة تأتى من الردهة وصرير نوافذ توصد .

هرع (هول) و(هنفرى) وكل شخص كان فى الحانة إلى الشارع ، واختلط الحابل بالنابل . وشاهدوا شخصا ما يعدو حول ركن الفندق فى اتجاه الطريق المؤدى إلى التل ، كما أبصروا السيد (هوكستر) يمارس قفزة معقدة فى الهواء انتهت بسقوطه على وجهه وكتفه . وكان الناس عند منحدر الشارع ، إما يقفون مذهولين مما يحدث، أو يركضون نحو السيد (هوكستر) واللص.

كان السيد (هوكستر) فاقدا للوعى ، وتوقف (هنفرى) للاطمئنان عليه ، ولكن (هول) وعاملين كانا فى الحانة ، اندفعوا وهم يصيحون بعبارات غير مترابطة إلى ركن الفندق ، وشاهدوا السيد (مارفل) يختفى وراء جدار الكنيسة ، ويبدو أنهم توصلوا إلى النتيجة المستحيلة، وهى أن هذا اللص هو الرجل الخفى الذى أصبح فجأة مرئيا ! ومن ثم اندفعوا وراءه يتتبعون خطاه . ولكن ماكاد (هول) يخطو نحو اثنتى عشرة ياردة، حتى أطلق صيحة عالية تنم عن الدهشة ، ثم قفز وسقط على جنبه وجذب معه أحد العاملين . وحاول العامل الآخر مساعدتهما على النهوض ، ولكنه ماكاد يقترب منهما حتى تلقى لكمة عنيفة طرحته أرضا بجانب رفيقيه .

ثم اندفع نحوهم أهل القرية ، ودهش أول القادمين ، عندما شاهد الطريق الريفى الضيق خاليا إلا من أربعة أشخاص ممددين فوق الأرض ، ثم شعر بشىء ما يصيب إحدى قدميه ، ويلقى به على الأرض ، وتعثر فيه عدد من أهل القرية فسقطوا فوقه ، وأخذوا يسبون ويلعنون إذ كانوا فى عجلة من أمرهم لمطاردة اللص .

فى أثناء خروج (هول) و(هنفرى) والعمال من الفندق ، ظلت السيدة (هول) فى الحانة بجانب درج النقود ، وفجأة فتح باب الردهة واندفع منه السيد (كوس) ودون أن ينظر إليها ، هرول على الفور فوق الدرج هابطًا إلى باب الفندق . وأخذ يصيح قائلاً : " اقبضوا عليه . لا تدعوه يلقى

بتلك الكتب على الأرض ! سوف يمكنكم رؤيته طالما يمسك بهذه الكتب " . ولم يكن يعلم بوجود (مارفل) ، وأن الرجل الخفىّ قد أعطاه كتب المذكرات اليومية ، حتى يتفرغ لمقاومتهم .

وكان وجه السيد (كوس) طافحًا بالغضب والغيظ ، وكان ملتفًا بغطاء مائدة أبيض، وكان يطلق صيحات عالية طويلة : " أمسكوا به ! لقد استولى على سروالى ! وكل ثياب القس!" وعندما شاهد (هوكستر) المنبطح على الأرض ، التفت إلى (هنفرى) وصاح : " سوف أعتنى به بعد دقائق " .

والتف حول ركن الفندق ليلحق بأهل القرية ، ولكنه سرعان ما أحس بلطمة تسقطه على الأرض ، ووطأ شخص مندفع إصبع قدمه ، فصرخ من الألم . حاول أن ينتصب واقفًا ، إلا أن شيئًا ما لطمه مرة أخرى فانبطح فوق الأرض . وأخذ كل شخص يركض عائدا إلى القرية . وأعاد السيد (كوس) المحاولة ، ولكنه شعر بضربة عنيفة تصيبه وراء أذنه ، فقام مذهولاً وأطلق ساقيه للريح فى اتجاه فندق "العربة والجياد" ، وقفز فوق (هوكستر) الذى كان يحاول الجلوس ، ولم يكن يرعاه أحد .

ولما وصل السيد (كوس) إلى الفندق ، وصعد نصف الدَّرَج ، سمع من خلفه فجأة صرخات غاضبة وصوتا عاليا يسب ويلعن . وعرف أنه

صوت الرجل الخفىّ ، كما اتضح له من نبرات الصوت أنها لشخص أصيب بغتة بلطمة مؤلمة .

هرع السيد (كوس) إلى الردهة على الفور وقال وهو يندفع إلى الداخل : "(بانتنج) ! إنه فى طريقه إلى هنا ! انج بنفسك ! فقد أصيب بالجنون " .

وكان القس يقف عند النافذة ، محاولاً أن يغطى جسمه بالسجادة التى كانت توضع أمام المدفأة ، وبنسخة من جريدة "وست سورى جازيت" . وكادت أن تسقط هذه الأغطية ، عندما استدار متسائلا : " من الذى فى طريقه إلى هنا ؟ "

صرخ (كوس) وهو يندفع إلى النافذة : "الرجل الخفىّ ! " ثم استطرد قائلاً :

.. يجب أن نهرب من هنا ! حيث إنه يقاتل كمن فقد عقله ! "

وبعد هنيهة كان يقف فى الفناء . قال السيد (بانتنج) : " يا إله السماوات ! "

وسمع عراكًا عنيفًا فى ممر الفندق ، وعندئذ اتخذ قراره بشكل حاسم على الفرار، فتسلق النافذة وعدّل أغطيته على عجل ثم قفز إلى الفناء ، وأخذ يركض فى القرية بأسرع ما تستطيع ساقاه القصيرتين الغليظتين أن تحملاه . ومنذ الوقت الذى صرخ فيه الرجل الخفىّ

غاضبًا ، وأطلق السيد (بانتنج) ساقيه للريح فى القرية . أصبح من المستحيل تقديم تفسير مترابط لمجريات الأمور فى "إيبنج" .

وربما كان ما يهدف إليه الرجل الخفىّ ، هو تغطية انسحاب (مارفل) ومعه الثياب والكتب . ولكن يبدو أنه وصل إلى قمة انفعاله وغضبه ، ومن ثم، كان تسديده للضربات وإسقاطه لبعض الأشخاص لمجرد المتعة فى إلحاق الضرر بالآخرين .

ولك أن تتخيل الشارع المكتظ بأهل القرية الذين يركضون فى كل اتجاه وقد ارتسمت على وجوههم معالم الذعر والهلع ، وأصوات انصفاق الأبواب والمعارك المحتدمة للبحث عن ملاجئ أمنه يختفون فيه من الرجل الخفىّ .

وبعد قليل أصبحت شوارع قرية "إيبنج" شبه خالية ، إلا من أصوات غلق مصاريع النوافذ والأبواب وهى توصد بالمزاليج .

بينما كان كل هذا الهرج والمرج يحدث فى شوارع القرية ، كان الرجل الخفى يسلى نفسه بتحطيم كل النوافذ فى فندق "العربة والجياد" وكذلك بعض مصابيح الشوارع القريبة ، وكان هو الذى قطع أسلاك التلغراف الموصلة إلى قرية "أديريان" وعقب ذلك لم يتسنَّ لأى شخص سماعه أو رؤيته أو الإحساس به فى قرية "إيبنج" على الإطلاق . فقد اختفى نهائيا . ومضت ساعتان قبل أن يتجرأ أى شخص على الظهور فى شارع "إيبنج" المقفر .

الفصل الثالث عشر

السيد (مارفل) يفكر فى التخلى عن المهمة

عندمــا كــانت ظلمــة أول الليل تتكاثف ، و" إيبنج " بدأت تتنفس الصعداء بعد الحطام والفوضى التى سادت فى أثناء عطلة البنوك ، كان رجل قصير القامة ، غليظ البنية يرتدى قبعة حريرية بالية ، يسير منهوك القوى ومتـألمًا ، خلال الشفق خلف غابات الزّان ، فى طريقه إلى قرية " برامبلهرست " وكان هذا الرجل يَنُوءُ بحملْ ثلاثة كتب ضخمة مشدود بعضها إلى بعض ، بشريط من المطاط العريض ، وكذلك صرّة ملفوفة فى غطاء منضدة أزرق اللون . وكانت ترتسم على وجهه - الضارب إلى الحمرة - معالم التعب ممزوجًا بالرعب ، وبدا أنه يسرع الخطوة بطريقة تشنجية . وكان يصاحبه صوت غير صوته ، وَجَفَل عندما تأبطت ذراعه يدين خفيّتين . وانبعث صوت بجانبه يقول : " إذا حاولت أن تخدعنى مرة أخرى ، إذا حاولت أن تهرب من جديد ..... "

قال السيد (مارفل) : - " ياإلهى لا تتكىء على كتفى بمثل هذه القوة ! إنك تؤلمنى ! " رد الصوت قائلا :

"... أقسم بشرفى ، إننى سوف أقتلك " فأجابه السيد (مارفل) وقد أوشك على البكاء : " أقسم لك إننى لم أحاول الهرب ، لم أكن أعرف الطريق ! هذا كل ما فى الأمر ! لقد ضللت الطريق ! " صفعه الرجل الخفىّ فتألم (مارفل) ثم قال : - " أرجوك لا تصفحنى ! " ، " بل سأكيل لك المزيد من الصفعات إذا لم تطعنى "، صمت (مارفل) وانتفخت أوداجه من الغضب وأصبح وجهه يعبر عن اليأس . قال الرجل الخفى : " إنه أمر بالغ السوء أن يعرف الجميع بسرّى .. إننى رجل غير مرئى .. ! ماذا أفعل الآن ؟ .. " تريث للحظات ثم استطرد قائلاً : - " .... سوف تنشر الصحف كل التفاصيل .. وسيطاردنى الجميع " .

وتناهت إلى سمع (مارفل) كلمات السبّ والشتم التى يوجهها إليه رفيقه الخفىّ .. صاح الرجل الخفى بحدة :

" إياك أن تدع الكتب تسقط من يدك أيها الأحمق ! إننى سوف أجعلك أداة طيعة فى يدىّ ! " أجاب (مارفل) بصوت ينم عن الإحباط : - " إننى أضعف من أن أقدم لك خدمات ... فأنا مصاب بداء القلب .. وليس فى وسعى أن أحتمل ما تطلبه منى ! "

عاد الرجل الخفىّ يصيح : - " إذا لم تصمت فإننى سوف ألوى معصمك بقوة ! فأنا أريد أن أفكر .. ! "

عندئذ ظهر برج الكنيسة المربع ذو اللون الأصفر يلوح فى الأفق ، فى ضوء الغسق الباهت ثم استطرد الرجل الخفىّ قائلاً : – " ... سوف أضع يدى على كتفك طوال الطريق إلى القرية .. توجَّه إلى هناك مباشرة .. ولا تأت بأية حماقة .. وإلا عاقبتك بشدة " .

تنهد السيد (مارفل) وقال : " نعم، أعرف ذلك ! .. أعرف ذلك تمامًا " .

وسار الرجل التعيس الذى يرتدى قبعة حريرية بالية في شوارع القرية الصغيرة وهو يحمل الكتب الثقيلة، ثم اختفى بين طيَّات الظلمة المتكاثفة فيما وراء أضواء النوافذ .

الفصل الرابع عشر

فى "بورت ستو"

فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ، جلس السيد (مارفل) - وهو غير حليق الذقن ، ومتسخ الثياب وعلى وجهه علامات الشقاء والإرهاق - خارج إحدى الحانات بضواحى " بورت ستو " واضعًا يديه فى أعماق جيبى بنطلونه ، وهو يشعر بالقلق الشديد والعصبية والضيق .

كان السيد (مارفل) يجلس على مقعد طويل ، وبجانبه الكتب الثلاثة ، ولكنه الآن استخدم دوبارة لشدّها لبعضها البعض . أما الصُرّة التى كان يحملها ، فقد أخفاها فى غابة الصنوبر التى تقع خلف " برامبلهرست " ، وبعد أن غيرّ الرجل الخفىّ رأيه ، وطلب منه ذلك . وعلى الرغم من أن أحداً لم يعرهُ أى اهتمام ، فقد ظل السيد (مارفل) فى أوج انفعاله ، وأخذ يتحسس جيوبه المختلفة ، بحركة عصبية واضحة .

وظل قابعا فى مكانه مايقرب من ساعة ، حينما خرج من الحانة بحار عجوز يحمل فى يده جريدة ، واستوى جالسًا بجانبه وابتدره قائلاً : - " طقس جميل اليوم ". التفت السيد (مارفل) حوله بشىء يشبه الفزع ، واكتفى بقوله : - " جداً " .

قال البحار العجوز : " إنه الطقس المناسب لهذا الوقت من العام " رد السيد (مارفل) باقتضاب : " فعلاً " وأخرج البحار العجوز من جيبه " نكّاشة الأسنان " وأخذ يعبث بها فى فمه لعدة دقائق . وفى غضون ذلك ، كان يختلس النظر إلى ثياب السيد (مارفل) التى علاها الغبار ثم إلى الكتب التى بجانبه . وكان قد سمع رنين نقود تلقى فى جيب . وتعجب كيف أن رجلاً فى مثل هيئة السيد (مارفل) القذرة ، يحمل معه نقوداً كثيرة ؟ ! تساءل البحار العجوز فجأة ، بعد ألقى بنكاشة الأسنان : - " أهذه كتب ؟ " انتفض السيد (مارفل) ونظر إلى الكتب وردّ قائلاً : - " أوه ! نعم .. نعم .. إنها كتب " قال البحار العجوز : - " ثمة أشياء غريبة فى الكتب " قال السيد (مارفل): " إنك على حق " .

تمهل البحار العجوز لبرهة ثم قال : " كما أن هناك أيضا أشياء غريبة تُكتب على صفحات الجرائد . "

رد السيد (مارفل) قائلا : " صدقت " قال البحار العجوز :

" فى هذه الجريدة بالذات .. قصة بالغة الغرابة ! "

فقال السيد (مارفل) : " عجبًا ! " وعاد البحار العجوز يقول : " إنها قصة عن رجل خفيّ ! "

فجأة شعر السيد (مارفل) بأن الدم يتدفق إلى وجهه حتى وصل إلى أذنيه ، وأخذ يحكُّ خده بأظفاره ثم راح يرهف السمع بإهتمام وقال : - " وأين ظهر هذا الرجل الخفيّ .. فى أستراليا أم أمريكا ؟ "

قال البحار العجوز : " لا فى هذه ولا فى تلك .. بل هنا ! " جفل السيد (مارفل) وقال : " ياإلهى ! "

وأحس السيد (مارفل) بالارتياح العميق عندما قال البحار العجوز : " عندما قلت هنا .. لم أقصد بالطبع فى هذا المكان بالتحديد .. ولكن فى الجوار " قال السيد (مارفل) : " رجل خفى ! وماذا جاء يفعل ؟ " تفرس البحار العجوز فيه ثم رفع صوته قائلا : " يفعل كل شىء .. يخطر على بالك "، رد السيد (مارفل) قائلاً : - إننى لم أطّلع على الصحف منذ أربعة أيام " .

- "كان أول ظهوره فى قرية (إيبنج) . "

- "حقًا !! "

- " لقد روت عنه الجريدة قصة غريبة .. فلا أحد يعرف من أين أتى ؟ .. وهناك شاهدان قسيس وطبيب .. وتقول الجريدة بأنه كان يقيم بفندق (العربة والجياد) .. وحدث أمر ما جعله يحل الضمادات

واللفائف التى كانت تحيط برأسه .. فبدا بلا رأس ! وعندئذ حاولوا إلقاء القبض عليه .. إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل .. وتمكن الرجل من الفرار بعد أن خلع ملابسه .. وأصبح خفيا ! كما أنه أحدث أضراراً جسيمه وأصاب رجل الشرطة الكفء (جى . ا . جافيرس) . قصة غريبة أليس كذلك ؟ لقد ذكروا فى الجريدة الأسماء والأماكن وكل شىء " . راح السيد (مارفل) ينظر حوله فى عصبية ، بينما كانت يده تحاول إحصاء النقود التى فى جيبه ثم قال :

" تبدو قصة بالغة الغرابة ! "

رد البحار العجوز قائلا : " أليس كذلك ؟ فأنا لم أسمع من قبل برجال خفيين .. ولكن فى هذه الأيام يسمع المرء عن كل ما هو غريب ! "

سأله السيد (مارفل) متهيبا ومحاولاً أن تبدو لهجته طبيعية :

" وهل هذا كل ما فعله ؟ "

أجاب البحار العجوز بقوله : ألا يكفى ما فعله ؟ "

عاد السيد (مارفل) يتساءل : " ألم يعد مرة أخرى ؟ ... أعنى هل هرب إلى غير رجعة ؟ أهذا كل ما فى الأمر ؟ "

رد البحار العجوز فى دهشة : " أجل كل ما فى الأمر ! ألا يكفيك هذا ؟ "

تنهد السيد (مارفل) قائلا : - " نعم .. يكفيني ! "

- " معك حق .. إن هذا يكفى . "

تساءل السيد (مارفل) بقلق :- " ألم تذكر الجريدة .. إذا كان للرجل الخفىّ أى أصدقاء ؟ " أجاب البحار العجوز بسرعة : " كلا .. ونشكر السماء على ذلك .. ! "

ثم استطرد وهو يهز رأسه ببطء : " .... ونحمد الله على أنه لم يأت إلى (بورت ستو) وإلا لعاث فيها فساداً .. من يستطيع أن يمنعه إذا سرق أو حتى قتل ! إن بمقدوره أن يخترق صفوفاً من رجال الشرطة .. دون أن يروه ! "

قال (مارفل): " لا شك أنه يمتلك ميزة مروّعة " .

رد البحار العجوز مؤكداً : " أنت على حق " .

وفى غضون كل هذا الوقت ، كان السيد (مارفل) يتلفت حوله فى ذعر ، مصغياً لأى وقع أقدام ، ومحاولاً تتبع أقل حركة . وبدا أنه توصل إلى اتخاذ قرار معين ، سعل بعصبية ثم إنحنى إلى أذن البحار العجوز وهمس قائلا : - " الواقع أننى علمت أمراً أو أمرين عن هذا الرجل الخفى .. من مصادرى الخاصة " .

قال البحار العجوز بإهتمام : " أوه .. أنت ؟ "

– " نعم .. أنا " .

– " حقا ! إذان هل تسمح لى أن أسأل .. "

قال السيد (مارفل) بصوت خفيض وكأنه يُدْلى بسر : – " الحقيقة هى ... " .

وفجأة تقلصت عضلات وجه السيد (مارفل) بشكل مروّع وقال متألمًا : أوه " ثم نهض من على مقعده وهو يتلوّى ..

دهش البحار العجوز وتساءل : " ما الذى حدث ؟ "

قال السيد (مارفل) وهو يضع يده فوق أذنه ويمسك الكتب باليد الأخرى :

" انتابنى ألم شديد فى أسنانى ! علىّ أن أذهب على الفور ! "

ثم حاول أن يبتعد عن محّدثه .. ولكن البحار العجوز قال محتجًا : " ولكنك كنت على وشك أن تحدثنى بشىء عن الرجل الخفىّ ! " وبدا على السيد (مارفل) الاستغراق فى التفكير .. وهمس صوت غامض بجانب أذنه : " خدعة " .

قال السيد (مارفل) مكرراً نفس الكلمة : " نعم خدعة ! كنت سأختلق لك قصة ". تساءل البحار العجوز فى دهشة : " ولكن قصة الرجل الخفىّ منشورة فى الجريدة " قال السيد (مارفل) : " إنها خدعة

أيضا ! إننى أعرف الشخص الذى إختلق القصة منذ البداية .. ! فليس ثمة رجل خفىٌ على الإطلاق ! صدقنى ! "

– " ولكن ما قولك فى هذه الجريدة ؟ أتريد أن تقول .... ! "

قاطعه السيد (مارفل) وقال بثبات : " كل كلمة فيها كذب وهراء " .

وحدَّق فيه البحار العجوز والجريدة فى يده ، وأخذ السيد (مارفل) يتلفت حوله وهو يرتعد .. ثم قام البحار العجوز وأخذ يتحدث على مهل : " إنتظر قليلا ! أتريد أن تقول ... "، أجابه السيد (مارفل) مقاطعًا :

– " نعم . هذا ما أردت قوله " .

– إذن، فلم تركتنى أواصل الحديث وأن أروى لك كل هذا إذن ؟ وما الذى كنت تهدف إليه عندما سمحت لإنسان بأن يسخر من نفسه ويبدو مغفلا ؟ هيه ! " وإحمر وجهه حنقا بينما إنتفخت أوداج السيد (مارفل).

ثم ارتفع صوت يقول : " إنهض ! " وفجأة لف السيد (مارفل) بحركة دائرية ، وبدأ يسير بعيداً بمشية عجيبة قافزة .

واختفى السيد (مارفل) فى إنحناءة الطريق وهو يسبُّ ويلعن ، أما البحار العجوز فقد ظل واقفا فى منتصف الطريق وقد إنفرجت ساقاه ، واضعا يده على خاصرته ، وهو يرقب الرجل القصير وهو يبتعد ، وأخذ يغمغم : " لأرينك أيها الشيطان الأحمق والأبله ! أتريد خداعى ! إن

القصة منشورة بحذافرها فى الجريدة ! " وظل البحار العجوز واقفا فى منتصف الطريق منتصب القامة ، يحدق أمامه . ولم يحركه من مكانه سوى عربة القصاب ، التى كادت أن تصدمه ! ثم استدار ناحية " بورت ستو " وهو يقول لنفسه : " إن العالم ملىء بالحمقى غريبى الأطوار "

وكان ثمة أمر عجيب آخر - سيعرف به من فوره - حدث بالقرب من مكانه . وكان ذلك قبضة يد ملؤها حفنة من النقود ، تسير من تلقاء نفسها بجانب جدار (سانت مايكل لين) وكان له صديق بحار قد شاهد هذه الرؤية العجيبة فى صباح ذلك اليوم نفسه ، ولما حاول أن يأخذ النقود لطمته يد غير مرئية ، أفقدته توازنه وطرحته أرضًا . ولكن حينما نهض كانت حفنة النقود قد اختفت.

وكانت قصة النقود حقيقية دونما شك ، وشاعت فى كل أنحاء القرية بجانب قصة عجيبة أخرى ، وهى أن نقودًا إختفت من بنك لندن الفرعى ومن أدراج النقود فى المتاجر والحانات . وكانت النقود تخرج فى سكون وبطريقة بارعة ، وتطفو فى الهواء على طول الجدران والأماكن الظليلة ، وأخذت تسرع حتى تتفادى نظرات المارة القريبين منها . ونجحت فى هذا ، حيث لم يتتبعها أى شخص . وفى نهاية " طيرانها " الغامض اتخذت سبيلها بثبات إلى جيب ذلك الرجل القصير المضطرب الذى يرتدى قبعة حريرية بالية ، ويجلس خارج حانة صغيرة فى ضواحى (بورت ستو) .

الفصل الخامس عشر

الرجل الذى كان يركض

فى الساعات الأولى من مساء أحد الأيام ، جلس الدكتور (كمب) فى غرفة مكتبه التى تقع فى مبنى على التل الذى يشرف على قرية (بيردوك) . وكانت الغرفة صغيرة ولكنها أنيقة ، ذات ثلاث نوافذ – فى جدرانها الشمالية والغربية والجنوبية – ورفوف غاصّة بالكتب والمؤلفات العلمية ، ومكتب عريض ، ومنضدة تحت النافذة الشمالية عليها مجهر (ميكروسكوب) وشرائح زجاجية وآلات دقيقة وبعض المستنبتات(*) وقوارير اختبار مبعثرة هنا وهناك . وكان مصباح الغرفة ساطعًا ، على الرغم من أن السماء مازالت مضاءة بتأثير ضوء غروب الشمس ، وكانت مصاريع النوافذ مفتوحة ، إذا لم يكن هناك خشية من أن يتطلع أحد من الخارج إلى داخل غرفة المكتب ، مما يبرر إغلاقها .

(*) أوعية زجاجية مسطحة لإنماء الكائنات الحية الدقيقة كالميكروبات . (المترجم)

وكان الدكتور (كمب) شابًا طويل القامة ، نحيل الجسم وشعره أصفر خفيف وله شارب يكاد أن يكون أبيض اللون . وكانت أبحاثه تؤهله - كما كان يرجو - لعضوية الجمعية الملكية ، التى كان يتمنى دائما الالتحاق بها .

وحدث أن رفع عينيه هنيهة عن عمله فلمحتا قرص الشمس المنحدر إلى المغيب وراء التل . وربما مرت دقيقة ، وهو يجلس واضعا طرف قلمه فى فمه ، يتأمل معجبا ذلك اللون الذهبى الزاهى لشمس الأصيل ، فيما أعلى قمة التل . وفجأة إسترعى إنتباهه شبح رجل قصير القامة ، يبدو لونه أسود داكنا ، كان يركض على حافة التل، ويهرع إلى ناحيته . وكان يرتدى قبعة حريرية بالية ويعدو بأقصى سرعة ، قال الدكتور (كمب) : " لا ريب أنه أحد هؤلاء الحمق ! إنه يذكرنى بذلك الغبى الذى صدمنى فى هذا الصباح عند أحد المنحنيات .. وهو يعتذر قائلا ..

(إن الرجل الخفى آت ياسيدى) إإننى لاأستطيع تفسير ما الذى يلّم بهؤلاء القوم وإن المرء يعتقد أننا مازلنا فى القرن الثالث عشر ! "

نهض الدكتور(كمب) وذهب إلى النافذة ، وأخذ يحدّقُ فى منحدر التل المعتم ، وفى الشبح الصغير االقاتم ، الذى يهبط عليه بسرعة . قال : - " يبدو لى أنه فى عجلة من أمره ، ولكنه لايتقدم سريعا ، وكأنما حُشِيت جيوبه بالرصاص ! ابذل مجهودًا أكبر ياسيدى ! " وحجبت

أعالى االفيلاَّت – التى تتناثر على التل – الرجل الذى كان يركض ، وعاد إلى الظهور بعد نحو دقيقة وثلاث مرات بعد هذا ، ثم أخفاه صف من المنازل .

قال الدكتور (كمب) وهو يعود إلى مقعده " حمقى وبلهاء .. ليس إلا ".

ولكن أولئك الذين شاهدوا الرجل الشارد عن كثب ، فقد أبصروا علامات الرعب الشديد مرتسمة على وجهه الذى كان يتصبب عرقًا . ولم يكن الرجل القصير يلتفت يمنة ولايسرة ، بل كانت عيناه الواسعتان مصوّبتان إلى الأمام فى اتجاه سفح التل ، حيث المصابيح المضاءة ، والناس المحتشدين فى الشارع .

وتدلت شفتا فمه ذِى الشكل الغريب ، وكانت تعلوها رغوة لزجة ، وكانت لأنفاسة المتلاحقة صوت أجش وضاجٍ . وكل من كان يمر بهم ، يتوقفون عن المسير ويقلبون أبصارهم فى أعلى الطريق وأسفله ، ومضوا يتساءلون– وهم يتوجسون خيفة – عن السبب الذى حدا به إلى أن يركض بهذه السرعة . وفجأة نبح كلب كان يلعب فى الشارع بعيداً فوق التل ، وأطلق صرخة ثم دلف إلى بوابة مفتوحة ، وبينما كان الناس فى دهشة لما حدث للكلب ، شعروا بشيء يشبه الهواء أو اللهث يندفع مارا بهم .

وأخذ الناس يتصايحون فى الشارع ويقفزون من فوق الرصيف ويهرعون إلى دورهم ، واشتد صراخهم عندما كان هذا الشيء يمر من أمامهم إلى أسفل التل . حدث هذا قبل أن يتمكن (مارفل) من بلوغ نصف الطريق وقد تناهى إلى سمعه الأبواب وهى ترتج بالمزاليج والنوافذ وهى تغلق بإحكام ، ويتناقلون خبراً واحداً . وسمعه (مارفل) فاندفع بكل طاقته إلى الطريق وسبقه الخوف إلى الناس وبعد مدة قصيرة ، كان قد غشى المدينة بأكملها .

– " الرجل الخفىّ قادم ! الرجل الخفىّ ! "

الفصل السادس عشر

فى حانة (چولى كريكترز)

تقع حانة (چولى كريكترز) عند أسفل التل مباشرة ، حيث تبتدئ خطوط الترام ، وانحنى الساقى بذراعيه السمينتين الحمراوين على مائدة الشراب ، وأخذ يتحدث مع حوذى نحيل ، عن الجياد . وعلى مقربة منه وقف رجل ذو لحية سوداء يرتدى سترة رمادية ، يتناول بسكويتًا وجبنًا ، يتحدث إلى شرطى فى لهجة أمريكية .

وسار الحوذى النحيل نحو النافذة المنخفضة ، محاولاً أن ينظر إلى أعلى التل من خلف الستارة الصفراء القذرة المسدلة عليها . وكان رجل يركض خارج الحانة .

قال الحوذى : " علام هذا الصياح ؟ "

فأجابه الساقى : " لعل هناك حريقا ! "

اقترب وقع خطوات مسرعة ثم انفتح الباب فى عنف . وهرع (مارفل) مندفعا إلى الداخل . وهو منخرط فى البكاء وأشعث الشعر ،

وقد فقد قبعته وتمزقت ياقة سترته ، استدار متشنجًا وحاول - جاهدا - أن يغلق الباب وراءه ، وكان نصف البابِ مفتوحًا ومشدودًا إلى الجدار بشريط من الجلد .

صاح (مارفل) بقمة إنفعاله ، وبصوت مفعم بالرعب والفزع : " إنه قادم . الرجل الخفى ورائى ! بالله عليكم أنقذونى ! النجدة بحق السماء ! ".

قال الشرطى : - " أوصدوا الأبواب ! من هو هذا القادم ؟ عمن تتكلم ؟ ماذا حدث ؟ " واتجه إلى الباب وفكّ شريط الجلد الذى يمسكه ، فانصفق بدوىّ شديد ، بينما أغلق الأمريكى الملتحى الباب الآخر .

قال (مارفل) وهو يبكى ويترنح بشدة ، ولكنه كان يزال ممسكًا بالكتب الثلاثة : - " أرجوكم دعونى أدخل ، احبسونى داخل الخانة ، فى أى مكان . أقول لكم أنه فى أثرى . استطعت أن أهرب منه. لقد هددنى بالقتل . وسينفذ وعيده ! "

قال له الرجل الملتحى : - " أنت هنا فى أمان ، والباب مغلق . ولكن ما الذى حدث ؟ "

قال (مارفل) : " دعونى أدخل " ثم أطلق صيحة مدوِّية حين تتابع طَرْق سريع على الباب الوحيد ، مما جعله يرتج وأعقب هذا تعالى صرخات بالخارج .

صاح الشرطيّ : - " من هناك ؟

أخـذ (مـارفل) يتلفت حـوله فـى ذعـر ويلقى نظرات الرعب على الأبواب المغلقة ، وهو يصيح بصوت مفحم بالفزع : - " سوف يقتلنى .. إنه يحمل سكينًا أو مـا أشـبـه .. بالله عليكم لا تفـتـحـوا الأبواب .. وخبئونى ! "

قـال الساقى وهـو يرفع مصـراع مـائدة الشراب القابل للطـىّ : " تعال هنـا " إندفع (مارفل) إلى ما وراء مائدة الشراب هو يصيح : " لا تفـتـحـوا البـاب . أين سـأختبئ .. ؟ " وقـال الرجل الملتحى وهو واضع إحدى يديه خلف ظهره : " إذن هـذا هو الرجل الخفىّ ! لقد حان الوقت لرؤيته ! "

وفجأة تهشم زجاج النافذة ، وتعالت الصرخات فى الخارج ، وكثر الركض جيئة وذهابًا فى الشارع . وفى غضون ذلك كان الشرطى يعتلى أريكة ، يحدق بعينيه من النافذة محاولاً أن يتبين ما الذى يحدث فى الخـارج ، ثم نزل من فـوق الأريكة وهو يرفع حـاجـبـيـه قـائلا: " إن مـا تتحدثون عنه .. هو سبب هذا الهرج ! "

وقف الساقى أمام باب الردهة الذى أوصد على السيد (مارفل) ، وراح يحـدق إلى النافـذة المحطمـة ثم إلى الرجلين الآخـرين . وسـاد الصمت فجأة .

قال الشرطى : " وددت لو أحضرت هراوتى معى .. " وإتجه نحو الباب متردداً ثم استطرد : - " ... إذا فتحت الباب ودخل فلن يستطيع أحد أن يوقفه " .

صاح الحوذى النحيل بقلق : " لا تتسرع بفتح الباب " .

قال الرجل الملتحى : " إرفعوا المزلاج عن الباب .. وإذا دخل .. " وأخرج مسدسه وشهره في يده . قال الشرطى : " ولكنها ستكون جريمة قتل ! " رد الرجل الملتحى قائلا : - " إننى أعرف فى أى بلد أقيم . سأطلق الرصاص على ساقيه . ارفعوا المزلاج عن الباب . "

وعندما رفض الساقى ، تقدم بنفسه وسحب المزلاج وشهر مسدسه ، وشدت أبصار الساقى والحوذى ورجل الشرطة إلى الباب ثم قال الرجل الملتحى فى صوت خافت وقد ارتد إلى الوراء ووقف مواجها الأبواب غير المرتجة ومسدسه خلف ظهره : - " أدخل " لكن أحداً لم يدخل وظل الباب مغلقا إنقضت خمس دقائق ، بعدها صاح (مارفل) من داخل الردهة : - " هل الأبواب كلها موصدة ؟ لعله يطوف خلسة حول الحانة ! إنه داهية كشيطان مارد ! "

قال الساقى ضخم الجسم : " ياإلهى ! هناك الأبواب الخلفية ! لابد من مراقبتها أيضا .. ! " وأخذ ينظر حوله فى عجز ثم أغلق باب الردهة بعنف وسمعوا صوت المفتاح يدور فى قفله ، واستطرد الساقى

قـائلاً : " ... هناك باب الفناء والبـاب الخـاص أمـا عن باب الفناء ... " ولكنه لم يستكمل حديثه وانطلق يعدو مغادراً المكان . وعاد بعد هنيهة وبيده سكين تقطيع اللحم وقـال وقد فغر فاه : " لقد وجدت باب الفناء مفتوحاً " .

علّق الحوذى قائلاً : – " من يدرى ! لعله داخل الحانة الآن ! "

قـال السـاقى مـؤكداً : " إنه ليس فى المطبخ ! فـهنـاك إمـرأتان تعمـلان فيه .. وقد فحصت كل شبر فيه متسلحاً بهذا السكين الحاد ! ولم تلحظ المرأتان أى شىء غريب ". أعاد الرجل الملتحى مسدسه إلى مكانه فى جيبه ، وما كاد يفعل حتى شاهدوا سقاطة باب الردهة ترفع بصوت مكتوم والباب يفتح علـى مصـراعيـه بعنـف . وتناهـى إلى أسماعهـم صرخات (مارفل) الطويلة الحادة ، مثل أرنب برى وقع فى شباك الصياد . وأخذ يصيح مستنجداً بهم ، فخفوا إلى نجدته . أخرج الرجل الملتحى مسدسه وضغط على زناده . وأصابت الطلقة مرآة كانت معلقة على الجدار الخلفى من الردهة ، فتهشمت وتناثرت شظاياها على الأرضية .

وعندمـا دخل السـاقى إلى الردهة ، شـاهـد (مـارفل) منهـاراً – "بالقـرب من البـاب الصـغيـر المؤدى إلى الفناء والمطبخ "– يلوّح بيديه وساقيه فى محاولة للتخلص من شىء ما غير مرئى . ثم فتح الباب على مصراعيه وأمسك هذا الشىء الخفىّ بتلابيب (مارفل) وراح يسحبه على

الأرضية حتى أدخله إلى المطبخ ، ثم كانت صرخة وقعقعة أوعية معدنية .

كان الشرطىّ قد اندفع إلى الداخل بعد أن تخطى الساقى ، وجاء من ورائه الحوذىّ ، وعندما حاول القبض على اليد الخفية التى تلتف حول رقبة (مارفل) ، أصابته لطمة شديدة فى وجهه جعلته يترنح إلى الخلف . وعندئذ بذل (مارفل) جهداً خارقًا لكى يجد ملاذاً خلفه . بينما تعثرت يدا الحوذى بشىء فى الهواء فصاح بهم : - " لقد أمسكت به " وتقدم الساقى نحوه وضرب الهواء بيديه الحمراوين ثم صاح بدوره : " ها هو ذا " وبعد تحرر السيد (مارفل) من القبضة الخفيّة ، سقط على الأرضية فجأة، وراح يزحف فيما وراء سيقان الرجال المتقاتلين، وإنتقلت المعركة إلى جوار الباب .وسمعوا صوت الرجل الخفى لأول مرة ، حين داس الشرطىّ على قدمه فصرخ متألمًا وأخذ يكيل لكماته لكل من حوله فى جنون . وصرخ الحوذى - على حين غرة - وهوى إلى الأرضية وهو يئن ويتوجع ، وقد أصابت بطنه ركلة . وانصفق الباب المفضى إلى الردهة من المطبخ ، ليستمر فرار السيد (مارفل) . فوجد الرجال الذين كانوا فى المطبخ أنفسهم يقاتلون الهواء الفارغ عبثا ..

صاح الرجل الملتحى : " أين ذهب ؟ هل خرج ؟ "

أجابه الشرطىّ وهو يخطو إلى الفناء ويتوقف هناك : " من هذا الطريق " وفجأة مرت بجانب رأسه قطعة من قرميد ، إصطدمت بمنضدة بالمطبخ ، فتحطمت مع الأوانى الفخارية التى عليها .

قال الرجل الملتحى فى غيظ : " سوف أريه " وما كاد أن ينتهى من الكلمة الأخيرة، حتى إرتفع قضيب من الصلب فى الهواء ، واندفع ناحية الشرطىّ فأصابه فى كتفه . وأطلق الرجل الملتحى خمس رصاصات من مسدسه الواحدة تلو الأخرى ، فى الإتجاه الذى جاء منه قضيب الصلب . وحرص وهو يطلق الرصاص أن يحرك يده فى خط أفقى ، حتى تنتشر الطلقات فى جميع أرجاء الفناء الضيق ، مثل برامق العجلة وساد السكون ، فقال الرجل الملتحى :

" لقد صوبت إليه خمس طلقات . هيًّا أحضروا مصباحًا ، ودعونا نبحث عن جثة الرجل الخفىّ !

الفصل السابع عشر

زائر الدكتور (كمب)

كان الدكتور كمب جالساً إلى مكتبه ، مستمراً فى الكتابة ، إلى أن تناهت إلى أسماعه دوى الطلقات النارية يتلو بعضها بعضا . فتوقف عن الكتابة ، ووضع طرف القلم فى فمه مرة أخرى وأنصت ، وقال : - " ما هـذا ؟ من الذى يطلق النار فى (بيردوك) ؟ وماذا يفعلون الآن ؟ "

واتجه إلى النافذة المطلة على الناحية الجنوبية ، وفتحها بقوة وأطل منها وهو متكىء عليها وحدّق بعينيه فى البلدة ، حيث النوافذ المتباينة ومصابيح الغاز ذات الحليّات المحدبة ،والمتاجر التى تفصل بينها مسافات ضيقة سوداء ، إنه المشهد الليلى المألوف للبلدة .

قال : " يبدو لى أن ثمة حشداً من الناس ، عند قاعدة التل بالقرب من حانة (چولى كريكترز) وظل ينظر برهة حيث أخذت عيناه تجولان بأرجاء البلدة ، حتى استقرتا على الأنوار المتلألئة ، للسفن التى كانت راسية هناك بعيداً ، حيث يُضىء - بخفوت - رصيف الميناء ، الذى كان

يبدو كجوهرة ينبعث منها ضوء أصفر باهت . وكان القمر – وهو فى الربع الأول من الشهر القمرى – يطل على التل الغربى وكانت الليلة صافية خالية من السحب والنجوم تتألق فى كبد السماء . ومضت عليه خمس دقائق ، جنح به الفكر خلالها إلى تأملات بعيدة ، عن الأحوال الاجتماعية فى مجتمع المستقبل ، وفى نهاية الأمر ، ضاع بخياله فى هوّة الزمن، البعد الرابع . أطلق الدكتور كمب تنهيدة عميقة ، وأوصد النافذة من جديد وعاد إلى منضدة الكتابة . بعد فترة تبلغ نحو ساعة من الزمن على أقل تقدير ، دق جرس الباب الأمامى . كان يكتب ببطء حيث كان يستغرق فى التفكير على فترات ، منذ أن سمع صوت الطلقات . وأنصت وهو جالس ، فسمع الخادمة وهى تنطلق نحو الباب لتفتحه للقادم وانتظر ليسمع وقع أقدامها ترتقى الدرج ، ولكنها لم تأت إليه . قال الدكتور كمب : " إنى لأعجب ! ترى أى شىء كان هذا ؟ " وحاول أن يواصل الكتابة ولكنه أخفق . فقام من مقعده ونزل من حجرة مكتبه إلى منبسط الدرج . ودق الجرس لاستدعاء الخادمة ، حين أبصرها فى الردهة السفلى . وسألها : " من الطارق ؟ هل هو موزع البريد يحمل لى خطاباً ؟ " فأجابته : " لقد كان مجرد دقة جرس ، ولم يكن هناك أحد ".

فعجب ثم قال فى نفسه : – " إن القلق يتملكنى الليلة " عاد إلى غرفة مكتبه ، ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى كان مستغرقًا فى عمله من

جديد . وكانت الغرفة من حوله ساكنة هادئة ، إلا من صوت دقات الساعة الرتيبة وصرير قلمه وهو يتحرك فوق الورق المضاء بواسطة مصباح المكتب .

وبلغت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، قبل أن يفرغ الدكتور (كمب) من عمل الليلة . فقام من على مقعده وتثاءب وتمطى ثم صعد الدرج ليأوى إلى فراشه . وبعد أن خلع سترته وقميصه ، أحس بالظمأ ، فأخذ بيده شمعة ، ونزل غرفة الطعام ليحتسى شيئا من الويسكى .

وكانت التجارب العلمية التى يقوم بها الدكتور (كمب) ، قد جعلت منه رجلاً دقيق الملاحظة إلى حد كبير ، لا يفوته شىء . فلما عبر الردهة أبصر بقعة داكنة على مشمع الأرضية بالقرب من ممسحة الأرجل عند ابتداء الدرج . ثم صعد السلم ، وفجأة أخذ يفكر فيما عسى أن تكون البقعة الداكنة التى رآها على الأرضية . فعاد إلى الردهة ، وانحنى نحو البقعة ومسها بيده ، فوجد أن بها لزوجة الدم المتجمد ولونه .

صعد إلى مخدعه وهو يتلفت حوله ويفكر فى بقعة الدم وتملكته الدهشة ثم توقف عندما رأى أن مقبض باب الغرفة ، ملوثا بالدم أيضا . نظر إلى يده فرآها نظيفة ، وتذكر – وقتئذ – أنه ترك باب غرفته مفتوحاً حين نزل ، وأنه لم يلمس مقبض الباب قط .

ظل رابـط الجـأش إلا مـن بعض عـلامـات الحـيـرة المرتسـمـة على وجهـه ، وذهب من فوره إلى غـرفة نومـه ، ولاحت منه نظرة إلى الفراش فرأى اللحـاف ملطخـا بالدم والملاءة ممزقة . ولم يكن قد لاحظ هذا وهو فى الغرفة من قبل . أما الجانب الآخر من الفراش فقد بدا وكأن شخصا ما قد جلس عليه . ثم خيل إليه أنه يسمع صوتا خافتا يقول :

" رحماك اللهم ! أهذا أنت يا (كمب) ؟ " ولكن الدكتور (كمب) لم يكن ممن يعتقدون بالأصوات الخفية . فوقف يحدق النظر فى أغطية الفراش غير المرتبة ، ويسائل نفسه عما إذا كان قد سمع صوتًا حقيقيًا أم هو الوهم الذى صوّرله ذلك . وراح يتلفت حوله من جديد ، ولكن عينيه لم تسـقط إلا على فـراشـه المشـعث والملوث بالدمـاء ، ثـم سـمع بوضـوح صوت شىء يتحرك عبر الغرفة ، وعندئذ تملّكه شعور بالخوف لأول مرة . فـأوصـد باب الغـرفـة وتـقـدم إلى منضـدة التَّزيُّن ووضـع عليـهـا زجـاجـة الويسكى التى كانت لا تزال معه . وفجأة ارتاع لرؤية ، ضمادة ملتفة من الكتان ملوثة بالدم ، معلقة فى الهواء بينه وبين الحوض الذى يغسل فيه وجهه ويديه .

وظل يحـدق فى الضـمـادة بذهول لبرهـة ، كانت مربوطة الطرفـين بإحكام ولكن لاشىء تحتها ، وكاد أن يتقدم ويمسك بها ، بيد أن لمسة يد أوقفته مكانه ، وسمع صوتا قريبا منه يقول :

" (كمب) ! " وفغر (كمـــب) فاه دهشـــة ثم قال : " ياإلهـــى ! ما هذا ؟ !"

وعاد الصوت يقول : " احتفظ برباطة جأشك ، إننى رجل خفىّ ! " وظل (كمب) برهة لا يجد جوابًا ، وكل ما فعله أن حدّق فى الضمادة الدامية المعلقة فى الهواء ، ثم ردد فى ذهول : " رجل خفىّ ! "

" نعم .. إننى رجل خفىّ " .

إذن فالقصة التى سمعها (كمب) هذا الصباح ، لم تكن مختلقة . ولم يبدو عليه فى هذه اللحظات أنه يعانى من الخوف والفَزَعِ أو الدهشة والخَطْب الجَلَل . ثم أتى إدراكه للأمر بعد هنيهة . وجاءت إلى ذهنه تلك المناقشات التى تكررت كثيراً على نحو مضجر .

تساءل (كمب) : " هل تضع ضمادة ؟ "

فأجاب الرجل الخفىّ : " نعم " .

– " أوه ! ولكن هذا هراء ! إنها خدعة دون شك " ثم تقدم إلى الأمام بغتة ، وبسط يده فالتقت عند الضمادة بأصابع خفيّة .. وشعر بيده تلمس شيئا . ارتد إلى الوراء وامتقع لونه .

صاح الرجل الخفى : " (كمب) ! احتفظ برباطة جأشك بحق السماء ! إنى فى أشد الحاجة إلى المعونة ! كُف عن هذا ! "وشعر بيد غير مرئية تطبق على ذراعه ، فوجه ضربة لها . صرخ الرجل الخفىّ قائلاً :

" (كمب) ! اهدأ " وازداد ضغط اليد الخفية .. وتملكت (كمب) رغبة جارفة فى أن يتخلص من هذه اليد ، التى أصبحت تمسك بكتفه . وفجأة دُفع إلى الخلف بعنف فتعثر ووقع على الفراش ، وفتح فاه يريد الصراخ ، ولكن الرجل الخفى حشر طرف ملاءة الفراش بين أسنانه فاحتبس صوته . وكان الرجل الخفى قد ألقاه فوق الفراش بقسوة ولكنَّ ذراعى (كمب) كانتا حرتين ، فحاول أن يضرب بها بوحشية كما أخذ يركل بقدميه بعنف . قال الرجل الخفى : " استمع إلى صوت العقل ! هل لك أن تستمع إليه ؟ بحق السماء إنك سوف تدفعنى إلى الجنون ! .." ثم أطلق صيحة عالية هادرة فى أذنه قائلا : – " كف عن المقاومة! وارقد ساكنًا أيها الأحمق " .

أخذ (كمب) يقاوم لفترة قصيرة ، ثم رقد ساكنًا . قال الرجل الخفىّ وهو يخرج طرف الملاءة من فم (كمب) : " إذا صرخت فسوف أحطم رأسك ! .. " ثم أردف قائلاً : " ... إننى رجل خفىّ " .. ليس بسحر ولا شعوذة ! أنا بحق رجل غير مرئى ! وقد جئتك طلبًا فى معونتك . وليس فى نيتى أن أمد يدى إليك بسوء ، ولكن إذا ارتكبت أية

حماقة .. فسوف أغيّر رأيى بالتأكيد .. " ثم تريث للحظات وأردف قائلاً : " ... (كمب) ! ألا تتذكرنى ! إننى (جريفين) .. زميلك فى الكلية " ، قال (كمب) : " دعني أنهض ! وسأظل حيث أنا ، واسمح لى بأن أجلس هادئا لنحو دقيقة " ثم استوى جالسًا وأخذيتحسس عنقه . قال الرجل الخفى : " إننى (جريفين) زميلك فى الكلية ، وقد جعلت نفسى خفيّا !

– " إننى مجرد إنسان عادى ، شخص كنت تعرفه ، أصبح خفيا !" ، تساءل (كمب) : " (جريفين) ؟ !

" أجاب الرجل الخفىّ : " نعم، (جريفين)! الذى كان أصغر منك سنًا . أتريد أن أذكرك به ؟ كان أشقر البشرة .. طوله نحو مائة وثمانين سنتيمتراً .. ممتلئ الجسم .. الذى حاز على ميدالية لنبوغه فى علم الكيمياء " قال (كمب) : – " إننى فى حالة ذهنية مشوشة ! وعقلى مضطرب ! فما شأن (جريفين) وهذا ؟ "

– " أنا هو (جريفين) " .

أخذ (كمب) يفكر وهو يغمغم : – " تلك صدمة أشد مما أحتمل ! ولكن أى عمل من أعمال السحر والشعوذة يمكن أن يجعل المرء خفيًا لا تراه العين ؟ "

– ليس هذا من أعمال السحر والشعوذة إنه عمل ينم عن النبوغ وينطوى على قدر من العبقرية ..." قاطعه (كمب) قائلاً : " إنه عمل رهيب ! كيف يمكن أن ... "

– " شيء فظيع حقا ! إنني جريح متألم ومتعب ! رحماك اللهم ! (كمب) إنك من بنى الإنسان فلتأخذ هذا الأمر بثبات وهدوء . ولتأتنى بطعام وشراب ، ولتسمح لى بالبقاء هنا " .

أخذ (كمب) يحملق إلى الضمادة وهى تتحرك عبر الحجرة ، ثم رأى مقعدًا من الخيزران يُسحب على الأرضية ويستقر بجانب الفراش ، ثم سمع صوت شخص يجلس عليه ، ولكنه لم يرشيئا سوى أن موضع الجلوس قد انخفض بمقدار عدة سنتيمترات . ففرك (كمب) عينيه وتلمّس عنقه من جديد ، وقال وهو يضحك فى بلاهة : " إن هذا يفوق أعمال الأشباح ! "

– هذا أفضل ! لقد أصبحت أكثر تعقلاً " .

قال (كمب) : – " بل قل إننى صرت أبلهًا ! " ثم أخذ يحكّ عينيه .

– " إيتنى بقليل من الويسكى ! إذ أكاد أن أموت ظمأً ! "

– " إننى لا أراك ! أين أنت ؟ وحينما أحضر الويسكى ، هل أمر خلال جسمك ؟ ها هوذا الويسكى ! أين أقدمه لك ؟ "

أحدث المقعد صريراً ، وشعر (كمب) بكأس الويسكي يُنتزع من يده ، فتركه يتحرك في الهواء ، حتى استقر على مسافة نحو نصف متر فوق الحافة الأمامية للمقعد، وأخذ يحدق إليه في ذهول : - " إنني لا أصدق ما أرى ! لابد أن هذا تنويما مغناطيسيًا ! لقد أوحيت إليّ بأنك رجل خفيّ ! "

قال الصوت : - " هراء ! "

- "هذا جنون ! "، رد عليه الرجل الخفي قائلاً : " استمع إليّ .. " قال (كمب) : " لقد توصلت هذا الصباح إلى أن الخفائية(*) .. "

قاطعه الرجل الخفي : " دعك مما توصلت إليه ! إنني أتضور جوعًا والجو في الليل شديد البرودة لمن كان مثلي لا يرتدي ثيابًا. قال (كمب) : " أتريد طعامًا ؟ "

ومال كأس الويسكي من تلقاء نفسه ، وأُفرغت محتوياته ثم وضعه الرجل الخفي فوق منضدة قريبة ، وتساءل: - " هل لديك رداء منزلي ؟ " غمغم (كمب) ببعض كلمات ثم اتجه إلى خزانة الثياب وتناول منها رداء منزليا قرمزي اللون ، وقال : - " أيصلح هذا ؟ " وتعلّق الرداء في الهواء بعد أن انتزع منه ، وأخذ يخفق بطريقة غريبة ثم أدخلت أزراره في عرواتها من تلقاء نفسها ، وبعدها جلس الرداء على المقعد !

(*) حالة أن يصبح الشيء خفيا . (المترجم)

قال الرجل الخفى :" أريد أيضا سراويل وجوارب وخفًا ! وأهم شيء الطعام " .

صاح (كمب) : " إن هذا أغرب شيء رأيته طيلة حياتى " أخذ (كمب) يبحث فى أدراج خزانة الثياب عن طلبات الرجل الخفى ثم هبط السلالم إلى بيت المؤن(*) علّه يجد له طعاما . وعاد ومعه شرائح لحم مشوية باردة وخبز ، وسحب منضدة صغيرة لتستقر بجانب ضيفه الخفىّ ، ووضع عليها الطعام . قال الزائر غير المرئى : " لا حاجة بى إلى سكين " ثم تعلقت شريحة اللحم فى الهواء واختفت رويدًا مصحوبة بصوت أسنان تقضم .

قال (كمب) : " خفى ! " ثم استوى جالسًا على مقعد . قال الرجل الخفىّ وفمه ممتلئ بالطعام : " إنى أفضل على الدوام أن أكون مرتديا ثيابى ، أثناء تناولى الطعام .. انها عادة غريبة ! " ثم أخذ يأكل بنهم .

قال (كمب) : " هل يؤلمك معصم يدك ؟ "

رد الرجل الخفى قائلاً : - " إنه لا يؤلمنى كثيراً " .

-" هذا أمر بالغ الغرابة ! "

(*) مكان لحفظ اللحوم والأطعمة الأخرى . (المترجم)

- " كـان يجب أن آتي إلى منزلك منـذ البـداية ، لتـضـمـد لى جروحى ! "

قال (كمب) بلهجة تنم عن الحنق : "ما الذى حدث لك ؟ إن الأمر كله غير معقول على الإطلاق ! "

- " بل هو معقول جداً " .

ثم امتدت يد خفية إلى زجاجة الخمر ، وحدّق (كمب) إلى الويسكى وهو ينساب داخل رداء المنزل . وإخترق شعاع من ضوء الشمعة ، بقعة ممزقة فى كم الرداء الأيمن، فأحدث مثلثا من الضوء ، تحت الضلوع فى الناحية اليسرى .

قال (كمب) : " ولكن كيف جُرحت ؟ وكيف بدأ إطلاق النار ؟ "

- " كـان ثمـة رجل أوليتـه ثقتـى ! لعنـة الله عليه ! فـقـد سـرق نقودى "

- " هل هو خفىّ أيضا ؟ "

- " كلا " .

- " وما الذى حدث بعد ذلك ؟ "

قـال الرجل الخفىّ : " أيمكننى الحصـول على المزيد من الطعـام ، قبل أن أكمل لك قصتى ! إننى جائع ومتـألم ، وأنت تريدنى أن أروى لك قصصًا ! "

نهض (كمب) قائمًا وسأله : " ألم تطلق أنت النار ؟ "

أجـابه الزائر الخـفيّ : " أنا لم أطلق نارًا . بل الذى أطلق الـنار بطـريقة عشـوائية، رجل أحمق ، لم يقع عليه بصرى من قبل . وفزع كثيـر من الناس منـى . عليهـم اللعنة ! .. " تريث لبرهة ثم أضـاف قـائلاً : ".. (كـمـب) ، قلت لك إننى أريد المـزيد من الطعـام " فـقـال (كـمب) : " سـأهبط إلى الطابـق السـفلى لأبـحث عن طـعـام ، ولكن أخشى ألا أجد منه الكثير ! "

وبعد أن أتى له بالطعام ، تناوله الضيف الخفىّ ثم طلب من (كمب) سيجارًا فقضم نهايته بوحشية ، وأخذ يدخن ! وكان غريبًا أن فمه وحنجرته وبلعومه وفتحتى أنفه ، أصبحت كلها مرئية بسبب تصاعد دخان السيجار منها .

قال الرجل الخفى وهو ينفث دخان السيجار بمتعة : " إن التدخين نعمـة لا شك فيـهـا .. ! " ثم استطرد بعد عدة ثوان : " .. (كـمب) إننى سـعيد الحظ إذ وجدتك ! يجب أن تساعدنى . إن الأحداث التى مرت بى ، تكاد أن تصيـبنى بالجنون ! ولكننا سـوف نكون شـريكين . دعنى أخبرك .. " واحتسى الرجل الخفى المزيد من الويسـكى والصـودا . ثم قـال : " (كمب) ! إنك لم تتغير كثيرًا فى الاثنـى عشر عامًا الماضيـة . نعم، أنت الذى سـتشاركنى وتقاسـمنى نبوغي .. " تساءل (كـمـب) : " ولكن كيـف أصبـحت خـفيـاً يا (جـريفين) ؟ "، " بحق الله دعنى أدخن

قليلا فى هدوء ! وبعدهـا سوف أقص عليك كل ما تريد " ولكن القصة لم تسرد فى تلك الليلة ، إذ ازداد ألم معصم الرجل الخفىّ وأصبح محموماً ومنهوك القوى . فراح يحكى على فترات ، بما حدث فى الحانة والقرية وصب لعناته على (مارفل) ، وكان يدخن بشـراهة ، ويكرر دائما فى غضب : " لقد كان يخاف منى ، إننى واثق من هذا ! ولكنه استطاع أن يخدعنى ! كم كنت غبيًا ! كان يجب أن أقتله إذ سرق نقودى !" تساءل (كمب) بغتة : " من أين حصلت على تلك النقود ؟ " صمت الرجل الخفىّ برهة ثم أجاب قائلاً : " لن استطيع إبلاغك هذه الليلة .. " ثم تأوّه فجأة ومال إلى الأمام ، وفيما يبدو وضع رأسه الخفّية بين يديه غير المرئيتين ، ثم قال :

" (كمب) ! إننى لم أنم منذ نحو ثلاثة أيام سوى بضع ساعات . ومن ثم يجب أن أنام على الفور ! "

– " حسنا يمكنك أن تنام فى هذه الحجرة " .

– " ولكن كيف أنام ؟ إذا نمت هرب اللص . إننى لا أدرى ماذا أفعل ؟

– " هل جرحك خطير ؟ "

– " لا إنه مجـــرد خـــدش ولكنـه ظل ينـــزف لفتـرة طـويلة ! يا إلهى ! كم أتوق للنوم ! "

- " ولم لا "

فقـال الرجـل الخفى فى بط ء شديد وبدا أنه يحـدق إلى (كمب) : " لأن ثمة أسباباً قوية تدعو الذين فى أثرى ، أن يقبضوا علىّ .. ! "

جفل (كمب) ، وضرب الرجل الخفىّ بيده على المنضدة فى حسـرة واستطـرد قائلاً : " لقد كنت غبياً ! إذ وضعت الفكرة فى ذهنك ! " .

الفصل الثامن عشر

الرجل الخفىّ ينام

كان الرجل الخفى جريحًا منهوك القوى ، ومع هذا لم يثق فى عهد (كمب) بأن شخصًا ما لن يحاول القبض عليه . فقام بفحص نافذتى حجرة النوم بنفسه ورفع الستائر وفتح الإطارالخشبى لكل نافذة ، ليتحقق من إمكانية الهرب وقت اللزوم ، حسب قول (كمب) . وفى الخارج كان الليل ساكنًا كل السكون ، والهدوء ناشرًا ألويته وكان الهلال قد أذن بالمغيب وراء التل . ثم فحص الرجل الخفىّ مفاتيح أبواب حجرة النوم وحجرتي ارتداء الملابس ليتأكد من أنه يستطيع الهرب عبر هذه الحجرات. وما إن فعل ذلك حتى أطلق من قلبه تنهيدة ارتياح ورضاء تام . ووقف فوق السجادة الصغيرة التى أمام المدفأة وسمع (كمب) صوت تثاؤبه .

قال الرجل الخفى : " معذرة لعدم استطاعتى أن أسرد عليك كل ما فعلته الليلة ، إذ إنى منهوك القوى . والأمر كله غريب عجيب دون شك ،

ولكنه مروّع فى الوقت نفسه! صدقنى يا (كمب) ، إن الخفائية أمر ممكن . لقد توصلت إلى اكتشاف مذهل ، وأردت أن احتفظ به لنفسى . ولكن لا أستطيع ذلك ، إذ لابد لى من شريك ، وهذا الشريك هو أنت . سوف نقوم بفعل أشياء عجيبة معًا . ولكن لنبق هذا إلى الغد . والآن يا (كمب) ، فإنى أشعر كأننى سأموت حتمًا إذا لم أخلد إلى النوم ! "

وقف (كمب) فى وسط الحجرة ، يحدّق فى الجسد المغطى برداء النوم دون رأس وقال : " أظن أننى يجب أن أذهب . إنه أمر مذهل لا يصدقه عقل . ثلاث حوادث من هذا النوع ، كفيلة بأن تقلب كل أفكارى المتصورة وتصيبنى بالجنون .. ولكنها حقيقية دون شك ! هل تريد شيئًا آخر ؟ "

قال (جريفين) : – " تمن لى ليلة سعيدة فقط " .

– " ليلة سعيدة " وصافح (كمب) يدًا غير مرئية ، وسار إلى باب الحجرة ، ولكن فجأة توجه الرجل الخفى إليه وقال : – " أرجو أن تفهمنى ! لا تحاول أن تجعلهم يقبضونَ علىّ ! وإلا ... "

تغّير وجه (كمب) قليلا ثم قال : " أظن أننى وعدتك من قبل " وأغلق (كمب) الباب خلفه بهدوء ، وسمع على الفور صوت المفتاح يُدار من الداخل فى الثقب . وقف وإمارات الذهول ترتسم على وجهه ، ثم اتجهت

الخطوات السريعة إلى باب حجرة اللبْس وأُغلق أيضا . وضرب (كمب) بأصابعه جبهته بقوة ، وهو يحدث نفسه قائلاً : " هل أنا أحلم ؟ ترى هل أصاب العالم الجنون ؟ أم أنا الذى جننت ؟ " ثم ضحك ووضع يده على الباب الموصد وقال : " إننى ممنوع من دخول حجرة نومى ! " ومضى حتى إذا وصل إلى أعلى الدرج ، استدار إلى الأبواب المغلقة وتحسس عنقه بأصابعه ، ثم استطرد قائلاً : " ... إنها حقيقة لا ريب فيها .. ولكن .. "

ولم يكمل عبارته بل هز رأسه فى يأس ، وهبط الدرج إلى الطابق السفلى ، وأوقد مصباح حجرة الطعام ثم أشعل سيجاراً ، وبدأ يذرع المكان جيئة وذهاباً ، وهو يسب ويلعن . ومن وقت إلى آخر ، كان يناقش الأمر مع نفسه ، ويقول : " خفىّ ! .. " ثم يستطرد : " ... هل هناك شىء ما يمكن أن يطلق عليه (حيوان خفىّ) ؟ نعم ثمة آلاف بل ملايين ! بل إن كل يرقات الحشرات والحيوانات القشرية البحرية والكائنات المجهرية ، وقناديل البحر ، بل إن الكائنات البحرية الظاهرة للعيان ، أقل بكثير من تلك غير المرئية ! لم تطرأ لى هذه الفكرة من قبل ! وينطبق هذا أيضا على البرك والمستنقعات ! فكل الكائنات الدقيقة الهلامية التى لا لون لها التى تعيش فيها ، خفية لا تُرى ! ولكن فى الهواء ! لا .. مستحيل ! .. " تريث قليلاً ثم استطرد هامسًا : " ولكن – رغم كل شىء – لم لا ؟ ومع هذا فإذا افترضنا أن شخصا ما صُنع من

الزجاج ، فيكون باستطاعتنا رؤيته . بالرغم من ذلك ! " واستغرق فى التفكير العميق وقتا طويلاً ، دخن خلاله ثلاث سجائر بالكامل تساقط رمادها فوق السجاد ، ثم عاد يهمس لنفسه فى عجب عما ألّم به من أحداث بالغة الغرابة . استدار ودلف إلى حجرة أخرى وأشعل مصباحها وكانت صحف الصباح ملقاة بإهمال ، التقطها وأخذ يتصفحها واسترعى انتباهه مقال عن " قصة غريبة من قرية (إيبنج) " وقرأ عن تفاصيل حادثة البحار العجوز فى (بورت ستو) مع السيد (مارفل) . وراح (كمب) يحدث نفسه من جديد : - " غير مرئى للناس ! أم متنكر ويخفى حقيقته ؟ لا أحد يعرف ! ترى ما الذى يهدف إليه الرجل الخفىّ ؟ " وأسقط الجريدة على الأرضية وسقطت عيناه على جريدة " سان جيمس جازيت "، فصاح :

" آه ! سأعلم منها الحقيقة بحذافيرها " فتحها وأخذ يقرأ عنوان كبير على عمودين " قرية بأكمالها فى مقاطعة (ساسيكس) تصاب بالجنون " ، وقال (كمب) وهو مستمر فى القراءة : - " ياإله السماوات ! " كان فى الجريدة وصف تفصيلى للأحداث التى وقعت فى (إيبنج) بالأمس ، وقرأ المقال عدة مرات بشغف " ... اندفع الرجل الخفى عبر شوارع القرية يضرب ذات اليمين وذات اليسار، أصاب الشرطى (جيفرسن) فأفقده الوعى ، وأحدث إصابات شديدة للسيد (هوكستر) الذى مازال غير قادر على رواية ماحدث ، كذلك سبّب إهانات بالغة

للقسيس (بوننتج) وجعل النساء تنهار من فرط الرعب ، هذا بالإضافة إلى تحطيمه نوافذ بعض المنازل وتهشيمه للأبواب ! وانتهى المقال بهذه العبارة : " .... ولعل هذه القصة الغريبة .. مجرد قصة مختلقة ! " ترك (كمب) الجريدة وأخذ يحدق أمامه بنظرة فارغة ، ثم غمغم : " مجرد قصة مختلقة ! " والتقط الجريدة من جديد وأعاد قراءة المقال بالكامل ، وتساءل : " ولكن من أين أتى هذا الصعلوك ؟ ولماذا يطارده الرجل الخفيّ ؟ " وجلس فجأة على أريكة بالحجرة ، وهمس :

" .. إنه ليس خفيًا فحسب .. بل مجنون ! وقاتل أيضًا ! " وحينما بزغ الفجر واختلط ضوؤه الشاحب بنور المصباح ودخان السيجار ، في غرفة الطعام ، كان (كمب) لايزال يقطع الأرضية جيئة وذهابًا . يحاول أن يدرك هذا الأمر غير القابل للتصديق . وكان يشعر بالانفعال الشديد إلى الحد أنه لم يستطع النوم . وصادف في طريقه عدداً من خدمه وفي عيونهم النعاس ، وكانوا ميالين إلى الاعتقاد ، بأن (كمب) أصبح غريب الأطوار بسبب الإجهاد والانغماس في العمل . وأعطى لهم تعليمات واضحة بإعداد وجبة الإفطار لشخصين في الشرفة العلوية ، ثم أمرهم بالبقاء في الطابق الأرضي وعدم مغادرته . وبعد هذا ، استمر يقطع أرضية حجرة الطعام جيئة وذهابًا ، حتى جاءت جرائد الصباح . ولم يجد فيها إلا تأكيد وقائع أحداث مساء اليوم السابق وأخباراً جديدة وغريبة ومفصلة من (بورت بوردوك) . وأعطى هذا معلومات إضافية

للدكتور (كمب) عن أحداث (چولى كريكترز) واسم (مارفل) ، الذى شهد بقوله: " لقد أرغمنى الرجل الخفى على البقاء معه لمدة أربع وعشرين ساعة " . وأضافت جرائد الصباح بعض الحقائق الثانوية إلى قصة قرية (إيبنج) ، وخاصة قطع سلك إرسال واستقبال البرقيات فى القرية . ولكن لم تلق الجرائد الضوء ، على العلاقة بين الرجل الخفىّ والصعلوك؛ حيث إن السيد (مارفل) لم يُدْلِ بأى اعترافات عن الكتب الثلاث أو النقود التى يخفيها . واختفت اللهجة المتشككة للصحف ، وأصبح هناك عدد كبير من المراسلين الذين يعكفون على سبْرٍ غوْر ذلك الأمر العجيب . وقرأ (كمب) كل كلمة منشورة عن هذا الموضوع ، كما أرسل خادمته لشراء كل جريدة يمكنها الحصول عليها ، و" التهم " مقالاتها أيضا .

وعاد يغمغم : – " إنه خفىّ ! ويبدو أن غضبه ازداد عن الحد إلى أن انقلب جنونا مطبقا ! وفى استطاعته أن يفعل الكثير .. يسرق وينهب ويقتل .. دون أن يتمكن أحد من ردعه ! لأنه غير مرئى ! .. " تريث لبرهة ثم همس :

" ... يا إلهى ! ماذا أفعل ؟ هل يلومنى أى شخص إذا نكثتُ بوعدى ؟ ! لا أظن ... "

واتجه إلى مكتب صغير غير مرتب فى ركن الحجرة ، وأخرج من درجه مذكرة وقلما وشرع يكتب ثم مزق الورقة بعد أن كتب نصفها ،

وراح يكتب ورقة أخرى ، وبعد أن انتهى ، راجع كلماتها ثم أخذ يفكر ملياً فيما جاء فيها .

ووضع الورقة داخل مظروف كتب عليه (الكولونيل أديى ، بورت بيردوك) وما كاد (كمب) يفرغ من وضع الرسالة في المظروف ، حتى استيقظ الرجل الخفىّ ، وتناهى إلى سمع (كمب) صوت أقدام سريعة تندفع عبر حجرة نومه . ثم صوت غاضب يسبّ ويلعن ومقعد يسقط على الأرضية في عنف ، وحوض غسيل الأيدى يتحطم. وعندئذ عرف (كمب) أن زائره الخفىّ قد استيقظ من النوم ، وهو فى أشد حالات الغضب ، فأسرع إلى الدرج صاعداً إليه ثم أخذ يدق باب الحجرة فى لهفة كبيرة ..

الفصل التاسع عشر

مبادئ أولية مؤكدة

فتح الرجل الخفىّ باب الحجرة إجابة لطرقات (كمب) الذى بادره متسائلا : "ماذا حلّ ؟ " فكان الجواب : لا شىء " .

– " تَبًا! ولكنها تلك الضجة والتحطيم ! "

قال الرجل الخفىّ : – " مجرد نوبة انفعال ! إذ نسيت جرح ذراعى وها هو يؤلمنى " .

– " هل تنتابك مثل هذه النوبات عادة ؟

– " نعم " .

سار (كمب) عبر الحجرة والتقط كُسَارة الزجاج المبعثرة على الأرضية ، وقال : " كافة الجرائد كتبت عنك " ثم وقف وشظايا الزجاج بين يديه ، وأردف : " .. كل ما حدث فى (إيبنج) وفى (بورت

ستو) . لقد أصبح العالم برمته يعلم بوجود الرجل الخفيّ . ولكن ليس هناك من يدرى بأنك هنا ..!

أخذ الرجل الخفيّ يسب ويلعن . عاد (كمب) يقول : " .. لقد أفشى السر . وأنا لا أعلم شيئا عن مخططاتك ! وبالطبع إننى أريد مساعدتك .. "

استوى الرجل الخفيّ جالساً على الفراش ، وأردف (كمب) : – .. لقد أُعدّ طعام الإفطار فى الشرفة العلوية فهيًا بنا " وكان (كمب) يتحدث بهدوء قدر الإمكان ، وشعر بالراحة عندما نهض زائره الغريب تلقائياً . وقاد (كمب) الطريق إلى درج ضيق ، ليصعدا إلى الشرفة العلوية .

وهناك قال (كمب) : " قبل كل شيء . يجب أن أعرف بعض الأمور عن خفائيتك ! أعنى كيف أصبحت خفيًا ؟ " وكان قد جلس على مقعده أمام الرجل الخفيّ ، بعد أن ألقى نظرة عصبية إلى خارج الشرفة ، بينما اتخذ زائرهُ غير المرئى مقعده عبر المنضدة التى عليها طعام الإفطار ، مجرد رداء نوم بلا رأس ولا يدين وفوطة سفرة معلقة فى الهواء ، تمسح شفتين خفيتين !

قال الرجل الخفيّ : " إن المسألة غاية فى البساطة وقابلة للتصديق إلى حد كبير"، ووضع الفوطة جانبًا ، وأسند رأسه غير المرئية على يده الخفيّة . ضحك (كمب) وقال : " لا شك أن المسألة بسيطة بالنسبة إليك! ولكن .. " ،" حسنًا ! أجل ، لقد كان الأمر رائعًا لى فى البداية !

ولكننا سنفعل معًا أشياءً عجيبة ! لقد وجدت المادة التى استخدمتها فى (تشيلستو) "

تساءل (كمب) : " (تشيلستو) ! "

– " لقد ذهبت إلى هناك بعد أن غادرت لندن . لعلَّكَ تعلم أننى تركت العلوم الطبية، وقمت بدراسة الفيزياء ! لم تعلم ؟ حسنًا ، هذا ما فعلته . فقد سحرنى علم الضوء .

– " حقًا ! " ،" وبالتحديد الكثافة البصرية ! إن الموضوع كله عبارة عن شبكة من الألغاز .. تتضمن فى طياتها حلولاً ولكنها صعبة الإدراك بالفكر ! كنت حينئذ فى الثانية والعشرين من عمرى وممتلئًا بالحماسة . فقلت لنفسى : سأهب حياتى لهذا الفرع من علم الفيزياء ، وهو جدير بأن تكرس له الحياة ! وأنت تعلم مدى حمق الشباب فى سن الثانية والعشرين " فقال (كمب) : " حمقى وقتئذ أو فى هذه الأيام ؟ "

– " وكأن المعرفة يمكنها أن ترضى الإنسان بأى شكل ! ولكنى أخذت أعمل دون كلل وقضيت فى هذا العمل الشاق المضنى ستة شهور ، حتى توصلت إلى نتيجة مذهلة ! .. " تريث لبرهة ثم أضاف : – " .. لقد توصلت إلى فكرة شاملة عن أصبغة الجسم(*)

(*) مواد تعطى ألوانًا مميزة فى نسيج النبات أو الحيوان. (المترجم)

وانكسار الضوء(*) واستطعت استنباط معادلة هندسية ذات أربعة أبعاد. إن الحمقى وعامة الناس وحتى بعض مدرسى الرياضيات ، ليست لديهم أدنى فكرة عما تعنيه المصطلحات العلمية لطالب الفيزياء الجزيئية . لقد كانت هناك أعاجيب ومعجزات فى الكتب التى أخفاها (مارفل) ، بيد أنها لم تكن فى حد ذاتها منهجًا ، بل مجرد فكرة قد تقود إلى منهج ، تتضمن امكانية - بدون أى تغيير فى خصائص المواد ماعدا الألوان - خفض معامل انكسار(**) مادة ما ، سواء أكانت صلبة أو سائلة ، بحيث تصبح شفافة كالهواء " .

قال (كمب) : " ياإلهى ! إن هذا أمر غريب ! ومع هذا فإننى لازلت أرى أن ذلك ليس له علاقة بأنك أصبحت خفيًا ! يمكنك أن تجرى تجاربك على حجر كريم وتطحنه إذا أردت ، ولكن الخفائية الشخصية أمر لا يصدقه عقل ! "

- " تمامًا ! ولكن تمهل لأشرح لك المزيد ! تعلم أن الرؤية تعتمد على تأثر الأجسام المرئية بالضوء . فإما أن يمتص الجسم الضوء أو يعكسه أو يكسره . فإذا لم يمتصه أو يعكسه أو يكسر شعاعه ، فلا يمكن إذن رؤية هذا الجسم . ففى استطاعتك مثلا أن ترى صندوقًا

(*) انحراف لموجة الضوء عندما تمر من وسط إلى آخر مختلف الكثافة. (المترجم)

(**) معدل سرعة الضوء فى الفراغ إلى سرعة الضوء فى الوسط الفيزيائى. (المترجم)

أحمراً معتماً ، لأن اللون يمتص بعض الضوء ويعكس الباقى ، وإذا لم يمتص أى جزء محدد من الضوء ، وعكسها بالكامل ، فسوف يتراءى لك الصندوق باللون الأبيض الفضى المتألق ! وإذا كان لديك صندوق مصنوع من الماس ، فإنه لا يمتص كمية كبيرة من الضوء ولا يعكس سطحه الكلى كمية كبيرة أيضًا ، وإنما ينعكس وينكسر الضوء على بعض سطوحه ، ومن ثم ينبعث من الصندوق الماسى ذلك الوميض المتألق والبراق الأخَّاذ، أما الصندوق الزجاجى فإنه سيكون أقل تألقا من الصندوق الماسى ، لضعف قدرته على انعكاس الضوء الواقع عليه وإنكسار . ومن ثم يمكنك أن تنظر من خلاله بوضوح تام لأنه شفاف .

وبعض أنواع الزجاج يمكن الرؤية من خلالها أكثر من أنواع أخرى ، فصندوق من الزجاج الصوانى(*) سيكون أكثر تألقًا ، مما لو كان مصنوعًا من زجاج النوافذ العادى . أما الصندوق الذى من زجاج عادى رفيع للغاية فيكون من الصعوبة النظر من خلاله ، فى حالة الافتقار إلى ضوء قوى ، وذلك لأنه لا يكاد يمتص أى ضوء ، كما تنعكس منه الأشعة وتنكسر عليه بمعدل بالغ الضآلة .. " تريث لبرهة ثم أضاف : " ... وإذا وضعت قطعة من الزجاج العادى فى الماء ،

(*) زجاج ذو معامل انكسار عالٍ . (المترجم)

فيمكنك أن ترى خلاله ولكن بصعوبة ، وتزداد صعوبة الرؤية إذا كان السائل أكثر كثافة من الماء ، كما سوف تلاحظ – في هذه الحالة – أن قطعة الزجاج سوف " تختفي " ، وذلك لأن الضوء الذي يخترق السائل إلى قطعة الزجاج ينعكس أو ينكسر شعاعه أو يتأثر بشكل ضعيف للغاية . ويبدو غير مرئي مثل غاز الكربون أو الهيدروجين في الهواء الجوي" .

قال (كمب) : " أجل ، هذا مفهوم "

" وثمة حقيقة أخرى ، وهي أنك لو سحقت قطعة من الزجاج حتى تصبح مسحوقًا ، عندئذ سوف تكون واضحة أكثر ، مما كنت تراها قبل أن تسحق . وذلك لأن الزجاج المسحوق يحتوي على سطوح دقيقة وعديدة ، فتتضاعف بذلك عمليات انعكاس أشعة الضوء وانكسارها، أما قطعة الزجاج فليس لها إلا سطحان اثنان فقط : أما الزجاج المسحوق ففيه أعداد كبيرة من " الذرّات " ، التي تقوم كل منها بعملية الانعكاس والانكسار للضوء، وإذا وضعت هذا الزجاج المسحوق الأبيض في الماء ، فإنه يختفي . إذ إن للزجاج المسحوق والماء ، نفس معامل الانكسار تقريبًا ، أي أن الضوء يتعرض لعمليات انكسار أو انعكاس ضئيلة جدًا ، عندما ينتقل من أحدهما إلى الآخر .. " ثم استطرد بعد عدة ثوانٍ : " ... إذن لقد أمكن جعل مسحوق الزجاج غير مرئي ، عندما وضع في سائل له نفس معامل الانكسار تقريبًا ، يعني هذا أن أية مادة

شفافة يمكن جعلها غير مرئية ، إذا وضعت فى وسط له نفس معامل الانكسار تقريبًا . ولو فكرت للحظة واحدة ، لأمكنك إدراك أن مسحوق الزجاج يمكن أن " يختفى " فى الهواء ، إذا استطعنا جعل معامل انكسار الهواء ومسحوق الزجاج متماثلين . إذ فى هذه الحالة لن يحدث انعكاس أو انكسار ، عندما يمر الضوء من الزجاج إلى الهواء " .

– فقال (كمب) : " هذا مفهوم ! ولكن الإنسان ليس زجاجًا مسحوقًا ! "

– قال (جريفن) : " كلا ! ولكنه أكثر شفافية ! "

– " هراء ! "

– " أعجب أن يصدر هذا القول من طبيب . هل نسيت مبادئ الفيزياء التى درستها فى الكلية منذ عشر سنوات . فكر قليلاً فى الأشياء الشفافة التى لا تبدو كذلك. فالورق على سبيل المثال ، مصنوع من الألياف الشفافة ، ومع هذا يبدو لنا أبيض اللون ومعتم للسبب نفسه الذى يبدو به مسحوق الزجاج أبيض اللون ومعتما . صب على الورق قليلاً من الزيت ، ليملأ الفراغات بين جسيماته ، ومن ثم لا يتمكن من القيام بعمليات انعكاس الضوء ولا انكساره ، إلا عند السطح . ولا ينطبق هذا على الورق فقط ، بل أيضًا على ألياف القطن وألياف التيل وألياف الخشب .. " تريث لبرهة ثم أضاف : – " .. وكذلك العظم

واللحم والشـعر والأظفـار والأعصاب ! أتسمع يا (كمب) ! . الواقع أن كل بنية جسم الإنسان مصنوعة من أنسجة شفافة لا لون لها ، ماعدا خلايا دم الإنسان والصبغ الأسود لشعره . وثمة مواد كيميائية تتخلل الفراغات ما بين جسيمات الجسم هى التى تجعله مرئيًا . ذلك أن معظم الألياف الموجودة فى أجسام الكائنات الحية ، شفافة كالماء ! " .

صاح (كمب) : " ياإله السماوات ! هذا صحيح ! لقد كنت أفكر بالأمس فقط فى يرقات الكائنات البحرية وقناديل البحر ! الآن أنت تفهمنى ! لقد توصلت إلى كل أفكارى هذه بعد عام واحد من نزوحى عن لندن ، أى منذ ست سنوات . واحتفظت لنفسى بسر اكتشافى ، إذ كنت أجرى تجاربى فى ظروف صعبة . فالأستاذ الجامعى الذى كان يدرّس لى اشتهر بأنه " يسطو " على أفكار طلبته وينسبها إلى نفسه ! ولهذا كنت حريصًا على أن أعمل فى الخفاء . ولم أنشر أيًا من أبحاثى فى الدوريات العلمية، وأخذت أقترب حثيثًا من تحقيق حلمى ، فى أن تتحول معادلاتى النظرية إلى واقع عملى . لم أبح لأى مخلوق بما أقوم به ، إذ كنت أريد أن أفاجئ العالم كله باكتشافى المذهل ، ومن ثم أعتلى ذروة الشهرة والمجد . وصببت جُلّ اهتمامى على دراسة الصبغات فى الجسم ، وذلك لملء بعض الثغرات فى نظرتى . وفجأة – دون قصد ولكن بمحض الصدفة – توصلت إلى اكتشاف فى علم " الفسيولوجيا " .

– " وما هو هذا الاكتشاف ؟ "

– " أن المادة الحمراء التى تكوّن الدم ، يمكن أن تصبح بيضاء شفافة ، ولكنها تحتفظ على الرغم من ذلك بكل خصائص الدم ووظائفه فى الجسم .. وأطلق (كمب) صيحة ذهول وتعجب ، بينما نهض الرجل الخفى ، وبدأ يذرع أرضية الحجرة الضيقة جيئة وذهابا ثم قال : لك الحق فى أن تعجب ، إننى أتذكر ذلك اليوم، كان ذلك فى الهزْيع الأخير من الليل . حيث كنت أفضل العمل حتى الفجر فى هدوء . جاءت الفكرة المدهشة فجأة إلى ذهنى . كنت وحيداً فى المختبر المقفر ، والأضواء تومض فى سكون. وأخذت أعمل فكرى فى أنه يمكن للإنسان أن يجعل أى حيوان أو نسيج شفافًا لايرى ! باستثناء الصبغات التى تتخلل جسيمات الجسم ! وصحت : – " إذن يمكننى أن أصبح خفيّا " وأخذت أردد هذه العبارة مراراً وتكراراً إن هذا الأمر يحتاج إلى قوة خارقة لأدائه ، وهذه الرؤية العظيمة لمفهوم الإخفاء للإنسان ، قد تعنى الغموض والقوة والحرية له . ولا أتصور أن تكون هناك أية عقبات قد تصادفنا ، عليك فقط أن تفكر ! وأنا الذى أعمل مجرد مدرس للحمقى فى كلية ريفية ، قد أصبح فجأة على هذا الحال .. رجلاً خفيًا . إننى أسألك يا (كمب) ، هل يمكنك – أنت أو أى شخص آخر – أن يزج بنفسه فى هذا البحث ؟!

لقد عملت لمدة ثلاث سنوات متغلبًا على الصعاب الكأداء ، وعانيت الأمرين من التفاصيل التى لا نهاية لها ! وقد كان هناك دائمًا هذا السؤال المزعج : – " متى سوف تنشر هذا البحث ؟ " . كما قاسيت من الطلبة والإمكانيات المحدودة ، لمدة ثلاث سنوات كاملة" .

– " ... وبعد أن قضيت ثلاث سنوات أعمل بكد وصبر ومثابرة ، اتضح لى أننى لا أستطيع أن أكمل أبحاثى التى كرست لها حياتى . لقد كان الأمر مستحيلاً ! " .

سأله (كمب) : " كيف ذلك ؟ "

أجاب الرجل الخفىّ وقد عاد ليحدق من النافذة من جديد : " المال " .

ثم استدار فجأة وقال : " لقد سطوت على مال والدى ! ولم يكن هذا ماله ، فصوَّبَ المسدس إلى رأسه وأطلق الرصاص ! ".

الفصل العشرون

فى بيت شارع "جريت بورتلاند"

مضت دقائق و(كمب) يجلس صامتاً يحملق فى ظهر الشبح الذى لا رأس له ، الواقف عند النافذة، ثم قام – وقد واتته فكرة – وأمسك بذراع الرجل الخفىّ وأبعده عن المشاهد الخارجية . وقال له : " إنك منهوك القوى ، ولا يجب أن تجهد نفسك . وبينما أنا أجلس ، فإنك تغدو وتروح . إليك مقعدى " ووقف (كمب) بين (جريفين) وبين أقرب نافذة لهما . جلس الرجل الخفىّ برهة لائذاً بالصمت ثم أكمل حديثه بغتة : " وكنت قد تركت كلية (تشيلستو) بالفعل حين حدث ذلك . وكان هذا فى شهر ديسمبر الماضى . واستأجرت حجرة كبيرة غير مؤثثة فى لندن ، بالقرب من شارع (جريت بورتلاند)، حيث ملأتها بأجهزتى ومعدات مختبرى ، التى ابتعتها بالنقود المسروقة من أبى . وكان عملى يتقدم باطراد وبنجاح ويكاد يقترب من نهايته . كنت كمن خرج فجأة من دغل كثيف مظلم إلى الحياة المشرقة . قمت بدفن أبى ولم أشعر بأى

أسى لوفاته . ومازلت أذكر الجنازة والنعش الرخيص الثمن والمراسم البسيطة وصديقه العجوز رث الثياب الذى كان يتلو الصلوات على جسده المسجى .

مازلت أتذكر العودة إلى المنزل القفر ، والسير فى المكان الذى كان فيما مضى قرية وأصبح فى الوقت الحاضر عبارة عن مبانٍ كئيبة شيدت بمواد رخيصة تنقصها المتانة ، فيما يشبه مدينة كريهة . وفى كل مرة تشق الطرق ، كانت تدنس الحقول الخضراء بأكوام القطع غير المصقولة من كسارة الحجارة .

إننى أتذكر نفسى كشبح أسود نحيل ومرهق يسير متثاقلاً فوق الرصيف اللامع والزلق ، يعترينى شعور غريب باللامبالاة إزاء الاستغلال الجشع للغاية لهذه الأراضى الزراعية موضع الاحترام والتبجيل ، وتحويلها إلى مبانٍ بهدف الربح المادى . لم أشعر وقتئذ بأى أسى من أجل أبى ، وبدا لى أنه كان ضحية لعاطفيَّته المفرطة غير الحكيمة ، وحضرت جنازته مضطراً إذْ لم أكن أرغب فى ذلك . وحين مررت فى شارع " هاى ستريت " ، عادت إلى ذاكرتى حياتى السابقة ، عندما قابلت الفتاة التى عرفتها منذ عشر سنين . التقت أعيننا ، ودفعنى احساس جارف لكى أعود وأتحدث إليها ، فقد كانت فتاة رائعة ، ومع هذا كبتُّ رغبتى هذه . وكانت زيارتى لتلك الأماكن القديمة أشبه بالحلم ، وحينئذ لم أشعر بالوحدة ، وأننى أتيت من عالم يعج بالحياة ، إلى مكان

موحش . كما لم أكن أشعر بالاستياء لأنى تركت كل شىء فى سبيل أن أنـعم بالوحدة والعزلة عن الناس ، وعزوت هذا إلى ما فى الحيـاة من سخـف عام . وكان دخولى إلى حجرتى بمثابة عودتى من الحلم إلى الحقائق الواقـعيـة ، فقـد كان فيـها ما أعرف وأحب من الأشياء . وحيث تنتظرنى أجهزتى ومـعـداتى ، وتجـاربى العلميـة تترقب عودتى . ووقتئذ لم تكن ثمة صعوبة تعترضنى ، فيما عدا تخطيط تفاصيل المشروع الذى أقوم به .

وسوف أطلعك يا (كمب) إن عاجلاً أو آجلاً ، بالتفصيلات المعقدة والمتشابكة لتجاربى فلا داعى للإفاضة فى الشرح الآن . إن معظم هذه التجارب مدوّن بالشفرة فى تلك الكتب الثلاثة التى أخفاها ذلك الأفّاق (مـارفل) ، واحتفظتُ فقط – فى ذاكـرتى – بمعلومات عن بعض هذه التجارب . إننا يجب أن نطارد هذا الرجل ونقبض عليه ، لنسترد هـذه الكـتب . وتضـمنت المرحلة الأساسية من التجارب ، وضع الشـىء الشـفاف الذى كان لا بد من خفض معامل انكساره ، عن طريق وضعه بين مركـزى إشعـاع يصـدران ذبذة بالغة الرقة ، والتى سأخبرك عنها بالتفصيل لا حقًا . كلا إنها لا تشـبه الأشعة السينية(*) ، ولكن أمكننى ملاحظتها بوضوح . لقد احتجت إلى مولدى كهرباء صغيرين ومحرك رخيص يعمل بالبنزين .

(*) أشعة كهرومغناطيسية نفاذة . (المترجم)

وكانت أولى تجاربى على قطعة من نسيج الصوف الأبيض ، ولعل أغرب ما حدث لى فى حياتى أن أرى لونها الأبيض يشحب قليلاً ثم تحركت إلى أعلى حلزونيًا كالدخان وسرعان ما اختفت . لم أصدق أننى فعلت هذا ، فوضعت يدى مكان قطعة النسيج – الذى أصبح فراغًا – فإذ بها صلبة كما كانت طوال الوقت ، ولم تتلاشى ! فألقيت بها على الأرضية ، وواجهت بعض الصعوبة في العثور عليها من جديد . وتلا هذا حادثة مثيرة للاهتمام ، إذ سمعت مواءً خلفى ، فأدرت رأسى لأجد قطة بيضاء هزيلة وجدٌّ قذرة ، تتمسح بزجاج النافذة من الخارج . وخطرت ببالى فكرة ، فقلت لنفسى : " كل شىء معد من أجلك "، ومضيت إلى النافذة ففتحتها ، وناديت القطة بصوت خافت فدخلت إلى الحجرة . وكانت المسكينة تتضور جوعًا فقدمت لها قليلا من الحليب وراحت تشم كل أرجاء الحجرة ، رغبة منها فى الاستئناس بالمكان ، ثم أخذت تتمسح بدولاب الطعام الذى يشغل أحد الأركان . وأزعجتها قطعة الصوف غير المرئية التى صادفتها فى طريقها ، فبصقت عليها، وكان هذا منظرًا غريبًا جديرًا بأن تراه ، ولكن وفرت لها سبل الراحة بأن وضعتها على وسادة سريرى الخفيض ذى العجلات . ووضعت عليها قليلاً من الزبد ، حتى إذا لعقته غسلت – بالتبعية – فراءها الأبيض من القذارة العالقة به .

تساءل (كمب) : " وهل أجريت عليها تجاربك ؟ "

رد (جريفين) قائلا : " أجل ! ولكن التجربة أخفقت ! "

– " أخفقت ! كيف ذلك ؟ "

– " أخفقت فى شيئين . مخالبها والخضاب الأسود فى الجزء الخلفى من عينيها "

– " عند (الطّراز)(*) ؟ " .

– " أجل الطّراز . لم يختفِ الخضاب الأسود للعينين على الرغم من أننى أعطيت القطة العقار الذى يحتوى على مادة (التقصير)(**) بالإضافة إلى قليل من الأفيون لتخديرها ، ثم وضعتها والوسادة التى تنام عليها فوق الجهاز . وبعد عدة ساعات أصبحت القطة غير مرئية ماعدا عينيها السوداوين ومخالبها ! "

– " أمر غريب ! "

– " حتى أنا لا أستطيع تفسير هذا ! لقد كانت القطة ملفوفة بالضمادات المشدودة إلى جسمها . ولكنها كانت على قيد الحياة . وعندما استيقظت وهى مغمضة العينين أصدرت مواءً كئيبًا ، ثم طرق

(*) الطبقة المؤلفة لسقفى القرنين الخلفى والمتوسط من البطين الجانبى فى الدماغ . (المترجم)

(**) مادة كيميائية تستخدم لإزالة اللون . (المترجم)

أحدهم باب حجرتى . كانت عجوزاً تسكن الدور الأرضى ، وقد نظرت إلىّ كشخص عجوز ثمل يقوم بتشريح الأحياء ، لا همّ له فى العالم سوى رعاية قطة بيضاء . أخذت بعض الكلوروفورم(*) ووضعتها على أنف القطة قاصدا تخديرها ، ثم ذهبت لفتح الباب . سألتنى العجوز : "هل سمعت مواء قطة ؟ إنها قطتى ! " أجبتها بأدب جم : - " ليست هنا" انتابها قليل من الارتياب ، وحاولت أن تمعن النظر إلى ما ورائى فى الحجرة ، التى بدت لها - دون شك - غريبة وغير مألوفة ، حيث الجدران العارية والنوافذ التى بلا ستائر والفراش غير المرتب والمحرك الرخيص المهتز وجهاز الإشعاع المتذبذب ورائحة الكلوروفورم - على الرغم من ضعفها - كانت منتشرة فى كل أنحاء الحجرة ، وكان يمكن أن تصيب أى شخص بالإغماء . وأخيراً بدا الارتياح فى ثنايا وجهها ثم خرجت .

تساءل (كمب) بدهشة بالغة : " كم استغرق كل هذا ؟ "

- " ثلاث أو أربع ساعات . وكانت العظام والعضلات والدهون وأطراف الفراء ، هى آخر ما اختفت . ولم تبق سوى العينين السوداوين والمخالب كما ذكرت من قبل ! وكان الليل قد أرخى سدوله بالخارج ، ولم يكن مرئيًا من القطة سوى العينين المعتمتين والمخالب . أوقفت الجهاز

(*) سائل عديم اللون يستخدم كمادة مخدرة . (المترجم)

الغـازى ، وتحـسسـت مكان القطة حـتى وجـدتها ، فـأخـذت أربت على ظهرها ، وكانت لا تزال مـخدرة ، وبعد قليل شعرت بالتعب ينال منى ، فتركتها نائمة على الوسادة الخفيّة ، وذهبت إلى فراشى . حاولت النوم ولكن دون جدوى . بقيت مستيقظًا لبعض الوقت ، أفكر بضعف فى أمور لا رابط بينها . وكنت كلما أغمضت عينىّ تتراءى لى أحلام محمومة عن أشياء تصبح ضبابية ثم تختفى من حولى . إلى أن اختفى كل شىء ، حتى الأرض التى أقف عليها . ثم انتابنى كابوس مخيف بأننى أسقط بلا نهاية ، فاستيقظت فزعًا، وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، بدأت القطة فى المواء وأخذت تتحرك عبر الحجرة بعد أن هبطت من فوق الفراش ، وكنت بالطبع أسمعها فقط دون أن أراها، وحاولت أن أسكتها ولكنها أبت ، ومن ثم فكرت فى أن أقذف بها من النافذة . ومازلت أذكر الصدمة التى شعرت بها ، عندما أضأت نور الغرفة ، فلم أجد سوى عينى القطة تشعان ضوءاً ، ولا شىء حولها ! وفكرت فى أن أعطيها قليلاً من الحليب ، إلا أننى وجدته قد نفد من عندى . ولم تكن القطة ساكنة هادئة، بل ظلت تموء عند الباب . حاولت الإمساك بها ولكنها اختفت، ثم عادت للمواء فى أنحاء مختلفة من الحجرة . وأخيراً خرجت من النافذة المفتوحة بعد أن صرخت فيها بصوت عالٍ ، ولم أرها بعد ذلك أبداً .

وحـينئـذ – ويعلم الله وحـده السـبب – أخـذت أفكر من جـديد فى جنازة أبى ومنحدر التل الموحش والعاصف ، إلى أن جاء يوم أحسست فيه بأن النوم ميئوس منه ، فارتديت ملابسى وأغلقت باب الحجرة خلفى ثم أخذت أتجول فى الشوارع " .

قال (كمب) : " لا أظنك تعنى أن ثمة قطة خفية مطلقة السراح ! " .

رد الرجل الخفىّ بقوله : " ولم لا ؟ إن لم تكن قد قتلت " ، " إننى لم أقصد مقاطعتك . أرجو أن تستمر "، أكمل الرجل الخفى حديثه قائلاً : " إنها على الأرجح ميتة الآن ، ولكنها كانت على قيد الحياة بعد أربعة أيام، إذ رأيت زحاماً فى شارع (جريت تيتشفيلد) حول مكان ينبعث منه مواء قطة خفية .. ! "

ظل صامتا لنحو دقيقة وبعدها استأنف حديثه فجأة قائلاً :

– " .. مـازلت أتذكـر بوضـوح بالغ هذا الصـبـاح قـبل حـدوث التغيرات. كنت أسير فى شارع (جريت بورتلاند) ، ومررت فى طريقى بمعسكرات الجنود فى شارع (ألبانى) وجنود الخيالة خارجين منها . وأخيراً وجدت نفسى جالساً فى مكان تغمره أشعة الشمس فوق قمة (بريمروس هيل) ، شاعراً بالمرض الشديد وبإحساس بالغربة، كان يوما مشمساً من شهر يناير ، أحد تلك الأيام المشمسة المحملة بالصقيع قبل تساقط الثلوج فى هذه السنة . وحاول ذهنى المكدود أن يقيّم الموقف

توطئة لتدبير خطة للعمل ، تملكتنى الدهشة عندما اكتشفت فى ذلك الوقت أن ماكنت أسعى للوصول إليه، كان فى متناول يدى ، لكن التحقق منه كان يبدو لى غير مقنع فى ذلك الوقت . وفى الواقع لقد كنت أعانى من الإجهاد الشديد ، وأدى ضغط العمل المتواصل لمدة نحو أربع سنوات إلى عدم قدرتى على التفكير فى أى شىء إيجابى . لقد كنت متبلداً غير مبالٍ . وقد حاولت – عبثا – أن أستعيد الحماس الذى كنت أشعر به وأنا أجرى تجاربى الأولى ، والرغبة الجامحة للاكتشاف التى كانت تتملكنى فى السابق . ولكن دون جدوى . وأيقنت بما لا يدع مجالاً للشك ، أن ما أعانى منه مجرد حالة نفسية عابرة نتيجة للعمل المرهق والحاجة للنوم ، وأنه إما بتناول الأدوية أو الخلود للراحة ، سوف يكون من الممكن استعادة طاقاتى مجدداً .. ".

– " كل ما استطعت أن أفكر فيه بوضوح وقتئذ ، هو أن تجاربى يجب أن تكتمل وبسرعة ، إذ وجدت إن المال الذى أمتلكه قد أوشك على النفاد . وتجولت ببصرى عند سفح التل ، حيث يلعب الأولاد والبنات تراقبهم . ثم أخذت أمعن التفكير فى المزايا التى تفوق الخيال لمن كان رجلاً خفيًا فى هذا العالم . وبعد زمن ما، عدت إلى المنزل بخطى متثاقلة ، وتناولت بعض الطعام وجرعة كبيرة من دواء (الإستركنين) وذهبت للنوم بملابسى على فراشى غير المرتب . إن (الإستركنين)

منشط قوى يا (كمب) ، يتغلب به الإنسان على أى نوع من الإرهاق " .
قال (كمب) : " إنه الشيطان بذاته ! معبأ فى زجاجة ! "

استطرد الرجل الخفى قائلاً : لقد استيقظت وأنا أشعر بطاقة هائلة وإلى حدما بضيق صدر ! إنك تعرف هذا الشعور يا (كمب) أليس كذلك ؟ "

رد (كمب) بقوله : " أنا أعرف هذا الدواء وتأثيره "

صمت الرجل الخفى لعدة دقائق ثم واصل حديثه قائلاً : " ثم سمعت عدة طرقات على الباب . وكان الطارق هو صاحب المنزل ، الذى أخذ يطلق تهديداته واستفساراته ، إنه يهودى بولندى يرتدى معطفًا رماديًا طويلاً وينتحل خفا ملوّثا بالشحم . واتهمنى بأننى كنت أعذب قطة أثناء الليل ، وكان متأكداً من هذا الأمر . فإن المرأة العجوز لم تمسك لسانها عن الثرثرة . ثم ألحّ فى معرفة كل ما فعلته للقطة . والقانون الإنجليزى بالغ القسوة ولايرحم فيما يتعلق بتشريح الحيوانات الحية للأغراض العلمية . وفكرت بأن هذا الشخص ربما تكون لديه سلطة قانونية ، ومن ثم أنكرت تمامًا موضوع القطة . كما أبلغنى أيضًا بأن اهتزازات المحرك الغازى الصغير، يمكن الإحساس بها فى كل المنزل مما يسبب إزعاجًا للسكان . وأضاف بأن هذا حقيقى بكل تأكيد . وبعد هذا تحرك ببطء وبحرص حولى فى الغرفة ، محدقًا تجاهى بنظارته الفضية ألمانية الصنع . وفجأة طرأت على ذهنى فكرة مفزعة ، هى أنه

قد يفشى بعضا من أسرارى ، لذلك حاولت أن أحول بينه وبين التركيز فى الأجهزة التى أعددتها من قبل ، مما جعل حب الإستطلاع لديه يتعاظم عما كنت أقوم به ، ولماذا أنا على الدوام وحيد وغامض ؟ هل ما أفعله مشروع ولا خطر منه ؟ . وقال لى بأننى لم أكن أدفع أكثر من الإيجار العادى . وأن منزله كان دائما أكثر المنازل احترامًا فى هذه المنطقة سيئة السمعة . فجأة نفد صبرى ، وطلبت منه الخروج . بدأ فى الاحتجاج والثرثرة حول حقه فى دخول غرفتى . ولم تمضى دقيقة حتى أمسكت بياقة معطفه بعنف ، فتمزق شىء ما ، فاستدار بسرعة ذاهبًا فى الممر المؤدى إلى شقته . صفقت الباب بشدة خلفه ثم أغلقته بالمزلاج . وتهالكت فوق أحد المقاعد وأنا أرتعد ، بينما أخذ صاحب المنزل يلعن ويصخب بصوت مرتفع ، وحينما وجدنى لا أجيبه لم ير بُدًا من الانصراف . لكن هذه المقابلة صعدت بالأمور إلى مرحلة الأزمة. لم أكن أدرى ماذا ينوى أن يفعل أو حتى ما الذى يقوى على فعله . والانتقال إلى شقة جديدة يعنى تأخيراً فى إجراء تجاربى ، إلى جانب أن كل ما أملكه فى هذا العالم لا يزيد – بالكاد – عن عشرين جنيها ، معظمها مودع فى أحد البنوك ، ومن ثم استبعدت هذه الفكرة . وهكذا أصبح " الاختفاء " هو الحل الذى لا أستطيع مقاومته . ولا شك أنه سوف ينتج عنه تحقيق وبحث وسلب ونهب لغرفتى .

وما أن راودتني فكرة أن ثمة احتمالاً بأن يكشف النقاب عن عملي، أو أن يتوقف وقد وصل إلى ذروته ، حتى انفعلت وشعرت بنشاط مفاجئ، وأسرعت بإرسال كتبي الثلاثة التي تتضمن مذكراتي ودفتر شيكاتي ، من أقرب مكتب بريد إلى أحد مكاتب الأمانات للخطابات والطرود في شارع (جريت بورتلاند) .

وكنت قد حاولت الخروج من المنزل دون أن أحدث أية ضجة ، وعند عودتي وجدت صاحب المنزل يرتقي الدرج بهدوء ، وأعتقد أنه سمع صوت إغلاق الباب الخارجي ورائي . وأظنك كنت ستغرق في الضحك ، لمرآه يقفز جانبًا إلى منبسط الدرج عندما اندفعت خلفه . وأخذ يحملق بغضب تجاهي ، عندما مررت به . ثم صفقت باب غرفتي بعنف بالغ حتى إن المنزل كله ارتج ، وبعد قليل سمعته صاعدًا إلى الدور الذي فيه غرفتي يجر قدميه جرًا ، ثم تردد وعاد أدراجه ، وبدأت على الفور في العمل على مستحضراتي الطبية . وانتهيت من العمل في ذلك المساء وتلك الليلة . بينما ما زلت أعاني من الإعياء وعدم الاتزان ، الناتج عن تأثير الأدوية التي تزيل لون الدم وتجعله شفافًا . فجأة سمعت طرقات متتالية على الباب ، ثم توقفت . بعدها سمعت صوت أقدام تبتعد ثم تقترب من جديد وعادت الطرقات مرة أخرى . وكانت ثمة محاولة للدفع بشيء ما من تحت عقب الباب .. ورقة زرقاء اللون . انتابتني حالة من الغضب الشديد، فنهضت واندفعت ناحية الباب ، وفتحته على اتساعه .

وقلت : ماذا تـريد الآن؟ . كان صاحب المنزل ومعه إخطار بالطرد أو ما شـابه . مـد يده بالمستند ، ولكنـه لاحظ شـيئًا غريبًا على يدىّ - كـما توقعت - ثم رفع عينيه إلى وجهى . وللحظات فـغرفاه وأصدر صـيحة غريبـة وأسقط كلا من الشمـعة التى كانت تنيرله الطريق ، والوثيقة . وراح يركض مـتخبطًا فى الممر المظلم المؤدى إلى الدرج . أغلقت الباب وأحكمت رتاجه ، ثم ذهبت إلى حيث المرآة . وفـهمت لماذا أصيب صاحب المنزل بالرعب. فقد كان وجهى شـاحبًا للغاية بلون الحجر الأبيض . لقد كـان الأمر كلـه مـفـزعًا، ولم أكن أتوقع كل هـذه المعاناة . كانت ليلة من الألم المبرح والإعياء وفقدان الوعى . كانت أسنانى تصطك ، على الرغم من أن جلدى كان يلتهب نارًا وكذلك كل جسمى . كنت ممددًا فـى غرفتى كالأموات ، فى حالة تثير الاشمئزاز . أدركت ساعتها إلى أى مدى عانت القطة ، حـين خـدرتها بالكلوروفورم . " لقد كـان من حسن حظى أننى كنت أعيش وحيدًا فى غرفتى ، منعزلاً عن العـالم " . شـعرت بألم عظيم فى كل أعـضـاء جسـمى ، وكنت أنتـحب وأئن وأتحدث لنفسـى ، ولكنى صمدت حتى النهاية . ثم أصبحت فاقدًا للحس ، واستيقظت عدة مرات فى الظلام وأنا أشـعر بالوهن الشديد . تلاشى الألـم ، وفكرت وقتـها أن أقـتل نفسى ، لكنى لم أعـر الأمـر اهتـمـامًـا . إننى لن أنسـى أبدًا ذلك الفـجر الذى سيطر علىّ فـيـه رعب غـريب ، وأنا أرى يدىّ وقد صـارتا كالزجاج المعتم . أخذت أرقبهما وهما تصيران كرقائق زجاجية شفافة ،

وفى نهاية اليوم ، استطعت أن أرى – من خلالهما – الفوضى التى تعم غرفتى ، على الرغم من أننى كنت أغلق جفونى الشفافة . وأصبحت أطرافى شفافة كالزجاج . بهتت العظام والشرايين ثم تلاشت وكانت الأعصاب البيضاء الصغيرة هى آخر ما اختفت من جسمى . ولم يبق فى النهاية سوى الأطراف الميتة لأظفار أصابعى ، التى ظلت بيضاء وباهتة بالإضافة إلى بقعة من الحمض بلون بنى فوق أصابعى . كافحت بشدة لأتم عملية الاختفاء . فى البداية كنت عديم القدرة كطفل مقمط، إذ كنت أخطو بأطراف خفية لا أراها ! كنت بالغ الضعف وأتضور جوعًا . ذهبت لأحدق فى لا شيء فى مرآة الحلاقة ، حيث لم يبق ظاهرًا منى إلا بعض الخضاب – الذى أخذ يخفف من كثافته – فيما وراء شبكتى العينين ، وبدا باهتًا أكثر من الغشاوة الضبابية . كان يجب أن أحاول السير ممسكا بالمائدة، وأن أضغط جبهتى على المرآة . وبعزيمة إستلزمت مجهوداً جباراً ، قمت بجر نفسى عائداً إلى أجهزتى ، حيث أكملت العملية نمت طوال فترة صدر النهار ساحبًا غطاء الفراش على عينى ، لأمنع عنهما الضوء ، وعند منتصف النهار ، استيقظت على صوت الطرقات من جديد . كنت قد استعدت قوتى . جلست فى الفراش أنصتُّ، فسمعت حديثًا هامسًا . قمت واقفًا على قدمى ، وبدون إحداث أية ضوضاء – بقدر استطاعتى – بدأت فى فصل الوصلات عن أجهزتى ، وبعثرتها فى كل أرجاء الغرفة ، لكى لا تبدو أنها مرتبة لتنفيذ

عمل ما . عاد صوت الطرقات ، وأصوات تنادى علىّ، أولها صوت صاحب المنزل ، ثم صوتان آخران . وأجبتهم لكى أكسب بعض الوقت .

" أمسكت بعدد من الخرقْ المهملة وإحدى الوسائد التى كانت فى متناول يدى . وفتحت النافذة وقذفت بهم على غطاء صهريج المياه بالخارج . وما إن إنتهيت من فتح النافذة حتى حدثت صدمة كبيرة لباب الغرفة ، فقد حاول أحدهم تحطيم الرتاج ، لكن المزاليج القوية – التى ثبّت بها الباب قبل عدة أيام – حالت دون تحقيق غرضه . روّعنى هذا الأمر ، ودفعنى إلى الجنون ، فبدأت أرتعد وأعمل بسرعة . جمعت بعض الأوراق المبعثرة والقش وأوراق التغليف وأشياء أخرى من هذا القبيل ووضعتها فى منتصف الغرفة . وفتحت مصباح الغاز . وحينئذ توالت طرقات قوية على الباب . لم أجد الكبريت.

فأخذت أضرب الجدار بكلتا يدىّ حانقًا . أغلقت مصباح الغاز ثانية ، وخرجت من النافذة المفتوحة إلى سطح صهريج المياه القريب . وبحرص شديد وبهدوء ، أنزلت إطار النافذة ، وجلست هناك فى أمان ومختفيًا عن العيون – ولكنى كنت أتميز غيظًا – لأرقب ما الذى سوف يحدث . رأيتهم ينزعون لوح الخشب الأساسى من وسط الباب ، وفى الدقائق التالية ، نزعوا المزاليج ووقفوا فى مدخل الغرفة المفتوح .

كـان صـاحب المنزل ومـعـه ابناه ، وهمـا شـابان قـويان يتـراوح عمراهمـا مـابين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين، وخلفـهم تقف مرتعدة عجوز شمطاء تقطن شقة فى الطابق السفلى .

" ولك أن تتصور مدى الدهشة التى علت وجوههم ، حين وجدوا الغرفة خالية ، بعد أن سمعونى أجيبهم منذ هنيهة ! اندفع أحد الشابين مباشـرة إلى النافـذة ، ورفع إطارها وراح يمعن النظر إلى الخارج . كانت عيناه الجاحظتان ووجهه الملتحى وشفتاه الرفيعتان على بعد خطوات منى . وقتئذ راودتنى فكرة أن ألطمه على وجهه الكريه بقبضة يدى ، ولكنى تريثت حتى لا يفتضـح أمـرى . لقـد حـدق مباشـرة فى اتجاهى ، وكذلك فعل الأخرون عندما لحقوا به عند النافذة . ثم أخذ الرجـل العجوز صاحب المنزل ، يفتش تحت السرير . وعندئذ اندفعوا جميعًا إلى حيث خزانة الثياب فلم يجدوا داخلها شيئًا . ثم جرت مناقشات بينهم باللغـة " اليديشـية "(*) و" الكوكنية "(**) ، وانتهـوا إلى أننى لم أجب عن تساؤلاتهم ، وأن خيالاتهـم قد خدعتهم .

(*) لغة اليهود فى وسط وشرق أوروبا ، وهى خليط من عدة لغات كالعبرية والآرامية . (المترجم)

(**) لغة سكان الأحياء الفقيرة فى لندن . (المترجم)

– " غمرنى إحساس بالعجب ، حل محل غضبى ، وأنا جالس على غطاء صهريج المياه ، خلف النافذة أتابع هؤلاء الأربعة . إذ دخلت السيدة العجوز معهم تنظر حولها فى الغرفة بتوجس كالقطة تحاول أن تتفهم لغز سلوكى المحير . اتفق صاحب المنزل – والذى أصبحت أفهم لهجته العامية – مع السيدة العجوز ، على أننى عالم أحياء أقوم بتشريح الكائنات الحية بهدف الدراسة . لكن الابنان اعترضا ، بلغة إنجليزية رديئة ، قائلين بأننى على الأرجح اختصاصى بالكهرباء ، نظراً لوجود المولدات الكهربائية والمِشعَّات(*) . وبدا أنهم جميعا كانوا متضايقين لوجودى بين سكان المنزل ، ثم قامت السيدة العجوز بالتفتيش فى خزانة الملابس وتحت السرير ، ورفع أحد الشابين باب مدخنة المدفأة ونظر إلى أعلى داخلها ، " وظهر عند منبسط الدرج أحد المؤجرين – وهو بائع خضر وفاكهة متجول يشارك قصّاباً فى الحجرة المقابلة لحجرتى – فتم استدعاؤه إلى الداخل ، وأبدى رأيه بكلمات جوفاء ليس لها معنى .

– " فكرت فى أن هذه المشعّات لو وقعت فى يد شخص ذكى نال قسطاً وافراً من التعليم ، فسوف يكتشف أمرى دون ريب . لهذا أخذت

(*) آلات لرفع درجة حرارة الأجزاء الخارجية وتبريد الأجزاء الداخلية (رادياتيرات) . (المترجم)

أراقب تتابع الأحداث ، حتى واتتنى الفرصة المناسبة فدخلت إلى الغرفة عبر النافذة ، وفصلت أحد المولدات الكهربائية الصغيرة عن قاعدته ، وحطّمت الاثنين . وبينما كانوا يحاولون معرفة سبب الحطام – إذ إنهم لم يرونى بالطبع – مررت بهم خلسة ، ونزلت الدرج بخفة . دلفت إلى إحدى حجرات الجلوس وانتظرت حتى هبطوا إلى الطابق السفلى . كان نقاشهم لازال محتدمًا ، وهم يحاولون تبرير الأمور ، وإن كانوا محبطين قليلا ، إذ لم يجدوا أى شىء يثير الرعب يمكن أن يديننى . تسللت صاعداً ومعى علبة من عيدان الثقاب وجدتها فى إحدى غرف الطابق الأرضى . وأضرمت النار فى كومة من الأوراق المهملة التى جمعتها من قبل فى وسط الغرفة وكذلك بعض المخلفات . وقربت منها المقاعد والسرير ثم أطلقت عليهم الغاز ، باستخدام أحد الخراطيم المطاطية . ثم رفعت يدى مودعًا الغرفة لآخر مرة" .

تساءل (كمب) فى فزع : " هل أحرقت المنزل ؟ "

رد الرجل الخفى بسرعة : – " أجل أحرقت المنزل . كان هذا هو الحل الوحيد لطمس كل الآثار التى يمكن أن ترشد إلىّ . ولا شك أن المنزل كان مؤمنًا عليه ضد الحريق . وفتحت مصاريع الباب الأمامى للمنزل بهدوء ، وخرجت إلى الشارع . لقد كنت خفيًّا . وبدأت أدرك المزايا الفريدة التى توفرها لى هذه الإخفائية . كان رأسى بالفعل يعج بكل الخطط والمشروعات العظيمة والرائعة ، التى يمكن أن أقوم بها وأنا خفىّ دون أن أخشى أى عقاب .

الفصل الحادى والعشرون

فى شارع "أوكسفورد"

عندما نزلت الدرج لأول مرة ، واجهتنى صعوبة غير متوقعة ، إذ أصبحت أسير على قدمين لا أراهما ، حتى إننى تعثرت مرتين ، لأننى لم أكن قد اعتدت بعد على وضع قدمىّ الخفيتين على الدرجات ثم رفعهما .لكتنى عندما بدأت لا أنظر الى أسفل . إستطعت أن أسيرمتزنًا بطريقة مقبولة . أما عن حالتى النفسية فقد كنت أشعر بحالة من السمو والاستعلاء بأننى من جنس فائق عن الأدميين ، كما احسست بأننى رجل مبصر – ليس لأقدامه أى وقع ولا لملابسه أى صوت – فى مدينة للعميان . وانتابتنى رغبة جامحة فى المزاح ، وأن أروّع الناس بأن أضربهم على ظهورهم، وأطيح بقبعاتهم من على رؤوسهم واتركهم وهم مذهولون . وعموما كنت منتشيا إلى حد كبير، بهذه الميزة التى لا مثيل لها . " وما إن سرت قليلا فى شارع (جريت بورتلاند) حتى سمعت صوت ارتجاج قوى ، صدمنى شىء ما بعنف من الخلف ، استدرت لأجد

رجلاً يحمل فى يده سلة مملوءة بزجاجات مياه الصودا الغازية ، وكان ينظر إليها فى ذهــول . وعلى الرغم من أن الصدمة آلمتنى وكادت أن تقصم ظهرى ، فإن دهشته الناجمة عن عدم استيعابه للأمر ، دفعتنى للضحك عالٍ . وهمست فى أذن الرجل :" الشيطان فى السلة !" ولويت معصم يده فجأة ، ثم خطفت منه السلّة وسرت بها، وتركته وقد عقدت الدهشة لسانه . بينما كنت أقوم بأرجحة السلة فى الهواء .

" ولكن حدث أن حوذيًا أحمق ، كان يقف أمام إحدى الحانات ، اندفع فجأة فى اتجاهى ، حتى إن أصابعه الممتدة إلى الأمام ، أصابتنى بشدة تحت أذنى . مما دفعنى إلى أن أترك السلة وما فيها من زجاجات، لتتحطم فوق رأس الحوذى . على أثر ذلك تعالت الصيحات وتزايد وقع الأقدام من حولى ، وخرج الناس من المتاجر والعربات وتكاثروا ليلا حقونى . أدركت ما الذى فعلته بنفسى ولعنت حماقتى. تسللت بخفة لأقف أمام واجهة لأ حد المتاجر ، لأتدبر طريقة للخروج من هذا المأزق . فى خلال دقيقة واحدة ، كان يجب أن أندسّ بين السائرين ، حتى لا يكتشف أمرى . " مررت مندفعًا إلى جانب صبى قصاب، الذى – لحسن الحظ – لم يلتفت ليرى (اللاشئ) الذى كاد أن يصطدم به . ثم تسللت خلف عربة أجرة ذات أربع عجلات ، وعبرت الشارع الذى أصبح لحسن الحظ خاليا ، وكنت أتلفت بحذر شديد فى كل الاتجاهات ، خوفًا من أن يتعقبنى شخص ما ، بعد حادثة سلة زجاجات مياه الصودا الغازية .

ثم انعطفت إلى شارع أوكسفورد لأ ندمج فى غمار السابلة ، وكان الزحام على أشده .

" فى خلال دقيقة واحدة ، لم أعد أستطيع أن أطأ على عقبى من كثرة ما علق بهما من قاذورات الطريق ، لذلك قمت بتنظيفهما حتى أستطيع السير . بعدها توًا ارتطم عمود لعربة بعجلتين بكتفى ، وهكذا أصبح جسمى كله مليئا بالكدمات . انحرفت بشدة لأتفادى عربة أجرة ، لأجد نفسى من جديد خلف العربة ذات العجلتين . وأنقذنى تفكيرى الصائب ، من الاصطدام باحدى هذة العربات .. أخذت العربة تسير ببطء عبر الشارع ، ورحت أسير على الأثار التى تخلفها وراءها . كنت مندهشًا مما آلت عليه مغامرتى ، وبدأت أشعر بأننى أرتعد . كان يومًا صحوًا من ايام شهر يناير ، وأنا أسير عاريًا متخشبًا كالأموات ، وكانت طبقة الوحل الرقيقة التى تغطى الطريق ، متجمدة من شدة البرودة . لقد كنت فى منتهى الحمق – كما اتضح لى فى ذلك الوقت – حيث لم أتوقع ما حدث . إذ اننى سواء كنت شفافًا أو غير شفاف ، فمازلت اتأثر بالجو وتقلباته.

"طرأت على ذهنى فكرة بارعة مفاجئة .فركضت قليلا ودخلت فى عربة أجرة دون أن يرانى أحد وكنت أرتعد من شدة البرد والخوف وأشعر ببوادر نزلة برد وأتألم من كدمات فى اسفل ظهرى . سارت العربة التى أستقلها ، ببطءٍ عبر شارع (أوكسفورد) والى ما بعد طريق

(توتنهام كورت). اختلفت حالتى النفسية تماما فمن الانتعاش المتصاعد الذى كنت أشعر به من عشر دقائق فقط ، إلى إحساس غريب بأن ما أفكر فى عمله مستحيل ! وتساءلت : ما فائدة أن أكون رجلاً خفيا ؟ وأصبحت هناك فكرة واحدة تتملكنى ، وهى كيفية التخلص من المأزق الذى وضعت نفسى فيه !

تقدمت العربة ببطءٍ إلى منطقة (مودى) ، وهناك كانت تقف سيدة طويلة القامة ممسكة بخمسة أو ستة كتب ذات أغلفة صفراء اللون ، أشارت لتستأجر العربة وما كادت السيدة تضع قدمها فى العربة ، حتى أسرعت بالهبوط من الجانب الآخر خوفًا من أن تصطدم بى فى الداخل . بمجرد نزولى احتككت بعربة نقل بضائع ولكنى لم أصب بأى أذى . عبرت الشارع إلى ميدان (بلومسبرى) ، عاقداً العزم على أن أندفع بسرعة إلى ما بعد المتحف شمالاً ، لأذهب إلى الحى الهادئ هناك .

لقد كنت لحظتها أكاد أتجمد من فرط البرودة ، ورحت ألعن حماقتى وجنونى إذ كنتّ اعانى بشدة من الموقّف الغريب الذى وضعت نفسى فيه ، حتى إننى كنت أركض وأنا أئن متذمراً . وفجأة ! اندفع كلب صغير أبيض من أحد أركان الميدان ، و هرع فى اتجاهى مباشرة تّدفعه غريزتّه وراح يتّشمم .

" لم أكن قد فكرت من قبل فى أن الأنف بالنسبة إلى عقل الكلب بمثابة العينين للإنسان المبصر .. إنّ الكلاب تتعرف على المرء الذى

يسير امامها من رائحته ، مثلما يتّعرف الإنسان على الآخرين عند رؤيتهم . بدأ الكلب فى النباح والتواثب مبينا – كما بدا لى بوضوح شديد – أنه يدرك وجودى على الرغم من أننى خفىٌ . عبرت شارع (جريت راسل) ، وأنا أنظر من فوق كتفى ، كما فعلتً فى السابق . وقطعت مسافة صغيرة فى شارع (مونتاجو) ، قبل أن يتضح لى أين كنت ذاهبا ؟ !

" ثم سمعت صدحًا موسيقيًا ، ورأيت عدداً من الرجال والنساء خارجين من ميدان (راسل) يرتدون القمصان الحمراء ، ويحمل أحدهم علم (جيش الخلاص)(*) فى مقدمة الموكب. كانوا يحتشدون وينشدون فى وسط الطريق وعلى الرصيف . لم يكن ثمة أمل للعبور وسطهم ، كما كان من الصعب أن أعود أدراجى إلى المنزل من جديد . اتخذتُ قرارى فى جزء من الثانية ، فصعدت بعض السلالم البيضاء لأحد المنازل التى تواجه أسوار المتحف . وبقيت هناك حتى يمر حشد (جيش الخلاص) . وتوقف الكلب أيضا عن النباح والتواثب ، و يبدو أنه كان سعيداً بصوت الموسيقى، وتردد للحظات ثم عاد يركض وذيله ملتف عائداً إلى ميدان (بلمسبرى) مرة أخرى.

(*) جماعة دولية تقوم بأعمال دينية وأجتماعية فى أنحاء العالم ، نشأت منذ عام ١٨٧٨م فى لندن . (المترجم)

" تقدمت فرقة موسيقى (جيش الخلاص) وأعضاؤها يطلقون صيحات عالية هادرة بترنيمة تقول كلماتها (متى سوف نرى وجهه) . حسبت الوقت لا يمر لطوله ، حتى مر الجمهور المتدافع فوق الرصيف القريب منى . وأخذت أصوات طبول الفرقة تخفت وهم يبتعدون عنى ، وحتى هذه اللحظة لم أكن قد لاحظت وجود صبيين صغيرين يسيران بالقرب مني عند سور المتحف . قال أحدهما :" هل ترى ؟ " رد الآخر قائلا : "أرى ماذا؟"

عاد الأول يقول : " هذه الآثار لأقدام عارية موحلة ! "

"نظرت إلى اسفل فوجدت الصبيين قد توقفا ليحدقا فى آثار الأقدام الموحلة ، التى خلفتها بينما كنت أصعد السلالم المدهونة حديثا باللون الأبيض . أخذ المارة يدفعونهما بمناكبهم ، و لكنهما استطاعا البقاء فى مكانيهما .

قال أحد الصبيين : " أؤكد لك بأن هذه آثار لشخص حافى القدمين ارتقى الدرج .. ولكنه لم ينزل ، و كذلك فإن قدميه تدميان ! "

كان الجزء الأكثف من الجماهير قد ابتعد . قال أصغر الصبيين المحبين للاستطلاع ، وصوته ينم عن الدهشة : "(تيدى) ! أنظر هنا " وأشار مباشرة إلى آثار أقدامى . نظرت إلى أسفل ، و راعنى ما رأيت ،

شكل غير واضح المعالم لقدميّ مرسومة بنقاط الطين . وشعرت بأننى على وشك أن أفقد الوعى .

قال الصبى الأكبر : " يا له من أمر غريب ! رسم تخطيطى غامض وكأنما أحدثته أقدام خفية ! أليس كذلك ؟"

تردد للحظات ثم تقدم مـاداً يده ، و أخـذ بعـضـاً من الطين الذى خلفته قدماى . ارتقى أحـد الرجـال – من المارة – بعض درجـات السلم مقترباً ليرى ما الذى يفعله الصبى ، ثم تبعته فتاة . فى اللحظات التالية ، كان يمكن للصبى أن يلمسنى ، فخطوت إلى الوراء ، مما أجفل الصبى فتراجع إلى الخلف متعجبا . استدرت بسرعة نحو جدار قريب وقفزت فوقه ، عابراً إلى مدخل المنزل المجاور .

كان الصبى الصغير من حدة البصر ، بحيث فطن لما جرى . وقبل أن أكمل نزول درجـات سلم المنزل الآخـر – إلى رصـيف الشـارع – تخلص من دهشته اللحظية التى عقدت لسانه ، وأخذ يصرخ بأن الأقدام الخفية قد سارت على الجدار وقفزت من فوقه . " اندفع الجميع عابرين – مثلى – إلى الجانب الآخر من الجدار ، وأخذوا يتبعون الآثار الحديثة لقدمى ، على آخر درجة من الدرج وفوق الرصيف .

قال أحد المارة متسائلاً : " ماذا يجرى هناك بأعلى ؟ "

رد أحد الصبيين قائلاً : " ثمة أقدام خفية تجرى ! انظر " وأشار بيده إلى الدرج . وكان الحشد الغفير من الناس – ماعدا الثلاثة الذين يقتفون اثرى – يتدافعون للحاق بفرقة (جيش الخلاص) . استمرت الدهشة وكثرت التساؤلات ، خاصة بعد أن تعثرت فى أحد الشباب وأنا أحاول تخطيه ، فطرح أرضًا ! وفى الدقائق التالية ، كنت أندفع دونما ترو، مهرولاً حول ميدان (راسل) ، ويركض خلفى ستة أو سبعة أشخاص عقدت ألسنتهم الدهشة يتابعون آثار خطواتى . لم يكن ثمة وقت لإيضاح الأمور ، وإلا قام كل المارة بملاحقتى .

" قمت بالركض السريع حول الميدان مرتين وعبرت الطريق من أحد جوانبه للجانب آخر ثلاث مرات ، وذلك لشدة حيرتى للمكان الذى أذهب إليه . وأخيراً قررت أن أدور على عقبى وأعود من حيث أتيت . كانت قدماى قد صارتا ملتهبتين وجافتين ، وأصبحت آثارهما الطينية باهتة ، يصعب ملاحظتها . وفى النهاية وجدت مكانًا خاليًا بعض الشىء ، فنظفت قدمى بواسطة يدىّ ، وهكذا أمكننى الذهاب دون أن تنم عنىّ أية آثار . وآخر مارأيته بخصوص موضوع مطاردتى ، كان مجموعة صغيرة من نحو اثنى عشر شخصاً ، يتدارسون فى حيرة بالغة آثار خطواتى – التى كادت أن تجف – نتجت عن عبورى إحدى البرك الضحلة فى ميدان (ترافيستوك) ، والتى كونتها الثلوج عقب ذوبانها فى هذا المكان . آثار أقدام مطبوعة ، لشخص مجهول وغامض ، وكأنما اكتشفوا آثار أقدام

(رونبسون كروزو) فى الجزيرة المنعزلة ! " شعرت بالدفء إلى حدما بعد كل هذا الركض ، ومن ثم واتتنى بعض الشجاعة وواصلت طريقى ، سرت فى عدد من الشوارع الجانبية غير المطروقة ، والتى تتشابك وتتقاطع فيما بينها . أصبح ظهرى متيبسًا تمامًا ، وصار مؤلما بطريقة مزعجة ، كما أحسست بالتهاب فى حلقى بسبب أصابع السائق التى انغرست فى رقبتى ، وكذلك أصيب جلد عنقى بالعديد من السحجات ، التى أحدثتها أظفاره . تزايد ألم قدمى وعانيت من جرح قطعى صغير فى إحدى القدمين ، مما اضطرنى إلى أن أعرج . فى الوقت المناسب ، ابتعدت عن طريق رجل كفيف وجدته فى مواجهتى ، إذ تخوفت من حدسه الدقيق . واصطدمت – مرة أو مرتين – بأشخاص ، وتركتهم مذهولين لا يكادون يصدقون ما حدث ، بينما يسمعون لعنات لاحصرلها ، تتدافع إلى آذانهم دون أن يروا صاحبها ! إثر ذلك شعرت بشىء صامت وهادئ يلفح وجهى ، كانت دفقات من الثلوج الهشة قد بدأت تتساقط عبر الميدان ، وهى تشكل غلالة رقيقة . أصبت بنزلة برد ، فلم يمكننى أن أتفادى بعض العطسات المفاجئة . وكان كل كلب أراه فى مرمى بصرى – بأنفه المميز وحاسة شمّه القوية – يمثل رعبًا لى . " فى ذلك الوقت ،جاء رجال وصبية يهرولون . فى البداية كان شخصًا واحداً ثم لحقه الآخرون، كانوا يصيحون وهم يركضون : " حريق .. حريق ! " وكانوا يسرعون صوب منزلى ، نظرت خلفى فشد انتباهى

– فى نهاية الشارع عند المنحدر – سحب سوداء كثيفة ، تتصاعد فوق الأسطح وأسلاك الهواتف .

لقد كان منزلى يحترق ! ملابسى واجهزتى وكل مواردى ، ماعدا دفتر الشيكات والأجزاء الثلاثة من مذكراتى ، التى أرسلتها من قبل إلى مكتب البريد فى شارع (جريت بورتلاند) . لقد أحرقت كل ممتلكاتى وأصبح المكان يتأجج بالنيران "توقف الرجل الخفى عن الكلام وأخذ يفكر . نظر (كمب) بعصبية عبر النافذة إلى الخارج وقال : " حسنًا ! أكمل ".

الفصل الثانى والعشرون

فى المركز التجارى

استطرد الرجل الخفى قائلا : " فى بداية يناير عندما هبت عاصفة ثلجية على مقربة منى ، كان من الممكن أن تفضح وجودى إذا استقرت على جسمى، كنت مرهقًا ومتألما ويائسًا بطريقة لا يمكن التعبير عنها ، وأكاد أن أكون مقتنعًا بأنى ما زلت أملك القدرات التى توفرها لى العملية الخفائية . لقد بدأت هذه الحياة الجديدة – التى أُرغمت عليها – لم يكن عندى مأوى ألجأ إليه ولا أدوات ومعدات ، كما لا يوجد أى شخص فى العالم يمكننى أن أمنحه ثقتى . حيث إن إعلانى عن سرى لشخص واحد ، سوف يكشف أمرى . وراودتنى فكرة خرقاء ، أن أستوقف أحد العابرين وألقى بنفسى بين ذراعيه ، طالبًا الرحمة والمساعدة ، ثم أروى له قصتى بحذافيرها . ولكننى كنت أدرك بوضوح مدى الذعر والقسوة غير الإنسانية التى يمكن أن تسببها مبادرتى للرجل، إذ سوف يجد بين ذراعيه شخصاً خفيا لا يُرى ، يتحدث إليه !

لم أستطع وضع أية خطة وأنا فى الشارع . لقد كان هدفى الوحيد أن أجد ملاذًا ألجأ إليه لحمايتى من الثلوج وحيث أستشعر الدفء ، وبعدها يمكننى أن أضع خططًا . لكن بالنسبة إلىّ - كرجل خفىّ - فإن مساكن لندن كلها، التى تصطف وحداتها ، رتاجاتها مغلقة ومزالجها محكمة ، ومحصنة بدعاماتها . ثمة شىء واحد كنت أراه بوضوح ينتظرنى ، التعرض للبرودة ومعاناة مواجهة العاصفة الثلجية والليل .

ثم خطرت لى فكرة رائعة . فارتددت على أعقابى إلى أحد الطرق الذى يصل ما بين شارعى " جوور " و " توتنهام كورت " حيث وجدت نفسى خارج المركز التجارى " أمنيامس " تلك المؤسسة الضخمة التى يمكنك أن تشترى منها كل شئ : لحم ، بقالة، مفروشات ، أثاث ، ملابس، حتى ألوان الرسم الزيتية . إنها مجموعة من المحلات التجارية وليست متجراً واحداً . واعتقدت أننى سوف أجد الأبواب مفتوحة ولكنها كانت مغلقة . وبينما كنت أقف أمام المدخل الواسع ، جاءت عربة نقل وتوقفت خارجًا ونزل منها رجل يرتدى الزى الرسمى لمتجر " أمنيامس "، ثم أندفع بسرعة وفتح الباب وتمكنت من الدخول إلى المتجر خلف هذا الرجل ، وتجولت فيه إلى أن وصلت إلى قسم بيع الأوشحة والقفازات والشرابات وما شابه ، وبعده إلى قسم أكثر أتساعًا ، حيث تباع السلال التى تستخدم أثناء النزهة وبعض قطع الأثاث الخفيفة . لم أشعر بالأمان فى ذلك المكان ، فقد كان هناك العديد من الأشخاص

يروحون جيئةً وذهابًا . ومن ثم أخذت أطوف خلسة على مقربة ، ينتابنى أرق لا ينقطع ، إلى أن وصلت فى الدور العلوى إلى قسم ضخم به مئات من هياكل الأسّرة ، وخلفها وجدت - أخيراً - مكانًا يصلح لأن أنام فيه، مجموعة كبيرة من الحشايا المكوّمة بعضها فوق البعض . كان المكان مضاءً ودافئًا بدرجة مقبولة . قررت البقاء فى هذا الموضع ، ورحت أتابع بحـــذر مجموعـــتين أو ثلاث مجموعات من البائعين والعملاء الذين يتسكعون عبر المكان ، حتى يأتى موعد إغلاق المتجر .

عندئذ يمكننى أن أسرق طعامًا وملابسَ ، وأتجول خلال المكان متنكرًا ، ومتفحصًا محتوياته ، وربما أتمكن من النوم فوق بعض المفروشات . وبدت لى هذه الخطة معقولة، أن أتدبر ملابس لأبدو متلحفًا وملثمًا ، ولكن بشكل بشرى مقبول ، وبذلك أحصل على بعض الأموال ، لأستعيد مذكراتى وطرودى من المكتب الذى أرسلتها إليه ، وأن أستأجر بيتا - بصفة مؤقتة - حيث يمكننى وضع الخطط الكفيلة بتحقيق المزايا التى توفرها لى خفائيتى (كما كنت ما أزال أتخيل) على أقرانى من البشر . حان وقت إغلاق المتجر بسرعة معقولة ، ولم تمر أكثر من ساعة على اتخاذى لموقعى فوق الحشايا ، حتى لاحظت أن الستائر الخارجية لنوافذ العرض أخذت تسدل لأسفل . والعملاء يسيرون تباعًا فى إتجاه الباب الخارجى . ثم جاء بعض الشباب صغار السن وسريعى الحركة ، وراحو يرتبون كل البضائع ، التى بعثرها العملاء . تسللت من مخبئى

فى هدوء ، بعد أن خفّ زحام العملاء ، أجوس - بحرص شديد - فى الأماكن المنعزلة من المتجر . ولقد اندهشت حقيقة ، عندما اتضح لى مدى السرعة التى يقوم بها هؤلاء الشبان والشابات ، فى ترتيب البضائع التى كانت معروضة للبيع فى ذلك اليوم . كل صناديق البضائع المتباينة ، وكل الأقمشة الموجودة فى أرفف على الجدران، حتى كل أشرطة الزينة الحريرية ، وعلب الحلوى فى قسم البقالة ، مختلف المعروضات من هذا وذاك تم إبعادها من مكانها ، وإنزالها من على الأرفف ووضعها على النضد ، مما جعل الأرضية نظيفة تمامًا ليس عليها أية بضائع ، أما ما لم يمكن إنزاله ، فقد وضعوا عليه قطعا من النسيج الخشن مثل الخيش .

وفى التو واللحظة ، اتجه هؤلاء الشبان والشابات - عقب انتهاء عملهم - إلى باب الخروج فى حيوية نادراً ما لاحظتها فى العاملين بالمتاجر من قبل . عقب ذلك مباشرة حضر عدد كبير من الصبية يحملون بعض الدّلاء والمكانس وينثرون نشارة خشب على الأرضية الخالية . كان يجب أن أتحرك بسرعة لأتفادى الاصطدام بهم ، ولكن كاحلىّ أصيبا من وخز نشارة الخشب . لبعض الوقت ، رحت أتجول داخل الأقسام المتسعة المظلمة ، وأنا أسمع صوت ضربات المكانس على الأرضية . وأخيراً وبعد ساعة كاملة أو أكثر ، تم إغلاق المتجر وتناهى إلى سمعى أصوات قفل الأبواب الخارجية . كان المكان موحشاً بهدوئه .

وعندئذ تذكرت أننى قريب من أحد مداخل المتجر . الواقعة أمام شارع (توتنهام كورت) . ورحت أتنصت على وقع كعوب الأحذية طويلة الرقبة ، للعابرين فى الشارع .

قمت بزيارتى الأولى للمكان الذى شاهدت فيه الجوارب والقفازات المعروضة للبيع . كان المكان مظلماً ، وسعيت – تدفعنى رغبة جامحة – للحصول على عيدان ثقاب ، حتى وجدتها أخيراً فى أحد أدراج ماكينة صغيرة لتحصيل النقدية ، كان يجب أن أحصل بعد ذلك على شمعة ، وعلى ضوئها أخذت أمزق بعض أغلفة الصناديق ، وأفتش داخل الأدراج. وفى النهاية إستطعت أن أجد ما سعيت للحصول عليه ، صندوق مكتوب عليه ما يفيد إحتوائه على سراويل تحتيّة رجاليّة قصيرة من صوف الخراف ، وكذلك صدريات من النوع نفسه . بعد ذلك وجدت بعض الجوارب الثقيلة بدرجة ملائمة ، ثم توجهت إلى قسم الملابس وحصلت من هناك على سراويل خارجية ، وسترة مريحة ومعطف وقبعة من نوع خاص ، يمكن إنزال جزئها الأمامى المرن على الوجه . وهكذا بدأت أشعر أننى عدت إنساناً من جديد . وكانت فكرتى التالية ، هى كيفية الحصول على الطعام !!

صعدت الدرج ، قاصداً قسم الوجبات الخفيفة ، حيث حصلت على بعض اللحم البارد ، وكانت هناك قهوة ما زالت فى الإبريق النحاسى . أشعلت الموقد وقمت بتسخينها .

وعمومًا فقد فعلت كل شئ ، بطريقة لا تجعل الأمر مفضوحًا أو يمكن اكتشافه . ثم رحت أبحث عن بطانيات ، ولكننى - فى النهاية - اكتفيت بالحصول على بعض الألحفة . وبالمصادفة وجدتنى فى قسم البقالة وهناك حصلت على شيكولاته وحلوى بالسكر . كان ذلك أكثر من رائع بالنسبة إلىّ . كما وجدت بعض أنواع النبيذ الأبيض الفرنسى . كان قسم لعب الأطفال بالقرب ، وهناك تفتق ذهنى عن فكرة مدهشة ، حيث وجدت بعض الأنوف الصناعية ، أقصد أنوف دمى الأطفال المضحكة ،أنت تعرفها بالتأكيد .

كما فكرت فى الحصول على نظارات سوداء . ولكن متجر " أمنيامس " ليس به قسمًا للبصريات وكان مكان أنفى المجوف ، مشكلة بالنسبة إلى ومن ثم راودتنى فكرة تلوينه ، لكن ذهنى هدانى إلى استخدام الشعر المستعار والأقنعة وما أشبه . وفى نهاية الأمر ، ذهبت للنوم على كومة الألحفة ، حيث كنت أشعر بالدفء الشديد وبالراحة .

" كانت أفكارى - قبل أن أستغرق فى النوم - هى الأفضل منذ التغير إلى حالة الخفائية . لقد كنت فى حالة من الاسترخاء الجسدى انعكست آثاره على ذهنى فصار تفكيرى صافيا .

فكرت أننى - فى الصباح التالى - يمكننى أن أتسلل خارجًا فى هدوء بكل الملابس التى كنت أرتديها، وأن أغطى وجهى بدثار ابيض كنت

قد أخذته من المتجر ، وأن أشترى بالنقود التى سرقتها نظارة سوداء أو ما أشبه ، وبهذا أكون قد أكملت تنكّرى .

أخذت تتراءى لى أحلام على غير هدى ، حول كل ما مر بى من أمور تفوق الخيال خلال الأيام القليلة الماضية. رأيت – فى أحد الأحلام – ذلك اليهودى الكريه صاحب المنزل وهو يصيح فى الغرف وولديه وهما متعجبان ، والسيدة العجوز ذات الوجه المتغضن وهى تسأل – بصوتها القبيح – عن قطتها . واختبرت ثانية الإحساس الغريب وأنا أجد ملابسى تختفى ! وفى حلم آخر ، وجدتنى عند منحدر التل الذى تذروه الرياح، والقس العجوز يغمغم شاهقا : " من التراب وإلى التراب يعود ، وما أخذ من الأرض يعود إليها " وكان يقف عند قبر أبى المفتوح .

قال صوت : " وأنت أيضاً " ودفعنى شيئا ما إلى المقبرة . قاومت وصرخت وإستغثت بالمعزين ، إلا أنهم أنهوا مراسم الدفن وكأنهم قدوا من حجارة ، حتى القس العجوز لم يتلعثم أبداً، بل كان يلفظ الكلمات بنبرة رتيبة ويتكلم شاهقا بتكرار ، طوال وقت أدائه للشعائر الدينية . أدركت أننى كنت غير مرئى ومتعذراً سماعه .

كانت تلك المجموعة من القوى الساحقة تمسك بى بإحكام . قاومت دون جدوى ، ثم دفعت قسراً إلى حافة القبر ثم سقطت فوق التابوت ، فأحدث صوتا مكتوماً . وتطايرت فوقى كمية كبيرة من الحصى ، التى تم قذفها بواسطة المجارف .

لم يبال بى أحد ، بل حتى لم يشعر بوجودى أى شخص . إهتززت متشنجًا ثم استيقظت .

كان فجر لندن قد بدأ يظهر شاحبًا ، فغلب على المكان ضوءً رمادى باهت ، استطاع أن ينفذ من خلال حواف ستائر نوافذ العرض . إستويت جالساً ، وللحظات لم أستطع تذكر ذلك القسم الواسع ونضده وكمية كبيرة من المفروشات المطوية وأكوام الألحفة والوسائد وقوائم الأسّرة المعدنية . وعندما أستعدت ذاكرة المكان فى ذهنى ، سمعت صوت نقاش يحتدم .

" بعيداً ، تحت الطابق الذى كنت فيه ، بدأ العاملون فى بعض الأقسام ، فى رفع ستائر نوافذ عرضها كاملة ، حيث سطع الضوء . ظهر رجلان ، فانتصبت على قدمى وأخذت أتلفت حولى ، أبحث عن مكان أختبئ فيه . وما إن فعلت ذلك ، حتى لفت صوت حركتى انتباههم إلى وجودى . أعتقد أنهم تبينوا شكلا غير واضح المعالم ، يتحرك بهدوء وسرعة بعيداً .

صاح أحدهما : " من هذا ؟ " ثم صرخ الآخر :– " قف مكانك ".

هرعت إلى أحد الأركان " كنت رجلا دون وجه ! هل تتخيل هذا ؟ فسقطت فوق صبى طويل وهزيل فى نحو الخامسة عشرة من عمره . صرخ من هول المفاجأة ، فاندفعت وتجاوزته وانعطفت عند ركن آخر .

وبإلهام موفق بزغ فى وقته ، قذفت بنفسى للداخل متمدداً تحت أحد نضد البيع . فى اللحظات التالية ، تناهى إلى سمعى صوت أقدام أناس يهرولون وهم يصرخون :– " أغلقوا الأبواب الخارجية " وفى الوقت نفسه يسألون بعضهم البعض عما يجرى ، ويتبادلون النصائح حول الوسائل الكفيلة بالقبض علىّ .

تملكنى الفزع المروّع بينما كنت مستلقيا فوق الأرضية . لكن من الغريب أنه فى ذلك الوقت ، لم تخطر لى فكرة أن أخلع ملابسى حتى لا يرانى أحد وأظن أن هذا ما كان يجب أن أفعله . إستقر تفكيرى على أن أفضل طريقة للفرار منهم ، هى مواجهتهم، وسيطرت هذه الفكرة علىّ تمامًا . ومن خلال الفراغات بين النضد والأرضية ، سمعت صوتا يصيح :– " إنه هنا " .

وثبت على قدمىّ ، ورفعت أحد المقاعد التى كانت على النضد ، وقذفت به على هذا الأحمق مباشرة ، فصرخ عندما أصابه . . دخلت إلى منعطف قريب عند أحد الأركان، فاصطدمت بواحد آخر من الملاحقين حيث جعلته الصدمة يلف حول نفسه ، ولكنه استمر واقفًا على قدميه ثم راح يركض بحماس خلفى إلى أعلى الدرج ، وهناك كانت كمية كبيرة من أوعية تمتلئ بالألوان البّراقة . ماذا تظنها كانت هذه الأشياء ؟ "

قال " كمب " مقترحًا :– " علب تلوين تستعمل فى الرسم؟ "

" هكذا كانت فعلاً .. علب تلوين . حسنا لقد قمت بالدوران حول نفسي وعند الدرجة العليا الأخيرة ، تناولت أحد هذه الأوعية وحطمته فوق رأس الشخص الذى كان يلاحقنى . وفى التو واللحظة ، إنهارت كل الكومة تباعًا .

سمعت صراخًا وأصوات وقع أقدام سريعة فى كل مكان حولى . فاندفعت بتهور مجنون إلى حيث قسم المأكولات الخفيفة . وكان ثمة رجل فى رداء أبيض لعله طباخ ، فى مقدمة المطاردين . قمت بدورة أخيرة يائسة ، ووجدت نفسى فى أحد الأقسام التى تبيع المصابيح والمعدات المعدنية . ذهبت إلى خلف إحدى نضد البيع وانتظرت الطباخ. وما إن وصل إلى مكانى ، حتى عالجته بضربتين متتاليتين على رأسه بأحد المصابيح ، فسقط على الأرضية . إتخذت النضد كساتر ، ورحت – بأسرع ما يمكننى – أخلع عنى ملابسى . المعطف والسترة والسراويل الخارجية والحذاء .

ولم تبق سوى الصدرية الداخلية المصنوعة من الصوف ، حيث كانت بلون بشرتى .

بدأت أسمع وقع أقدام المزيد من المطاردين ، وكان الطباخ ممددًا دون حراك على الجانب الآخر من النضد ، مذهولاً وخائفًا وصامتًا . كان يجب علىّ أن أندفع مسرعًا للمواجهة الثانية ، كنت مثل أرنب برى يسعون لاصطياده ، وقد خرج لتوه من بين كومة حطب .

سمعت أحدهم يصرخ : " من هذا الطريق أيها الشرطى " . وجدت نفسى فى قسم هياكل الأسرة المعدنية من جديد ، فأندفعت بين مجموعة كبيرة من خزائن الثياب، وانبطحت أرضًا ثم تخلصت من الصدرية الصوفية بعد محاولات عديدة لنزعها .

ووقفت مرة ثانية وعندى إحساس بالحرية ، ولكن سرعان ما شعرت بالخوف وأخذ قلبى يدق بعنف من كثرة الركض . إثر ذلك قام رجل الشرطة وثلاثة من البائعين بالمتجر ، بالالتفات حول أحد الأركان ، وإندفعو إلى حيث الصدرية والسراويل الداخلية والخارجية والتقطوها من على الأرضية . وقال أحدهم : " إنه يسقط ملابسه ، لابد أن يكون قريبا لكنهم لم يجدونى أبداً . وقفت لبعض الوقت أتابعهم وهم يسعون لأصطيادى ، وألعن حظى السئ لفقدانى ملابسى . ثم توجهت إلى قسم الوجبات الخفيفة ، وتناولت بعض الحليب الذى وجدته هناك . وجلست بجانب المدفأة أتدبّر ما وصلت إليه .

بعد وقت قصير ، جاء اثنان من البائعين ، وراحا يتكلمان بحماس بالغ عن الأحداث التى مرت وبدوا لى كالحمقى . وسمعت تقريراً مبالغًا فيه ، عما قمت به من أعمال نهب وسلب ، وتخمينات متباينة حول الأماكن التى يمكن ان أكون مختبئا فيها . لذلك بدأت أتدبّر الأمر من جديد . إذا استشعرت صعوبة فى استمرارى آمنا فى هذا المكان ، وقد أصبح منذراً بالخطر .

كان يجب أن أحصل على أية أمتعة ، ومن ثم نزلت الدرج إلى المخزن ، لأرى إن كانت هناك أية فرصة للحصول على أمتعة . وفى الحادية عشرة صباحًا تقريبًا ، بدأت الثلوج تتساقط ثم أصبح اليوم أكثر دفئًا من اليوم السابق . وقررت بينى وبين نفسى أن المركز التجارى لم يعد يصلح كمخبأ لى ، ولهذا خرجت منه ساخطًا وشاعرًا بالفشل وفى ذهنى بعض الخطط غير الواضحة لما يجب عمله .

الفصل الثالث والعشرون

فى شارع " درورى لين "

قال الرجل الخفى : " أظنك الآن قد بدأت تتحقق من صعوبة حالتى . فلم يكن لى ملجأ آوى إليه أو غطاء يدثرنى . وإن ارتديت ملابس أكون قد تنازلت عن كل المزايا التى يتيحها لى الاستخفاء ، وأن أجعل من نفسى شكلا غريبا ومروّعًا . وآثرت أن أصوم عن الأكل ، فلو تناولت أية أطعمة لا يحدث لها تمثيل غذائى وملأت معدتى وأجهزة هضمى بها فإنها سوف تجعلنى مرئيا من جديد .

قال (كمب) : " لم أفكر فى هذا أبدًا ".

رد الرجل الخفى : " ولا أنا أيضًا . وكان الثلج يحمل فى طياته أخطارًا أخرى يمكن أن تواجهنى . فلم يكن ممكنا أن أخرج إلى حيث الثلج المتساقط ، لأنه إذا استقر على جسمى ، سوف يكشف عن وجودى . المطر أيضا كان يمكن أن يفصح عن مكانى ، لأننى كلما سرت تساقطت منى قطراته وكأننى تحولت إلى سطح خارجى متلألئ

لإنسان ، أو قد أبدو مثل فقاعة واهنة فى الضباب . مجرد هيكل باهت به مسحة بسيطة من الإنسانية .

وفضلا عن ذلك ، فعندما خرجت سائرا - فى جو مدينة لندن - جمعت الكثير من الوحل حول كاحلى ، كما ترسبت على جلدى كمية من السناج المتطاير فى الهواء بالإضافة إلى التراب .

لم أكن أعلم كم سيمر من الوقت حتى اصبح مرئيا بسبب هذا ولكن كان واضحًا أننى لن أستمر خفيًا لمدة طويلة ، ليس فى مدينة لندن على أية حال . بكل هذه الظروف .

" ذهبت عبر احياء الفقراء المزدحمة بالسكان ، قاصداً شارع " جريت بورتلاند ، فوجدتنى فى نهاية الشارع الذى كنت أقطن فيه . فلم أذهب فى ذلك الإتجاه، بسبب الحشد الذى كان متجمعًا فى منتصفه ، أمام الأدخنة المتصاعدة من المنزل الذى قمت بإضرام النار فيه . كانت مشكلتى الملحّة هى الحصول على ملابس ، وكان ما يحيرنى هو ما سوف أفعله بخصوص وجهى . وقتئذ شاهدت فى احد المتاجر الصغيرة التى تبيع المنوعات ، صحف وحلوى ولعبًا وأدوات مكتبية والأقنعة التى تستخدم للمزاح فى كريسماس وما إلى ذلك من مختلف الأقنعة والأنوف المصنوعة من الورق المقوى ، وأدركت أن مشكلتى قد تم حلها . وومضت فى ذهنى الخطة كاملة .

" رحت أتجول فى المكان وثمة هدف أمامى ، سرت فى دوائر حتى أتفادى الطرق المزدحمة ، قاصداً الشوارع الخلفية شمال شارع " ستراند " حيث تذكرت - وإن لم أكن واثقا من المكان بالتحديد - أنه فى هذه المنطقة توجد بعض المتاجر ، التى تقوم بتصميم وتصنيع الديكورات والملابس المسرحية وتصنيعها .

" كان اليوم بارداً والريح عاصفة فى إتجاه الشوارع الشمالية كثيفة الحركة ، سرت بسرعة شديدة حتى لا تدركنى . كل تقاطع طريق كان يمثل مشكلة لى ، إذ كان علىّ أن أراقب كل عابر سبيل بحذر .

بينما كنت أعبر أعلى منحدر شارع " بدفورد " إستدار أحد السائرين فجأة مغيراً إتجاهه - وأنا على وشك المرور بجواره - فدفع بى إلى مجرى الطريق . وكدت أن أقع تحت عجلات عربة مارة . لقد أفقدتنى تلك الحادثة صوابى ، حتى إننى ذهبت إلى سوق " كوفنت جاردن " . وجلست لبعض الوقت فى ركن هادئ ، ملاصق لكشك لبيع زهور البنفسج ، وأنا ألهث وأرتعش . اكتشفت أننى أصبت بنزلة برد ، ومن ثم يجب أن أغادر هذا المكان بعد وقت قصير ، خشية أن تلفت عطساتى الانتباه لوجودى .

" وأخيرا وصلت إلى ما كنت أسعى إليه، وهو متجر صغير قذر فى أحد الأزقة الجانبية المتفرعة من شارع " دروری لين " كانت نافذة معروضاته ممتلئة بالأردية ذات الأوانى المبهجة ، والمجوهرات المزيفة

والشعر المستعار والخفاف الرخيصة والأثواب التى ترتدى مع قناع للعين فى الحفلات التنكرية وصور لمسرحيات . كان المتجر من الطراز القديم عتيقا ومنخفضا عن مستوى الطريق ، ويرتفع فوقه منزل من أربعة طوابق ، مظلم وموحش .

" حدقت عبر نافذة المتجر ، فلم أجد أى شخص بالداخل ومن ثم دخلت . كان الباب مصمما بحيث إذا فتح يدق جرس ، مما يشى بأن أحداً قد دلف إلى المتجر . تركت الباب مفتوحًا ، وتجولت حول أحد الحوامل الفارغة فى أحد الأركان خلف مرآة طويلة متأرجحة ، موضوعة فى إطار كبير . ولدقيقة أو نحوها لم يأت أى شخص ، عقبها سمعت صوت خطوات ثقيلة وسريعة فى إحدى الحجرات التى تعلو المتجر ، ثم ظهر رجل يهبط الدرج إلى الداخل .

" وقتئذ كانت خطتى قد اكتملت ، إذ قررت أن أدخل إلى المنزل عبر هذا الدرج ، لأختبئ فى أحد الطوابق العلوية ، وعندما يصبح كل شئ هادئًا ، أنتهز أية فرصة للبحث عن شعر مستعار أضعه على رأسى ، وأرتدى نظارة سوداء وأضع ثوبًا فوق جسمى وأخرج إلى العالم . حقا سوف يكون شكلى غريبًا إلى حد ما ، ولكنه مقبول . وطبعا يمكننى – إلى جانب ذلك – أن أستثمر الظروف وأسرق بعض الأموال من المنزل .

" كان الرجل الذى دخل إلى المتجر ، قصير القامة نحيل الجسم، ذا ظهر محدّب ، كث الحاجبين ذراعاه طويلتان وساقاه قصيرتان للغاية

ومقوســتان . وفيما يبدو أنني عطلته عن إكمال وجبة كان يتناولها . جال بنظرة محدقة في أرجاء المتجر ، متوقعًا أن يشاهد شخصًا ما بالداخل . فلما لم يجد أحداً ، ظهرت علــى وجـهــه أمـارات الدهشــة ثم انتـابه الغضب ، عندما اتضح له أن المتجر كان خـاليـا . قال منفعـلاً " اللعنة على هؤلاء الصبية !" ثم خرج من المتجر ونظر يمينا ويسارًا على طول الشـارع ، وقفر راجعًا بعد دقيقة . دفع باب المتجر بقدمه حنقًا وأخذ يدمْدم وهو يتجه إلى المنزل .

" خـرجت من مكاني لكي أتبـعـه ، وعلى أثر الصـوت الذى أحـدثتـه حركتي ، توقف في مكانه كالتمثال . وفعلت مثله بعد أن أدهشتنى حدة سمعه ، ثم صفق الباب خلفه بشدة أمام وجهى مباشرة .

" توقفت متردداً . وفجـأة سـمـعت وقع خطواته السريعة تعود ، ثم فتح الباب من جديد ونظر إلى الداخل فى أرجـاء المتجـر ، فقـد كان لا يزال غيـر مقتنع بعدم وجود أحد . أخذ يغـمـغم لنفسـه وراح ينظر إلى خلف النضَد مستكشفًا ، وأخذ يحدّق فيما وراء التجهيزات بالمتجر ، ثم توقف متشككًا . وكان قد ترك باب المنزل مفتوحًا ، فـانتـهزت الفرصـة وتسللت إلى حجرة داخلية .

" كانت حجرة صغيرة غريبة الشكل ، أثاثها يوحى بالفقر الشديد وثمة أقنعة ضـخمة فى أحد أركانها . وهناك مائدة عليها طعام إفطار ، متأخرًا عن الوقت المعتاد . وكم كان الأمر بغيضًا ويدعو إلى السخط ، يا

(كمب) ، أن أشم قهوة هذا الرجل وأقف محدقًا فى الطعام ، بينما يكمل تناول وجبته ، بطريقة تثير الاشمئزاز . وكانت هناك ثلاثة أبواب تفتح على هذه الحجرة ، أحدها يؤدى إلى حيث الدرج الصاعد إلى أعلى والآخر يؤدى إلى أسفل ، لكنها جميعًا كانت محكمة الإغلاق . ولم أستطع مغادرة الحجرة وهو لا يزال داخلها ، حتى لقد كنت أتحرك نادرًا ، وذلك خشية رهافة سمعه . وشعرت بتيار هواء بارد فى ظهرى ، وكدت أن أعطس مرتين ولكنى أمسكت نفسى فى الوقت المناسب .

" آنذاك كانت أحاسيسى مثيرة وجديدة ، ولكنى كنت متعبًا إلى حد بعيد وغاضبًا لمدة طويلة ، قبل أن ينهى الرجل تناول وجبته . بعدها وضع الوعاء الفخارى رخيص الثمن – الذى كان يأكل فيه – على الصينية المعدنية السوداء ، التى كان قد وضع عليها من قبل ، إبريق الشاى . ثم جمع فتات الخبز على مفرش من القماش ، ملوث ببقع بهار الخردل ، وحمل كل هذا معه واتجه ناحية الباب ، ومنعه الثقل الذى يحمله من غلقه خلفه ، كما اعتاد أن يفعل . الواقع أننى لم أر رجلاً مثله من قبل ، بهذا الأعتياد على غلق الأبواب . تبعته إلى مطبخ غاية فى القذارة ، وحجرة غسل الأطباق وحفظها ، اللذين يقعان فى الدور السفلى تحت الأرض .

ولكم شعرت بالأرتياح عندما رأيته يبدأ فى غسل الأطباق ! ثم لم أجد أية فائدة من البقاء فى هذا المكان ، كما أن الأرضية المصنوعة من

القرميد ، كانت باردة على قدميّ . صعدت إلى الغرفة العليا وجلست على مقعده بجانب المدفأة . لكن الفحم فى داخلها كان خافت النيران ، وبدون تفكير وضعت المزيد من الفحم . هذه الضجة البسيطة دفعته للصعود لأعلى على الفور ، ووقف محدقا . ثم راح يفتش الحجرة بعينيه وكان على بعد بسيط جداً منى ، بل أوشك أن يلامسنى . وحتى بعد هذا التحرىّ ، بدا بالكاد راضيا . وقف عند مدخل الباب ، وأخذ يتفحص الأمر بصفة نهائية ، قبل أن ينزل إلى أسفل ثانية .

" انتظرت فى الحجرة الصغيرة لوقت بدا وكأنه دهر . وأخيرا صعد من جديد وفتح الباب الموصل للدور العلوى ، وعندها استطعت أن أرافقه. توقفت فجأة وهو يصعد السلم لدرجة أننى كدتّ أصطدم به من الخلف . راح ينظر وراءه مباشرة إلى وجهى ، وأخذ يصغى باهتمام .

قال : " أستطيع أن أقسم إننى سمعت شيئا ما " . دفع يده الطويلة التى يغطيها الشعر على شفته السفلى مفكراً ثم راحت عيناه تتطلعان إلى أعلى الدرج وأسفله .

أصدر صوتا من أنفه يشبه القباع(*) ، وواصل الصعود من جديد .

(*) الصوت الذى يصدره الخنزير . (المترجم)

" أمسكت يده بمقبض أحد الأبواب ، ثم توقف ثانية وما زالت ملامح الغضب والإرتباك على وجهه . لقد أصبح مدركًا للأصوات الخافتة التى تنم عن تحركاتى بالقرب منه . لابد أن الرجل يمتلك حاسة سمع حادة وغير طبيعية ، ثم انفجر فى ثورة غضب وصاح :

" إذا كان هناك أى شخص آخر فى هذا المنزل .. "، ولكنه لم يتم تهديده .

وضع يده فى جيبه ، ولكنه لم يعثر على ما كان يبحث عنه ، ثم إندفع أمامى صاخبًا ومتخبطًا كانما إنتابه مس من جنون ، هابطًا الدرج . لكننى لم أتبعه، بل جلست أعلى السلالم ، حتى يعود . بعد مرور وقت قصير، صعد من جديد إلى أعلى ، وهو لا يزال يدمدم ، فتح باب الحجرة ، وصفقه خلفه بسرعة – فى وجهى – ومن ثم لم أتمكن من الدخول وراءه .

" قررت أن اكتشف المنزل ، دون أن أحدث أية ضوضاء ، واستمررت فى هذا لبعض الوقت . لقد كان المنزل عتيقا وآيلاً للسقوط ، حتى أوراق الجدران قد تقشرت عنها ولم تعد ملتصقة بها ، كما قامت الفئران بقرض أجزاء منها . وكانت بعض مقابض الأبواب متيبسة ، ومن ثم خشيت أن أديرها حتى لا تحدُث صوتًا . ولم يكن بالعديد من الغرف التى فحصتها أى أثاث ، أما البعض الآخر فكان يحتوى على أخشاب مبعثرة من تلك التى يقام بها ديكورات المسرحيات . وقد اشتريت

مستعملة ، هكذا كان حكمي عليها من منظرها . وفي حجرة مجاورة لحجرة الرجل ، وجدت عدداً وافراً من قطع الملابس القديمة . وبدأت أنقب فيها ، ومن فرط التلهف الذى اجتاحنى فى ذلك الوقت ، نسيت – مرة ثانية – حاسة سمعه الفائقة .

" سمعت صوت وقع أقدامه المتلصصة وعندما رفعت نظرى إلى أعلى ، فى اللحظة المناسبة ، شاهدته يحدق فى كومة الملابس القديمة التى كنت أتفحصها ، وكان يمسك بيده مسدساً عتيق الطراز . وقفت جامداً بلا أدنى حركة ، بينما كان يمعن النظر فيما حوله ، مشدوها ومتشككاً . وقال بتؤدة " لابد أنها هنا ! اللعنة عليها ! "

أغلق الباب خلفه فى هدوء وسمعت صوت المفتاح يدور فى القفل ، ثم أخذت خطواته تبتعد . وأدركت فجأة أننى أصبحت محبوساً داخل الحجرة . مرت دقائق وأنا لا أدرى ماذا أفعل . رحت أسير من الباب إلى النافذة ، وأعود ثانية إلى حيث الباب ، ثم وقفت متحيراً . إنتابنى غضب شديد ، ولكنى قررت مواصلة تفحص الملابس ، قبل إتخاذ أية خطوات تالية . فى محاولتى الأولى ، أنزلت لفة كبيرة عن أحد الرفوف العلوية .

أعاد صوت إرتطامها بالأرضية الرجل أكثر شراً من كل المرات السابقة . فى تلك المرة لمسنى فعلاً ، فقفز إلى الخلف مذهولاً ووقفت جامداً فى وسط الحجرة .

" بعد لحظات هدأ قليلا ، ثم قال بصوت خفيض وأصابعه على شفته : " لابد أنها الفئران ! " . وقتئذ كان خائفا إلى حد ما . تسللت بهدوء إلى خارج الحجرة ، وفى طريقى وطأت لوحًا خشبيًا ثقيلاً ، فأحدث صريراً . إثر ذلك بدأ هذا الشخص البغيض قصير القامة ، فى التجول داخل كل حجرات المنزل – ومسدسه فى يده – يغلق أبوابها الواحد تلو الآخر ، ويحتفظ بالمفاتيح فى جيبه . وما إن تبينت ما يخطط لعمله ، حتى إنتابتنى ثورة عارمة . لم أستطع التحكم فى نفسى بدرجة كافية ، أمام هذه الفرصة التى سنحت لى . حينئذ أدركت أنه يعيش منفرداً فى المنزل ، لذلك لم أحدث المزيد من الضوضاء ، بل ضربته على رأسه " .

صاح (كمب) متسائلاً : " ضربته على رأسه ! "

أجاب الرجل الخفى قائلا : " أجل ، هكذا أفقدته صوابه ، وهو ينزل الدرج الداخلى . ضربته من الخلف على رأسه ، بمقعد معدنى بدون ظهر وجدته عند منبسط الدرج . تدحرج على أثر الضربة على السلم مثل كيس به بعض الأحذية القديمة . "

قلت لنفسى مبرراً ما فعلت : " هكذا تعوّد البشر أن يفعلوا ببعضهم البعض دائمًا ! "

كان الأمر المهم – يا (كمب) – أن أخرج من هذا المنزل متنكراً ، دون أن يرانى الرجل . لم تكن هناك وسيلة أخرى أفكر فيها غير أن أضربه . كممت فمه بصدرية – ماركة " لويس كوارتوز " ، ولففت جسمه فى ملاءة. تساءل (كمب) فى دهشة : " لففت جسمه فى ملاءة ؟ ! "

نعم، لقد اصبح مثل كيس كبير مصنوع من القماش . بلا ريب أنها كانت فكرة صائبة ، لكى أحتفظ بهذا الأبله خائفا وصامتا ، داخل الكيس الذى يصعب الخروج منه !

" عزيزى (كمب) لا فائدة من جلوسك هنا محدقا فىّ ، كما لو كنت قاتلاً . كان علىّ أن أفعل هذا . فقد كان يحمل مسدسًا فى يده ، بالإضافة إلى أنه لو رآنى ذات يوم فسوف يتعرف علىّ . قال (كمب) مندهشًا : " هل يمكن أن يحدث هذا فى إنجلترا فى الوقت الحاضر ؟ إن الرجل كان فى منزله وأنت – ماذا أقول – تسرق ! "

صاح الرجل الخفى : " أسرق ! يا إلهى ! سوف تدعونى لصًا بعد ذلك ! بالطبع يا (كمب) لست من السذاجة بحيث لا تقدر موقفى ! "

رد (كمب) قائلاً : " وموقف الرجل أيضا ! "

وقف الرجل الخفى على قدميه بإنفعال شديد وصرخ : "ما الذى تعنيه بقولك هذا ؟ "

عبس وجه (كمب) بشدة ، لقد كان على وشك أن يتكلم، ولكنه راجع نفسه، فجأة غيّر موقفه وقال :

" أعتقد أنك فعلت الشئ الصواب ، فقد كنت فى ورطة ، ولكن .. "

قال الرجل الخفي : " بالطبع كنت فى ورطة .. وورطة لعينة . فقد دفعنى إلى التهور ، إذ كاد أن يصطادنى فى منزله ، مستخدما مسدسه . وهذا الفتح والغلق للأبواب .

لقد استفزني بالفعل . أظنك لا تلومنى ، أليس كذلك ؟ " .

قال (كمب) : " أنا لا ألوم أحداً أبداً . إن الملامة لم تعد تناسب ثقافة هذه الأيام . أخبرنى ، ماذا فعلت بعد ذلك؟"

" كنت أتضور جوعًا ، فهبطت الدرج إلى الطابق السفلى حيث المطبخ ، ووجدت هناك رغيفًا وقطعة عتيقة من الجبن . كان هذا أكثر مما أحتاجه لكى أشبع جوعى . حصلت أيضا على بعض البراندى وماء ، ثم صعدت الدرج إلى الطابق العلوى ، وإتجهت إلى كيس القماش الذى وضعت فيه الرجل . كان ساكنًا فى الداخل . لا يصدر عنه أى صوت . بعدها ذهبت إلي حجرة الملابس القديم`ة ، التى كانت تطل على الشارع .

كانت النافذة مغطاة بستارتين بنيتين قذرتين مليئتين بالثقوب ، نظرت منها إلى الخارج . فى الخارج كان النهار مشرقًا . ومقارنة

بالظلال الداكنة لهذا المنزل الكئيب - الذى وجدت نفسى فيه - بدا لى أنه يسطع بالضياء . كانت حركة المرور كثيفة فى الشارع، عربات من مختلف الأنواع ، لبيع الفاكهة وذات عجلتين وذات أربعة عجلات تنقل كميات كبيرة من الصناديق ، وتلك المخصصة لتجار السمك .

" استدرت إلى الخلف وعيناى تدور أمامهما نقاط من الضوء ، على خلفية التركيبات الظليلة التى ورائى .

وأعطتنى الإثارة التى شعرت بها إدراكًا واضحًا بوضعى الجديد . كانت الحجرة معبقة برائحة خفيفة " البنزولين " الذى تنظف به الملابس على ما أعتقد .

بدأت إجراء بحث منظم للمكان . وتوصلت إلى أن الرجل القصير منحنى الظهر ، كان وحيداً فى المنزل لبعض الوقت . كان شخصًا فضوليًا وحريصًا إلى حد بعيد .

جمعت كل ما أستطيع أن أستفيد به ، ووضعته فى مخزن الملابس، وبعد إعمال الذهن والتروى فى الإختيار ، وجدت حقيبة يد فى حالة مناسبة ، وبعض مستحضرات التجميل مثل البودرة وأحمر الشفاة بالإضافة إلى أشرطة لاصقة .

" فكرت فى أن أضع البودرة على وجهى وبعض أجزاء جسمى . لكى أبدو مرئيا . ولكن واجهتنى صعوبة فى أننى يجب أن أحصل على

مادة " التربنتين "(*) لأزيل البودرة، وكذلك بعض المعدات الأخرى بالإضافة إلى حاجتى إلى وقت طويل ، حتى أتمكن من التخفى مرة أخرى . وأخيراً ، وقع اختيارى على قناع من نوع جيد - حقا إن منظره غريب إلى حد ما ، ولكن يمكن لأى شخص عادى أن يكون بالشكل نفسه ونظارات سوداء ولحية رمادية وشعر مستعار . لم أجد أى ملابس داخلية ، ففكرت فى أنه يمكن شراؤها فى وقت لاحق . قمت بلف جسمى بثوب ذى غطاء ، منقط بالألوان وبعض الأوشحة البيضاء المصنوعة من صوف الماعز الناعم (الكشمير) .

لم أجد جوارب لأرتديها ، ولكننى عثرت على زوج من الأحذية عالية الرقبة تخص صاحب المنزل منحنى الظهر ، وكانت تقريبا على مقاسى ومريحة . وفى أحد أدراج نضد المتجر ، وجدت ثلاثة جنيهات إنجليزية ذهبية ونحو ثلاثين شلنا من الفضة، كما عثرت داخل إحدى خزانات الملابس الصغيرة - التى فتحتها عنوة - ثمانية جنيهات ذهبية أخرى ، وهكذا أمكننى أن أعود إلى العالم من جديد ، وفى هذه المرة معى كل ما أحتاج إليه.

" انتابنى الفضول لأعرف ما آل إليه شكلى ، وهل يعد مقبولاً للآخرين ؟ فوقفت أمام مرآة فى واحدة من غرف النوم ، اتفحص

(*) زيت يستخرج غالبا من أشجار الصنوبر ويستخدم كمذيب . (المترجم)

مظهرى من كل الزوايا ، لإكتشاف أية نواقص يمكن استكمالها . واتضح لى أن شكلى يبدو معقولاً . حقا لقد كنت أبدو كشخصية تؤدى دورًا على خشبة المسرح ، ولكن كان كيانى الجسدى محدداً ، لا يعتبر وهمًا خادعًا . تملكتنى الثقة بنفسى ، فأخذت المرآة معى ونزلت الدرج الداخلى إلى المتجر ، وهناك أسدلت الستائر على النافذة ، وتفحصت شكلى ثانية من كل النواحى ، بالاستعانة بالمرآة الطويلة المتأرجحة الموجودة فى ركن المتجر .

" أمضيت بعض الدقائق استجمع فيها شجاعتى ، وبعدها فتحت باب المتجر وخرجت ماشيا إلى الطريق . تاركًا الرجل صاحب المنزل فى كيس القماش ، ليخرج عندما يريد . وخلال خمس دقائق كنت قد إبتعدت عن المتجر ، بما يقرب من اثنى عشر منعطفًا . لم يثر مظهرى الشك ، لدى أى شخص مررت به . وبذلك فإن الصعوبة الأخيرة التى كانت تواجهنى استطعت إيجاد حل لها".

وتوقف الرجل الخفى من جديد، قال (كمب) : " ألم تفكر ثانية فى الرجل محنى الظهر الذى حبسته فى كيس القماش ؟ "

قال الرجل الخفى : " لا ، ولم أعرف أيضا ما الذى حدث له . أعتقد أنه إستطاع أن يفك نفسه ، أو أن يكون قد زحف خارجًا من الكيس ، على الرغم من متانة الأربطة ".

صمت مرة أخرى وإتجه إلى النافذة ، وتطلع منها إلى الخارج .

عاد (كمب) يتساءل :" ماذا حدث عندما ذهبت إلى شارع " ستراند " ؟ "

" آه ! سوء التقدير مرة أخرى ! فقد تصورت أن متاعبى قد انتهت ، وأنه قد صارت لى القدرة على أن أفعل ما أريد ، كل شىء ما عدا أن أفشى سرى . هكذا اعتقدت ، فمهما فعلت وأيا كانت التبعات التى تترتب على ما أقترفت ، فلن يحدث لى شئ . كل ما يجب أن أقوم به بعدها ، أن أخلع ملابسى وأطرحها جانبا، ومن ثم أصبح خفيًا . لن يستطيع أى شخص أن يمسك بى . كما يمكننى أن أحصل على نقودى عندما أعثر عليها .

" لقد قررت أن أعامل نفسى كأحد الأثرياء . وأتناول وجبات طعام فاخرة ، وأن أنفق ببذخ وأستمتع بالحياة ، ثم أستقر فى أحد الفنادق المترفة ، وأشترى حاجيات جديدة . لقد شعرت بثقة عجيبة ، وليس من المحبب لنفسى أن أتذكر ما حدث بعد ذلك، فلم أكن سوى أحمق أخرق !

" دخلت فعلاً إلى أحد المطاعم وطلبت وجبة غذاء ، ولكن خطر على ذهنى بأننى لن أستطيع أن أتناول أى طعام ، إلا إذا كشفت عن وجهى الخفىّ ! ومن ثم فما أن أنهيت إصدار أوامرى بالطلب ، حتى قلت للنادل أننى سوف أرجع بعد عشر دقائق ، وخرجت من المطعم ساخطًا . أنا لا

أعلم إذا كنت قد أحسست من قبل بالإحباط ، بسبب أنك تتضور جوعًا ، ولا يمكنك الحصول على الطعام ! "

قال (كمب) : " ليس إلى هذه الدرجة القظيعة ، ولكن يمكنني أن أتخيل ذلك ! "

" لقد كادت هذه الرغبات التافهة أن تحطمني وأصبحت على وشك أن أفقد الوعي بسبب رغبتي فى الحصول على طعام شهى . دخلت إلى مطعم آخر وطلبت تأجير غرفة خاصة للأكل ، وقلت لهم أنني مشوه بطريقة بشعة! تطلعوا إليّ بفضول ، ولكن الأمر لم يكن يعنيهم فى شئ . وهكذا حصلت أخيرا على وجبة غذاء . لم يكن الطعام معدًا بشكل جيد ، ولكنه كان كافيا . وبعد الانتهاء من تناول الطعام . جلست مسترخيًا أتناول سيجارًا ، وأخطط للخطوة القادمة ، وفي الخارج بدأت عاصفة ثلجية فى الهبوب .

كلما أمعنت التفكير في الأمر يا (كمب) ، كلما اقتنعت بسخافة أن يكون الإنسان خفيا فى مناخ قارس البرودة وبالغ القذارة ومدينة متحضرة مزدحمة بالناس . وقبل أن أقوم بهذه التجربة المجنونة ، حلمت بآلاف المزايا . وبعد ظهيرة ذلك اليوم ، بدا أن كل شيء محبط . راجعت وأعدت دراسة كل الطموحات لشخص يعتبر نفسه كثير الرغبات ولكن ما الذى يحدث بعد الحصول عليها ، يكون من المستحيل الاستمتاع بها . يا له من طموح !

ما فائدة أن تنتمي إلى مكان تفخر به ، وأنت لا يمكنك أن تظهر فيه؟ ما الذي يسعد الإنسان ، إذا أحب امرأة يشترط أن يكون اسمها (دليلة) ؟ . لست من هواة السياسة من أجل الشهرة الجوفاء ، كما أنني لست من عشاق الألعاب الرياضية وليست لدى النزعة إلى عمل الخير . هل من أجل هذا إنتهيت إلى أن أصبح لغزًا . مجرد شكل مشوه لرجل يتغطى جسمه كله بالضمادات .

تريث لهنيهة ، وأخذ يتطلع بنظرة متجولة خارج النافذة . تساءل (كمب) وهو يحرص أن يجعل الرجل الخفي يواصل الحديث : " لكن كيف وصلت إلى (إيبنج) ؟ "

" ذهبت إلى هناك للبحث عن عمل . ولديّ أمل واحد ، كان مجرد فكرة خطرت على بالي . أما فيما بعد فقد صرت مقتنعًا بها تمامًا . أن أجد طريقة لأعود مرئيا من جديد ! وأن أصلح كل الأخطاء التي ارتكبتها عندما قررت أن أصبح خفيًا . وهذا ما أريد – بصفة رئيسية – أن أحدثك عنه الآن " .

عاد (كمب) يتساءل : " هل ذهبت مباشرة إلى (إيبنج) ؟ "

" نعم . لقد كان يجب أن أستعيد الأجزاء الثلاثة لمذكراتي ودفتر شيكاتي وملابسي الداخلية وأمتعتي ، وأن أشترى بعض الكيماويات لأبدأ العمل في تنفيذ فكرتي ، لأعود مرئيا كما كنت . لسوف أريك كل

المعادلات الخاصة بهذه التجربة حال أن أحصل على مذكراتى ، ثم شرعت فى العمل .. "

تريث للحظات واستطرد قائلاً : " يا إلهى ! إننى أتذكر جيداً العاصفة الثلجية التى هبت ، وخوفى الشديد من أن ترطّب أنفى المصنوع من الورق المقوى ، فتفسد شكله ! "

قال (كمب) : " وفى النهاية ، عندما اكتشفوا وجودك أول أمس ، ارتكبت جريمة ما ، حسب رواية الصحف الصادرة فى ذلك اليوم ! "

" نعم ارتكبت جريمة . هل قتلت هذا الشرطى الأحمق الذى كان يطاردنى ؟ "

ردّ (كمب) قائلا : " لا ، إنهم يتوقعون شفاءه "

– " إنه سعيد الحظ . ففى ذلك الوقت كنت قد فقدت صوابى تماماً. يا لهم من حمقى ! لماذا لم يتركونى وحدى. وماذا عن هذا البقال الأخرق ؟ "

قال (كمب) : " لم تحدث أى وفيات "

رد الرجل الخفى وهو يضحك بعصبية : " لا أعلم شيئا عن ذلك اللص الذى سرقنى . يا إله السماوات يا (كمب) . هل لديك فكرة عن الحنق الشديد الذى يدفعك للثورة . أن تعمل لسنوات تضع خططا وتدبر

أموراً ، ثم يأتى شخص أخرق متبلد الذهن ، ليفسدها . ولو كان الحنق قد استبد بى أكثر من هذا ، لأصبحت حيوانا مفترساً وهاجمتهم كلهم بطريقة وحشية . لقد جعلوا الأمر يبدو أكثر صعوبة بآلاف المرات عما هو فى الحقيقة .

قال (كمب) وقد جف حلقه : " لا شك أنه أمر يثير الغضب الشديد " .

الفصل الرابع والعشرون

الخطة التى أخفقت

قال (كمب) وهو يطل من النافذة بطرف عينه : "والآن، ماذا علينا أن نفعل ؟"

واقترب من ضيفه، ليحول بينه وبين مشاهدة الرجال الثلاثة الذين يرتقون الطريق الصاعد على التل، بخطوات بطيئة كما تراءى لكمب.

- "ماذا قصدت بمجيئك إلى ميناء (بردوك)؟ هل كانت لديك خطة فى ذهنك؟"

- "كنت أنوى مغادرة البلاد، ولكنى غيرت خطتى هذه بعد أن رأيتك. ظننت وقتئذ أنه من سداد الرأى أن أتجه إلى الجنوب، حيث الطقس الحار. خاصة وأن سرى أصبح معروفًا، وأخذ كل إنسان يبحث عن رجل متلفّح ومقنّع. إن لديكم هنا خطًّا ملاحيًّا تبحر فيه البواخر إلى فرنسا . وكانت الفكرة التى خطرت لى أن أصعد فوق إحداها ، ومن

فرنسا يمكننى أن أستقل القطار إلى ايطاليا أو الجزائر ، ولن يكون الأمر صعبًا ، إذ يمكن لأى رجل خفىّ أن يحيا هناك ويفعل ما يريد . وقد استخدمت هذا الأفاق ، أشبه بصندوق أحتفظ فيه بنقودى وحمالاً لمتاعى ، حتى أتخذ قرارًا حول كيفية إرسال كتبى وأشيائى الأخرى ، فتسبقنى إلى البلد الذى عزمت على الإقامة فيه .

– " الأمر واضح "

– " وحاول هذا الحيوان القذر أن يسرقنى ! ثم أخفى كتبى ! لقد أخفى كتبى يا (كمب)، آه لو أتمكن من العثور عليه "

– " عليك أن تحصل على كتبك منه أولاً "

– " ولكن أين أستطيع أن أجده ؟ هل تعرف مكانه ؟

– " إنه فى قسم شرطة المدينة ، فى غياهب السجن – بناء على طلبه – داخل أمنع زنزانة "

قال الرجل الخفى : " الجبان ! "

– " ولكن هذا يؤخر تنفيذ خططك قليلا "

– " إننا يجب أن نسترد هذه الكتب ، فهى بالغة الأهمية "

قال (كمب) بشىء من العصبية ، وقد بدا له أنه يسمع وقع أقدام فى الخارج : "بالتأكيد ينبغى أن نحصل على هذه الكتب ، ولن يكون

الأمر صعبًا، على شريطة ألا يعرف أنها سوف ترسل إليك "

رد الرجل الخـفـى قـائلا : " نعم يجـب ألا يعـــــرف "، ثم أخـذ يمعـــن التفكيـــر فى أمر ما .

وحـاول (كـمب) أن يفكر فى شئ آخـر ليواصل به الحـديث ، ولكن الرجل الخـفى استطرد من تلقاء نفسـه قائلاً: إن مـجيئى إلى منزلك يا (كمب) ، غـيـر كل خططى . لأنك رجل يمكنه أن يفـهم الأمور ويدركـها . وعلى الرغم من كل مـا حدث ومن افـتضاح أمرى وفقد كتبى ومعـاناتى ، فلا زالت هناك إمكانية هائلة للإستفادة من اختراعى ... ثم سأل فجأة : " .. إنك لم تخبر أحداً بأننى هنا "

" تردد (كمب) هنيهة ثم قال : " كلا "

أصر (جريفن) بقوله : " لا أحد على الإطلاق ! "

– " أبداً " .

تنهـد الرجل الخـفـى وهمس " حـسنًا ! والآن .. " ثم أخـذ يذرع أرضية الحجرة واضعا يديه على خاصرته ، واستطرد قائلا : " ... لقد ارتكبت غلطة حـمقـاء يا (كمب)، بل أكبر غلطة ، بتحملى ذلك العمل بمفردى طيلة هذه المدة ! فقد بددت قوتى وأضعت وقتى ولم أستفد من الفرص العديدة التى لاحت لى . كنت وحيداً ..

ومع هذا قمت بهذا العمل الرائع ! حقا لقد سرقت قليلا وسببت الأذى لبعض الناس ، وأخيرا هذه هى النهاية .. لم أحقق شيئا ! .. "

تريث لبرهة ثم أكمل قائلا : " ... (كمب) ! إننى أريد مساعداً ومكاناً أختفى فيه، أتناول فيه طعامى وشرابى وأنال قسطاً من الراحة دون أن يزعجنى أحد . أريد شريكا، وبهذه الشراكة والأكل والراحة وعدم الإزعاج ، كفيلة بأن تجعلنى أفعل آلاف الأشياء ! يجب أن نتحصل على أكبر فائدة ممكنة من كونى رجلاً خفيًا .. سواء أكانت شرعية أم مخالفة للقانون ! إذ يمكننى أن أسطو على المنازل وأهرب دون أن يرانى أحد . أستطيع أن أنهب وأحتال وأخدع بل حتى وأقتل ثم أفر دون أن يلمحنى مخلوق .. ! "

راح (كمب) يعبث بشاربه ، ليخفى انفعاله ، وأخذ يتنصت لما بدا له كحركة فى الطابق الأسفل . بينما استطرد الرجل الخفى قائلاً : " ... (كمب) ! يجب علينا أن نقتل ! " ردد (كمب) : " نقتل ! لقد أرهفت أذنى لسماع خطتك يا (جريفن) ، ولكنى لا أوافقك على القتل ! لماذا نلجأ للقتل ؟ "

" لست أقصد القتل الوحشى بالمعنى الذى فهمته ! بل القتل كعقوبة عادلة ! دعنى أشرح لك الأمر من وجهة نظرى . إن الناس يعرفون أن ثمة رجلاً خفيًا تمامًا كما نعلم أيضا بهذا الأمر . وأن هذا الرجل الخفى – يا (كمب) – يجب أن ينشر فى البلاد عهداً من الرعب !

أعلم أن ما أفضى به لك الآن ، أمر يثير الدهشة . ولكنى أعنى ما أقول، عهد من الرعب . يسود ويروع مدينة مثل (بردوك) ، ويكون فيها الرجل الخفى ، السيد الحاكم والآمر الناهى ، تسمع كلمته ويجاب أمره . وفى وسعه أن يفعل ذلك بآلاف الطرق ، ولعل طبع منشورات بالأوامر وإلقائها من تحت أعقاب الأبواب تفى بالغرض، و سوف يعاقب بالقتل ، كل من يعصى أوامره وكذلك كل من يدافع عن هذا المتمرد . "

و نظر (كمب) إليه فى شك وباستياء ، ثم لم يعد ينصت إلى (جريفن) بل كان يسترق السمع ، إذ خيل إليه أنه سمع صوت باب منزله الأمامى يفتح ويغلق .

قال (كمب) ليخفى تشتت انتباهه : " (جريفن) ! يبدو لى أن تحالفنا معًا سوف يضعنى فى موقف صعب"

رد الرجل الخفى بحماس : " لن يعلم أحد أن ثمة تحالفًا بيننا "

ثم سكت لحظات وقال فجأة : " .. صه ! هناك وقع أقدام فى الطابق السفلى "

قال (كمب) : " لا أسمع شيئا "، وأخذ يتحدث بصوت مرتفع تتلاحق فيه الكلمات : " .. (جريفن) ! إننى لا أوافقك على هذا الرأى . أرجو أن تفهمنى . لماذا تلجأ إلى خداع الناس ؟ أتظن أنك ستجنى السعادة بهذا الأسلوب ؟

لا تتصرف مثل ذئب شرس وحيد . دون كل أبحاثك وتجاربك ثم انشرها . أحصل على ثقة العالم ، أو على الأقل ثقة بلدك . تخيل ما يمكن أن تفعله وبجانبك ملايين المساعدين ... "

ولكن الرجل الخفى قاطعه بصوت خافت : " ثمة وقع أقدام ترتقى الدرج "

قال (كمب) : " هراء ! "

رد الرجل الخفى وهو يتجه إلى باب الغرفة وذراعه ممدودة إلى الأمام : " دعنى أتحقق بنفسى "

تردد (كمب) للحظات ثم تحرك ليعترض طريقه ، بوغت الرجل الخفىّ وتوقف ثم صاح : " أيها الخائن ! "

وفجأة أخذ الرداء المنزلى يفتح بسرعة ويجلس ، وبدأ الرجل الخفىّ يخلعه . سار (كمب) بثلاث خطوات سريعة نحو باب الغرفة ، وعلى الفور صرخ الرجل الخفىّ – وقد أصبحت ساقاه غير مرئيتين – ووثب على قدميه ، وفى اللحظات نفسها فتح (كمب) الباب بعنف . وما إن فتح حتى سمع صوت وقع أقدام مسرعة فى الطابق السفلى وأصوات آدميين .

أسرع (كمب) إلى الرجل الخفى ودفعه إلى الخلف ، وقفز جانبا ثم خرج وأوصد عليه الباب من الخارج وحاول أن يدير المفتاح فى الثقب ،

ولكنه سقط منه بصوت مسموع فوق السجادة ، ولولا هذا لكان (جريفن) سجينا في داخل الغرفة .

امتقع وجه (كمب) حتى حاكى وجوه الموتى ، ووقف هنيهة يحاول أن يجذب مقبض الباب بكلتا يديه ليبقيه مغلقا ، ولكن سرعان ما انفتح عنوة مقدار خمسة عشر سنتيمترًا ، وانحشر الرجل الخفى – مرتديًا الرداء المنزلى – فى فرجة الباب . وقبضت أصابع خفيّة على عنقه تحاول خنقه ، فترك مقبض الباب ليدافع عن نفسه. إلا أنه دفع إلى الوراء فتعثر وفقد توازنه ثم سقط بعنف فى ركن منبسط الدرج ، والرجل الخفى يربض فوقه .

و فى منتصف الدرج ، كان الكولونيل (أداى) رئيس شرطة "بردوك" – وقد إستلم رسالة (كمب) – يصعد السلالم إلى الطابق العلوى . ثم أخذ يحدق النظر مشدوهًا إلى كمب الذى ظهر فجأة ، يتبعه الرداء المنزلى الخالى الذى يتراقص فى الهواء . وكان هذا منظرًا شديد الغرابة. وشاهد (كمب) يسقط على الأرضية ويجاهد للنهوض على قدميه، ثم رآه يندفع إلى الأمام ويتهاوى من جديد .

وفجأة شعر الكولونيل (أداى) بضربة عنيفة تصيبه ، تلفت حوله ولدهشته لم يجد أحدًا ! ثم قفز فوقه جسم ثقيل غير مرئى يدفعه بشدة ، فتهاوى فوق الدرج وكأن شيئًا ما يقبض على عنقه وركبة تضغط على أعلى فخذه ، كما أحس بقدم غير منظورة تطأ ظهره بعنف . وسارت

خطى خفية – وكأنها لشبح – فوق السلالم إلى الطابق السفلى . وسمع الشرطيين اللذين تركهما فى الردهة ، يصرخان ويركضان ، وأعقب ذلك صوت الباب الأمامي يوصد بعنف .

تحامل (أداى) على نفسه وجلس على السلالم يتفرس فيما حوله ، ثم رأى (كمب) هابطًا الدرج مغبراً وأشعث الشعر ووجهه ممتقع ، وبدا واضحًا أنه تلقى لطمة قوية على صدغه ، كما كانت شفتاه تنزفان . وكان يضع على ذراعه رداءً منزليا أحمر ورديًا وبعض الملابس الداخلية . صاح (كمب) وعيناه تبرقان بالرعب والفزع : " يا إلهى ! قضى الأمر ! لقد أفلت الرجل الخفى من أيدينا واستطاع الهرب ! "

الفصل الخامس والعشرون

مطاردة الرجل الخفى

لبث (كمب) لبعض الوقت عاجزًا عن شرح الأحداث الغريبة والمتلاحقة التى وقعت، قبل مجئ الكولونيل (أداى). وكان الرجلان يقفان وقتئذ عند منبسط الدرج . وراح (كمب) يتكلم بسرعة وفى صوت مضطرب ، وما زالت الثياب التى كان يرتديها (جريفن) على ذراعه . وبعد فترة ، بدأ (أداى) فى إدراك شيئا من الموقف . أردف (كمب) قائلا : " .. هو مجنون بلا شك . لا يمت للبشر بصلة ، إنه الأنانية الخالصة . لا يفكر إلا فى منفعته الشخصية وسلامته الذاتية . أخذ يروى لى قصته هذا الصباح ، وهى مفعمة بالوحشية والطموح غير السوىّ ! لقد جرح كثيرين وفى نيته أن يقتل آخرين ، إلا إذا تمكنا من منعه . سوف ينشر الرعب فى كل مكان . ولن يستطيع أحد أن يقف فى سبيله . لقد خرج من هنا محتدما غيظًا ومهتاجًا ، لينفذ خطته الرهيبة ! "

قال (أداى) : " إذن لابد من القبض عليه ، هذا مؤكد "

صاح (كمب) : " ولكن ما السبيل إلى ذلك ؟ " ثم فجأة إمتلأت رأسه بالأفكار وأردف قائلاً : " ... يجب أن تبدأ فى مطاردته على الفور، وتعهد إلى رجالك أجمعهم بالبحث عنه ، ومنعه من مغادرة هذه المقاطعة ، لأنه إذا تمكن من ذلك بسط نفوذه على سكان الريف ، ونشر الرعب والإرهاب فى كل قرية يهبط فيها ، حيث ينفذ جرائمه فيقتل وينهب. عليكم أن تراقبوا الطرق والقطارات والسفن . أطلب مدداً من المواقع العسكرية لمساعدتك . إرسل لهم برقيات عاجلة . فالأمر جد خطير .. " تريث لهنيهة ثم أستطرد قائلا : " .... إن الأمر الوحيد الذى يرغمه على البقاء هنا ، هو رغبته فى استرداد بعض الكتب التى دوّن فيها مذكراته ويعتقد أنها ذات أهمية له . وسأحدثك عن ذلك ! إن هذه الكتب سلبها منه رجل يدعى (مارفل) ، هو الآن نزيل السجن عندكم فى مركز الشرطة ... "

رد (أداى) قائلا : " أعرف ذلك ، تلك الكتب .... نعم "

-" عليك أيضا أن تمنع الرجل الخفى من أن يتناول شيئا من الطعام أو ينال قسطًا من النوم . يجب أن تكون البلاد كلها متيقظة له ليل نهار . يجب أن توصد الأبواب على الطعام - الطعام كله - حتى يضطر إلى إقتحام طريقه إليه، مر بإغلاق أبواب كل البيوت دونه فى كل مكان . وعلى كل سكان الريف أن يبدأوا فى مطاردته دون هوادة .

وأؤكـد لك يا (أداى) أنه رجل خطر، بل كـارثة ، وإذا لم تتـمكنوا من القبض عليه ، فإن مجرد التفكير فيما عساه أن يفعل من جرائم مروّعة ، ليبعث فى النفس الذعر والهلع " قال الكولونيل (أداى) : " وماذا يمكننا أيضا أن نفعل ؟ ينبغـى أن أذهـب الآن لألقى أوامرى . ولكن لماذا لا تأتى معى ؟ نعم يجب أن ترافقـنى . سـوف نعقـد ما يشبه مجلس حرب ضد الرجل الخفى . سوف أدعو مساعدى (هوبس) لمعاونتى وكذلك مدراء السكك الحديدية . يا إلهى ! إن الأمر جد عاجل . هيا بنا وتحدث إلىّ ونحن سائران عن أى شىء آخر نستطيع أن نفعله ؟ دعك من هذه الثياب التى تحملها على ذراعك"، و بعد دقائق كان الكولونيل (أداى) يسير أمام (كمب) على الدرج إلى الطابق السفلى ، وعندما خرجا وجدا الباب الخارجى مفتوحًا على مصراعيه والشرطيين يحدقان فى الهواء ، وقال أحدهما للكولونيل : " لقد هرب يا سيدى "قال (أداى) : " يجب أن نذهب إلى مركز الشرطة على الفور . وعلى أحدكما أن يستدعى عربة أجرة ويلحق بنا هناك بأقصى سـرعـة . والآن ماذا نفعـل أيضًا يا (كـمب) ؟ "، رد (كـمب) قـائلا : " الكلاب . أطلقـوا الكلاب في أثره . سوف لا تراه، ولكنها ستتبعه بمساعدة حاسة الشم . جئ بالكلاب "، قـال (أداى) : " حسن ! إن هذه الطريقة غير مـألوفـة لنا ، ولكن رجـال الشرطة فى سجن (هالستيد) يعرفون رجلاً عنده كلاب تقص الأثر بالشم . وماذا أيضا غير الكلاب ؟ " قال (كمب) : " يجب أن يؤخذ فى الحسبان ، أن الطعام يظهر فى جسمه الخفى . إن الطعام يبدو واضحًا

فى أمعائة بعد الأكل مباشرة ، إلى أن يتم هضمه ويمتصه الجسم . ومن ثم كان على الرجل الخفي أن يتوارى عن الأنظار بعد أن يأكل . يجب أن تبحثوا عنه - دون كلل - فى كل دغل وركن هادئ . وإبعدوا عنه كل الأسلحة ، بل كل الأدوات والآلات التي يمكن إستخدامها كأسلحة ! وذلك حتى لايضطر إلى استعمالها، إذ إنه لايستطيع أن يحمل هذه الأشياء معه لزمن طويل . وعليكم أن تخفوا كل مايمكن أن يخطفه عنوة ويضرب الناس به "، قال الكولونيل (أداى) : " أفكارك جيدة ! إننا سوف نقبض عليه على الفور " قال (كمب) : " وفى الطريق .. "، ثم تردد .

استحثه (أداى) قائلاً : " أكمل " ، قال (كمب) : " عليكم بنثر زجاج مسحوق فى الطرق . أعلم أنها قسوة ولكن تذكر ما يمكن أن يفعله الرجل الخفى ! " تنفس (أداى) الهواء بقوة من بين أسنانه إلى فمه وقال : " إنها قسوة بلا شك، ولكنى سأصدر أوامرى بتجهيز مسحوق الزجاج ، ليستخدم إذا تمادى الرجل الخفى فى غيِّه "، رد (كمب) بقوله : " أؤكد لك أنه أصبح لايمت للبشرية بصلة . كما أننى على ثقة بأنه سوف يقيم عهداً من الرعب ، بمجرد أن يهدأ من الانفعالات التى صاحبت هروبه . إننى واثق من هذا ، ثقتى بأننى أتحدث إليك الآن .

وفرصتنا الوحيدة أن نبادر بالعمل . لقد تبرأ وقطع صلته ببنى جنسه من البشر ومن ثم يجب أن يهدر دمه ويكون مسؤولا عما سوف يحدث له ! "

الفصل السادس والعشرون

مقتل (وكستيد)

يبدو أن الرجل الخفى انطلق من منزل (كمب) وقد استبد به غضب جامح . وعندما وجد طفلاً صغيراً يلعب بالقرب من باب المنزل أمسك به بقوة وألقاه بعنف على جانب الطريق ، فانكسرت عظام رسغ قدمه ثم تلاشى كل أثر للرجل الخفى بعد ذلك لبضع ساعات ، ولم يعلم أحد إلى أين ذهب ولا ماذا فعل ؟ . ولكن فى وسع المرء أن يتصوره وهو يسرع الخطى صاعداً التل فى فترة الضحى من ذلك اليوم القائظ من شهر يونيو ، ثم إلى الأرض الفضاء المكشوفة فيما وراء " بورت بردوك " . وفى نحو الساعة الثانية بعد الظهر ، كان الرجل الخفى يستشيط غضبا وحنقا ويغلب عليه اليأس من حظه العاثر . وأخيراً - وبعد أن أضناه الحر وأصابه الإرهاق - وجد ملجأ يتوارى فيه من العيون ، بين أدغال " هنتدنديين " ، ليحاول من جديد ، استجماع مشاريعه المبعثرة ، ضد بنى جنسه من البشر وكان هذا أنسب ملاذٍ له .

وقد يتساءل البعض عن حالته الذهنية خلال تلك الفترة ، وما هى الأفكار التى راودته . مما لاريب فيه أنه كان فى حالة سخط شديد ، من خيانة (كمب) له ، ومع ذلك قد نكون قادرين على تفهم الدوافع التى أدت إلى هذا الخداع . وقد نتصور بل حتى نظهر بعض التعاطف مع الغضب العارم الذى سببته هذه المفاجأة ، وربما بعض الدهشة . والذهول من التجارب التى عايشها الرجل الخفى فى شارع "أكسفورد " ، واسترجعها فى ذهنه .

وكان واضحًا أنه اعتمد على (كمب) لمعاونته لتحقيق هذا الحلم الوحشى بإرهاب العالم . على أية حالة ، فقد توارى عن الأنظار منذ منتصف النهار ، ولا يستطيع أى مخلوق أن يعرف على وجه الدقة ، ماذا فعل حتى الثانية والنصف بعد الظهر . ربما كان هذا من حسن طالع البشرية ، ولكن بالنسبة للرجل الخفى ، كان فشلاً ذريعًا .

وشغلت بأمره وقتئذ – فى تلك المنطقة الريفية – مجموعة من الرجال أخذ عددهم يتزايد ، جاءوا من كل حدب وصوب للبحث عن الرجل الخفى . لقد كان فى الصباح مجرد أسطورة أو مصدرًا للخوف والرعب ، ولكن فى صدر النهار – وبسبب ما كتبه (كمب) فى منشوره المقتضب عن الرجل الخفى – أصبح عدوًا حقيقيا يمكن إصابته والقبض عليه وشل قواه . وأخذ سكان الريف ينظمون أنفسهم بسرعة لاتصدق . وكان لايزال فى وسع الرجل الخفى ، حتى قبيل الساعة الثانية من بعد

الظهر ، أن يهرب من هذه المنطقة بأن يستقل قطاراً إلى جهة بعيدة ، ولكن بعد الساعة الثانية ، أصبح ذلك الأمر مستحيلاً . إذ إن كل قطار ركاب على الخط الممتد بين مدن " ثاوث أمبتون " و" مانشستر " و" برايتون " و" هورشام " ، كان يسير موصد الأبواب ، أما حركة نقل البضائع فقد توقفت تمامًا . وضرب رجال الشرطة والسكان – وجميعهم مسلحون بالبنادق والهراوات – نطاقًا فى دائرة قطرها نحو ثلاثين كيلو متراً ، حول ميناء " بردوك " . وتكونت من هذه الحشود ، جماعات قوامها ثلاثة أشخاص أو أربعة مسلحين ومعهم كلاب اقتفاء الأثر ، لسبرغور الطرق والحقول والقبض على الرجل الخفى . أما رجال الشرطة الذين يركبون الخيل ، فقد قاموا بالطواف فى أقاليم الريف يحذرون أصحاب كل منزل ، ويطلبون منهم أن يوصدوا أبوابهم ونوافذهم وألا يخرجوا إلا إذا كانوا مسلحين . وفى الساعة الثالثة ، كانت جميع المدارس الابتدائية قد أغلقت أبوابها ، وانصرف تلاميذها مروعين وانتظموا فى مجموعات وهم يسرعون إلى منازلهم. وفى الساعة الرابعة أو الخامسة بعد الظهر ، كان المنشور – الذى كتبه (كمب) ووقع عليه الكولونيل (أداى) – معلقا على معظم منازل المنطقة . وعلى الرغم من أن المنشور كان مختصراً ، فقد كان واضحاً فى إعطاء التعليمات للسكان ، ومنها ألا يمكنوا الرجل الخفى من الحصول على الطعام أو من النوم ، وأن يترقبوا دائما ظهور أية علامة تدل على تحركاته من مكان لآخر .

والحقيقة أن المنطقة أقامت أسباب الدفاع عن نفسها ، والاستعداد للقبض على الرجل الخفى ، فى وقت واحد وزمن قياسى . ولم يأت الليل ، إلا وكانت مساحة من الأرض تبلغ مئات الكيلومترات المربعة تحت حصار محكم . وحينئذ ازداد الجو تكهربًا وسرى شعور بالرعب والذعر بين الجميع ، إذ راحت الألسنة – فى طول البلاد وعرضها – تتناقل قصة جريمة قتل السيد (وكستيد) .

وإذا كان اعتقاد البعض صحيحًا بأن الرجل الخفى ، اتخذ له مخبأ فى أدغال (هندتندين) ، فيمكن إذن افتراض أنه قد التقط فى طريقه قضيبا من الحديد توطئة لاستخدامه كسلاح ، ولكن لأى هدف ، لا أحد يستطيع أن يجزم . ولكن الأمر المؤكد أن قضيب الحديد كان فى حوزته ، قبل أن يلتقى بالسيد (وكسيد).

والواقع أننا لم نعلم بتفاصيل ماحدث فى هذا اللقاء غير المتوقع ، وكل ماعلمناه فيما بعد أن الجريمة حدثت على بعد نحو مائة وثمانين مترًا ، من بوابة قصر اللورد (بردوك) ، عند حافة حفرة ممتلئة بالحصى .

وتشير كل الدلائل إإلى حدوث صراع يائس ، وبدا هذا واضحا فى الجروح الكثيرة التى ظهرت على جثة (وكستيد) وعصاه المحطمة والتى كان يتكئ عليها أثناء سيره . ولكن لماذا حدثت الجريمة؟ لم يستطع أحد أن يدلى برأى قاطع ، إلا أن البعض قال بأنها نتيجة نوبة

من الجنون المؤقت التى انتابت الرجل الخفى ، فارتكب جريمة القتل هذه.
كان السيد (وكستيد) فى الخامسة والأربعين من عمره أو السادسة والأربعين من عمره . ويعمل مشرفا على ممتلكات اللورد (بردوك) . هادئ الطباع مسالمًا لا يؤذى أحداً، ويبدو أن الرجل الخفى استخدم فى ارتكاب جريمته قضيبًا من الحديد انتزعه من سور مكسور، ثم أوقف هذا الرجل المسكين (وكستيد) الذى كان ذاهبًا إلى منزله لتناول وجبة الغذاء - وهاجمه بقسوة، دون أن يستطيع الدفاع عن نفسه، وكسر ذراعه ثم أسقطه على الأرض وهوى بالقضيب على رأسه فهشمها وتناثرت شظاياها، وهكذا قتل (وكستيد) شر قتلة .

لابد أنه قد انتزع قضيبًا حديديًا من أحد الأسيجة - قبل أن يقابل ضحيته - وأمسك به على أهبة الاستعداد. وثمة أمرين لهما علاقة بهذة الجريمة . أولهما أنه لم تكن هناك أى حفر مملوءة بالحصى فى طريق السيد (وكستيد) المباشر للمنزل، ولكنها تبعد بنحو عدة مئات من الأمتار عن مساره. أما الأمر الثانى فهو تأكيد فتاة صغيرة بأنها أثناء ذهابها إلى مدرستها المسائية، شاهدت القتيل وهو "يهرول" بطريقة غريبة عبر أحد الحقول، فى اتجاه حفرة الحصى. وأظهرت محاكاتها لسلوكه، إنه كان يتتبع شيئًا أمامه ويضربه بعصاه من وقت لآخر. لقد كانت آخر شخص رأى (وكستيد) على قيد الحياة ؛ ثم غاب عن نظرها ليلقى حتفه. وقد حجبت عنها مجموعة من أشجار الزّان ومنخفض طفيف فى

الأرض، ذلك الصـراع الذى أودى بحـيـاته، وبصـرف النظر عن هذه الجريمة الوحشية، فإننا يمكن أن نتخيل أن (جريفن) قد اتخذ من القضيب الحديدى سلاحًا بالفعل، ولكن دون نية مبيتة لاستخدامه فى ارتكاب جريمة قتل.

وعندئذ ربما تصادف مرور (وكستيد) إلى تلك الناحية وهو فى طريقه إلى منزله، وأنه شاهد شيئًا يتعذر تفسيره .. قضيبًا من الحديد يسير وحده معلقًا فى الهواء ! ولأنه ليس لديه أى فكرة عن الرجل الخفى – إذ إن (بورت بردوك) يبعد عن هذه المنطقة نحو ستة عشر كيلو مترًا – فقد أخذ يتابعه ولسانه معقود من الدهشة ! ولنا كذلك أن نتخيل الرجل الخفى، وهو ينسل هاربًا حتى لا يكتشف أمره . ولاريب أن (وكستيد) قد تملكه الخوف وحب الاستطلاع، وهو يطارد تلك الظاهرة غير القابلة للتعليل .. القضيب الحديدى الذى يسير فى الهواء من تلقاء نفسه ! ومما لا شك فيه، أن الرجل الخفى كان يمكنه أن يبعد مطارده – متوسط العمر – بسهولة فى ظل الظروف العادية، ولكن طبقًا للحالة التى وجدت عليها جثة (وكستيد)، توحى بأن الرجل الخفى دفع ضحيته إلى مكان منعزل يقع بين منطقة مغطاة بنباتات "القّراص"(*) وحفرة ممتلئة

(*) نبات نو وبر شائك . (المترجم)

بالحصى، وبالنسبة إلى من يتفهمون نوبات الغضب العارمة التى تنتاب الرجل الخفى، فإن باقى وقائع الصراع قد يكون من السهل تصورها.

ولكن هذا كله مجرد فرض لم تثبت صحته، أما الحقائق التى لا يمكن تجاهلها، فهى اكتشاف جثة (وكستيد) والعثور على القضيب الحديدى الملطخ بالدماء ملقى بين نباتات القّراص، وترك (جريفن) لسلاح الجريمة يومئ إلى أن الهدف - إذا كان هناك أى هدف - من اقتنائه القضيب الحديدى قد انتفى. وبالتأكيد فإن الرجل الخفى كان شخصًا يتسم بالقسوة البالغة.

ولكن عندما شاهد القتيل - ضحيته الأولى - ممدداً تحت قدميه مضرجًا بدمائه وفى حالة يرثى لها، ربما أدى هذا إلى تدفق شعور عميق بتأنيب الضمير داخله لبعض الوقت، على الرغم من بشاعة الجريمة التى ارتكبها.

وبعد قتل السيد (وكستيد) أخذ الرجل الخفى يشق طريقة عبر الريف إلى منطقة التلال، وثمة قصة تناقلتها الألسنة عن صوت سمعه اثنان من القرويين عند غروب الشمس، وهما يعملان فى أحد الحقول بالقرب من قرية" فيرن بوتوم" كان الصوت يولول ثم يضحك ثم يئن وينتحب ومن وقت لآخر، كان يصرخ. وأخذ هذا الصوت يتردد فى جنبات حقل مزروع بالبرسيم ثم ابتعد فى اتجاة التل وتلاشى.

وخلال فترة ما بعد الظهيرة ، لابد أن الرجل الخفى عرف كيف استفاد (كمب) مما رواه له من اعترافات، إذ أنه وجد المنازل موصدة والنوافذ محكمة الإغلاق، كما تسكع بالقرب من محطات السكك الحديدية والفنادق والحانات وقرأ المنشورات المعلقة وبها التعليمات للسكان ، ومن ثم فقد أدرك طبيعة الحملة الموجهة ضده وما إن جاء المساء حتى تناثرت مجموعات من السكان فى الحقول، قوامها ثلاثة أو أربعة رجال، مع كلابهم التى تحدث ضجيجا بنباحها المتواصل وكان لدى هؤلاء الرجال المطاردين أوامر بالكيفية التى يساعد بعضهم بعضا، إذا حدثت مواجهة مع الرجل الخفى .

حرص الرجل الخفى على أن يسير مبتعدا عنهم، وكان نادما على إفشائه لأسراره للدكتور (كمب) ، إذ إنها تستخدم الآن لاقتناصه دون رحمة ! وأصبح ليوم كامل مطاردا. عندما أسدل الليل أستاره ربما تناول طعاما وشرابا ثم نام واستراح إذ كان فى الصباح سليمًا معافى، نشيطًا وقويًا وغاضبًا ومؤذيًا كعهده دائمًا ، ومستعدًا لمعركته الكبرى والأخيرة، ضد العالم أجمع .

الفصل السابع والعشرون

حصار منزل (كمب)

أخذ (كمب) يقرأ رسالة خطية غريبة ، مكتوبة بالقلم الرصاص على قصاصة قذرة من الورق ، جاء فيها : " لقد كنت ذكيا ونشيطا بشكل مذهل ، ولكن يعجزني التفكير فيما جنيته من هذا أنك تعادينى . وظللت يوما كاملا تطاردنى، بل وحاولت أن تسلبنى راحة ليلة ، ولكنى حصلت على الطعام على الرغم منك واستطعت أن أخلد للنوم رغم أنفك ؛ لقد بدأ الصراع بيننا . نعم لقد بدأ . وليس أمامى إلا أن أبادر بالإرهاب . وأعلن أن هذا أول أيام الإرهاب التى حدثتك عنها . لم يعد ميناء " بردوك " تحت حكم ملكة إنجلترا . أبلغ كولونيل الشرطة بذلك وكذلك الآخرين . بل أصبح تحت حكمى الإرهابى ! هذا هو اليوم الأول من عهد جديد .. عهد الرجل الخفى ! إننى الرجل الخفى الأول .. وسوف يكون الأمر سهلا وميسرا . وفى اليوم الأول سأقوم بتنفيذ حكم الإعدام فى رجل يدعى (كمب) حتى يصبح مثلا يحتذى به لمن يفكر فى خيانتى !

وستبدأ خطوات تنفيذ الإعدام من اليوم . ربما يحاول أن يخفى نفسه خلف أبواب موصدة ونوافذ مغلقة أو أن يهرب إلى مكان قصى أو يحيط نفسه بالحراس المدججين بالسلاح ، ولكن على الرغم من كل هذا سوف يدركه الموت غير المرئى . دعه يتخذ كل الاحتياطات التى بوسعه ، إلا أن الموت سينقض عليه فى منتصف النهار . لقد بدأ الصراع والموت . لا تساعدوه يا أفراد شعبى حتى لا يحل بكم الموت أنتم أيضا . اليوم سوف يموت (كمب) ! "

قرأ (كمب) الرسالة مرتين ثم غمغم :– "إنها ليست خدعة . إن هذا أسلوب الرجل الخفى ! وهو يعنى ما يقول "

أدار قصاصة الورق المطوية ، وشاهد فى مكان المرسل ، ختم بريد " هندتندين " نهض (كمب) فى بطء ، وترك وجبة غذائه دون أن يتمها – لقد جاءته الرسالة ضمن بريد الساعة الواحدة – ثم اتجة إلى حجرة مكتبة ، ودق الجرس ليستدعى مدبرة منزله، وأصدر إليها أوامره بأن تطوف بالمنزل على الفور ، وأن تتأكد من إحكام إغلاق كل النوافذ والشرفات . بينما أوصد بنفسه نوافذ حجرة مكتبه . ثم أخرج من درج مغلق بحجرة نومه مسدسًا صغيراً فحصه بعناية ووضعه فى جيب سترته . وكتب عدة رسائل قصيرة إحداها للكولونيل (أداى) ، وأعطاها لخادمته لتوصيلها ، وشرح لها بالتفصيل الطريق الذى يجب أنْ تسير

فيه ، قائلاً لها : " ليس هناك أى خطر يواجهك " . وبقى متأملاً لبرهة ، ثم عاد إلى غــذائه الذى أصبح بارداً .

أخذ يتناول الطعام بشكل متقطع وقد انتابته شتى الأفكار . وفى آخر الأمر ، ضرب المائدة بقبضة يده فى عنف وقال "سوف نقبض عليه . وسأكون الطّعْمْ . لقد تماديت فى غيّك أيها الرجل الخفى !"

ثم صعد إلى حجرة علوية وهو يغلق بإحكام كل باب وراءه . وقال : " إنه صراع ! صراع غريب ، ولكنى الفائز فى النهاية على الرغم من كونك خفيّاً ياالسيد (جريفن) . يامن تريد أن تحارب العالم بأسره ، سوف أنتقم منك "

وقف عند النافذة يحدق فى التلال التى تغمرها أشعة الشمس وهمس : – " يجب أن يحصل على الطعام كل يوم . ولكن هل استطاع النوم فى الليلة السابقة ؟ هناك فى مكان ما فى الخلاء يختبئ فيه من المطاردين . أرجو أن يصبح الجو بارداً ورطبًا بدلاً من تلك الحرارة .. " تريث لعدة ثوان ثم أردف قائلاً : – " لعله يراقبنى الآن " واقترب (كمب) أكثر من النافذة ونظر من خلال زجاجها الى الخارج ليتأكد من أن أحداً لا يراقبه. وحينئذ سمع شيئا ما يرتطم بقوة بصف الطوب المبنى عند إطار النافذة ، مما جعله يجفل بعنف . وقال يحدث نفسه : " لقد بدأت أعصابى تتوتر .. !" وابتعد عن النافذة ولم يعد إليها إلا بعد نحو خمس دقائق ثم استطرد قائلاً فى همس : " .. من المحتمل أن يكون عصفوراً

ارتطم بالجدار " وفى هذه اللحظات ، سمع جرس الباب الأمامى يدق ، فأسرع يهبط الدرج إلى الطابق السفلى وقام بسحب مزلاج الباب وفتح قفله وفحص سلسلة الباب ثم أزاحها إلى أعلى ، وفتح الباب بحرص دون أن يظهر نفسه . ورحب به صوت مألوف ، إنه الكولونيل (أداى) ، الذى بادره قائلاً من خلف الباب : " (كمب) ! لقد هوجمت خادمتك ! "صاح (كمب) : " ماذا تقول ؟ "

" وأخذت منها رسالتك إنه قريب من هنا . فدعنى أدخل " فك (كمب) سلسلة الباب قليلا ، ودخل (أداى) من أضيق فتحة مستطاعة ، ووقف فى الردهة ينظر إلى (كمب) بارتياح ، وهو يعيد غلق الباب بالمزلاج والقفل والسلسلة .

قال (أداى) : " لقد انتزعت الرسالة من يدها عنوة . مما أصابها بحالة من الهلع المروّع . إنها فى مركز الشرطة ؛ تعانى من هيستيريا . إن الرجل الخفى قريب من هنا . أخبرنى عن مضمون الرسالة " .

أخذ (كمب) يسب ويلعن ثم قال : " ما أشد حمقى ! كان يجب أن أعرف أن المسافة من (هندتندين) إلى هنا ، يمكن أن يقطعها المرء سيراً على الأقدام فى أقل من ساعة ! "

قال (أداى) : " أخبرنى عن الجديد فى الأمر "

رد (كمب) قائلاً : " سوف أريك الخطاب . تعال معى "

وقاد الطريق إلى حجرة مكتبه وقدم إليه خطاب الرجل الخفى . قرأه (أداى) ثم أصدر صفيراً خافتًا من بين شفتيه وقال : " وماذا فعلت ؟ "

قال (كمب) : " لقد أعددت فخًا له ، ولكن بغباء ! إذ أرسلت خادمتى السانجة بمقترحى هذا .. ليصل إليه فى النهاية ! "

قال (أداى) : " سرعان ما يترك المكان "

رد (كمب) بسرعة : " لا أظن أن الرجل الخفى يفعل هذا .. قبل أن ينتقم منى "

عندئذ تناهى إلى أسماعهما صوت مدو لزجاج يتهشم فى الطابق العلوى . ولمح (أداى) مسدسًا صغيراً يبرز نصفه من جيب (كمب) .

صاح (كمب) : " إنها نافذة فى الطابق العلوى ! " وقاد الطريق عبر الدرج إلى أعلى و(أداى) يعدو صاعداً وراءه . وجاء صوت تهشم نافذة أخرى ، وهما لا يزالان يرتقيان الدرج . وما إن دلفا إلى حجرة المكتب ، حتى رأيا نافذتين من نوافذها الثلاث محطمتين ، ووجدا نصف الحجرة مملوءاً بالزجاج المكسر المبعثر ، وحجراً كبيراً ملقى على المكتب . وتوقف الرجلان عند المدخل يفكران مليا فى هذا الحطام .

أخذ (كمب) يسب ويلعن من جديد ، وبينما هو يفعل ذلك ، تحطمت النافذة الثالثة بدوى شديد شبيه بصوت إطلاق مسدس ، وتناثر زجاجها داخل الحجرة ، فى شكل شظايا صغيرة حادة .

قال (أداى) مذهولاً : " ما الذى يهدف إليه بتحطيم النوافذ ؟ "

أجابه (كمب) : إنها مجرد البداية "

عاد (أداى) يتساءل : " أليس ثمة سبيل للتسلق إلى هنا ؟ "

قال (كمب) : " لاسبيل إلى ذلك ، حتى لو كان المتسلق قطًا ! "

تساءل (أداى) : " ألا توجد لهذه النوافذ مصاريع خشبية ؟ "

رد (كمب) بقوله : " ليس فى هذه الحجرة ، ولكن كل نوافذ الطابق السفلى لها مصاريع خشبية "

ثم أتى إليهما صوت ضربات شديدة مدوية فوق المصاريع الخشبية للنوافذ فى الطابق السفلى . صاح (كمب) "اللعنة ! لا بد أن أن هذه نوافذ إحدى غرف النوم . سوف يحطم كل نوافذ المنزل . ولكنه غبى ! فالمصاريع الخشبية مغلقة ومن ثم فإن شظايا زجاج النوافذ سوف تسقط إلى الخارج ، وتصيبه بالجروح عندما تطؤها قدماه " واستمرتحطيم النوافذ الواحدة تلو الأخرى . ووقف الرجلان عند منبسط الدرج متحيرين .

قال (أداى) أخيراً : " واتتنى فكرة ! أعطينى عصا أو مايشبهها ، وسأذهب إلى مركز الشرطة لأحضر كلاب إقتفاء الأثر ، التى يمكنها العثور على الرجل الخفى ! ولن يستغرق الأمر إلا أقل من عشر دقائق ... "

ووقـتـئـذ تحطمت نـافـذة أخــرى . تســاءل (أداى) : " أليس لديك مسدساً ؟ "

وضع (كمب) يده فى جيبه ثم تردد لبرهة وقال : - " ليس لدىَّ مسدس .. أعنى ليس لدىّ واحد يمكننى الاستغناء عنه "

رد عليه (أداى) قائلا : " سوف أعيده إليك ، إنك هنا فى أمان " وأعطاه (كمب) المسدس .

قال (أداى) : " والآن فلنذهب إلى الباب " .

وبينما هما واقفان مترددان فى الردهة ، سمعا صوت إحدى نوافذ حجرة النوم فى الطابق الأول ، وهى تتصدع ثم تتحطم . توجه (كمب) إلى الباب وشرع فى سحب المزاليج بقدر مايستطيع من سكون . وكان وجهه أكثر شحوباً بعض الشىء من المعتاد.

همس (كمب) : " عليك أن تخرج فى الحال " .

وبعد لحظات ، كان (أداى) عند عتبة الباب . وعلى الفور أوصد (كمب) الباب بأن أعاد المزاليج إلى مكانها . تمهل (أداى) قليلا ، وهو يشعر باطمئنان أكبر ، عندما أصبح الباب يحمى ظهره . وهبط الدرج متثاقلاً منتصب القامة ، وعبر المرجة(*) واقترب من البوابة . وبدا كما لو

(*) حقل مزروع بالحشائش . (المترجم)

أن نسيما رقيقا يحدث تموجًا بالحشائش ثم شعر بشيء ما يتحرك بجواره .

قال صوت خفي : " توقف قليلا " . وقف (أداى) جامداً ويده تقبض بشدة على المسدس .

قال (أداى) وقد أصبح شاحب الوجه ومتجهمًا ومتوتر الأعصاب : " ماذا تريد ؟ "

قال الصوت بعصبية : " عد إلى المنزل "

رد (أداى) بصوت أجش وهو يلعق شفتيه بلسانه : " كلا " كان الصوت يصدر من الناحية اليسرى ، وفكر في أن يطلق النار في هذا الاتجاه . سأله الصوت : – " ما الذى تريد أن تفعله ؟ "

أخذ (أداى) يفكر ثم قال بتؤدة : " إن ما أنوى أن أفعله ، من شأنى أنا وحدى " ثم توقفت الكلمات فوق شفتيه ، عندما التف ذراع خفيّ حول عنقه وأحس بركبة تضغط على ظهره ، وجذب جسمه بعنف إلى الوراء سحب (أداى) زند المسدس وأطلق النار عشوائيا . ولم تمض إلا لحظات حتى أصيب فمه بلطمة ، وانتزع المسدس من يده . حاول أن ينهض من على الأرض ، ولكنه سقط من جديد .

قال : " اللعنة " ضحك الصوت الخفيّ : " يمكننى أن أقتلك الآن ، لولا أن فى هذا إضاعة لرصاصة ! " وشاهد (أداى) المسدس معلقا فى الهواء على بعد حوالى مترين مصوبًا نحوه .

قال (أداى) وهو يستوى جالساً : " ماذا تريد ؟ "

أجابه الصوت : " انهض " إمتثل (أداى) للأمر وانتصب واقفاً .

قال الصوت الخفى : " إننى أحذرك ! لا تحاول أن تخدعنى . تذكر أننى أستطيع أن أراك وأنت لاترانى . عليك أن تعود إلى منزل (كمب) ! "

رد عليه (أداى) قائلاً : " إنه لن يدعنى أدخل "

قال الصوت الخفى : " ياله من أمر مؤسف ! فأنت لست عدواً لى " رطّب (أداى) شفتيه من جديد بلسانه . وتحولت عيناه من ماسورة المسدس ، إلى البحر البعيد بلونه الأزرق الداكن فى الضوء الساطع لشمس منتصف النهار ، والتل الأخضر الأملس والساحل الصخرى الأبيض والبلدة ممتدة الرقعة ومزدحمة بالسكان . وفجأة أدرك أن الحياة بالغة العذوبة . وعادت عيناه من جديد إلى ذلك المسدس المعلق فى الهواء والمسدد نحوه . قال (أداى) وهو مقطب الجبين : " ماذا يجب علىّ أن أفعل ؟ "

وتساءل الرجل الخفى بدوره : - " وماذا يجب علىّ أنا أن أفعل ؟ إنك سوف تحصل على المساعدة . والشىء الوحيد الذى ستفعله هو أن

تعـود من حـيث أتيت " ، "سـأحـاول ذلك . ولكن إذا سـمح لى (كـمب) بالدخول ، فهل تعدنى بأن لا تقتحم الباب عنوة ؟ "

أجابه الصوت : " إننى لا أريد أن أقاتلك "

وكان (كمب) قد أسرع إلى الطابق العلوى ، بعد أن خرج (أداى) من المنزل . وأخذ يطل بحذر من خلال نافذة حجرة المكتب المكسورة ، ورأى (أداى) يتحدث مع الرجل الخفى .

همس (كمب) لنفسه : " لماذا لا يطلق عليه النار ؟ "

ثم تحرك المسدس قليلا فى الهواء ، فانعكس ضوء الشمس على عينى (كمب) . وضع يده على عينيه لحمايتهما من الوهج وحاول أن يتبين مصدر هذا الشـعاع المعمى . قال: " ما من شك فى أن (أداى) سلمه المسدس "

وقتئذ كان (أداى) يقول للرجل الخفى : " عدنى بألا تدخل فى إثرى ، إذا ما فتح (كمب) لى الباب " رد عليه الرجل الخفى قائلا : " عليك أن تعود إلى المنـزل . ولن أعدك بشـىء" ولاح أن (أداى) قرر فجأة اتخاذ قرار ما . فقد ولى وجهه نحو منزل (كمب) ومشى وئيدا ويداه خلف ظهره . وشرع (كمب) يراقبه متحيرا ثم اختفى المسدس وعاد للظهور من جديد واختفى مرة أخرى ، ثم بدا كشىء أسـود صغير مصوبا عن قرب إلى ظهر (أداى) ويتبعه كظله . وبعد ذلك توالت

الأحداث ســـراعا . فقد استدار (أداى) فجأة وقفز إلى الخلف محاولا الإمساك بالمسدس إلا انه أخطأه ، وهوى إلى الأرض وهو يرفع يديه إلى أعلى ، ثم انبطح على وجهه ، واندفعــت فى الهواء كـرة صغـيرة من الدخـــان الأزرق . ولكن لم يسـمع (كمب) دوى الطلقـة . تلوى (أداى) ألما ، ورفع جسمة على يد واحدة ولكنه سقط إلى الأمـام . وظل سـاكنا لا يتحرك .

و ظل (كمب) بعض الوقت يحدق النظر إلى (أداى) وهو راقد فوق الحشائش فى هدوء . وكانت فترة بعد الظهيرة شديدة الحرارة مفعمة بالسكون ، لا يبدو أن شيئا فيها يتحرك ، إلا فراشتان صفراويتان تطاردان بعضهما بعضا خلال الشجيرات التى تنمو بين المنزل ومدخل الطريق . وكانت كل نوافذ الستائر مسدلة فى المنازل ، على طول الطريق إلى التل ، ولكن كان فى منزل صيفى ذى طلاء أخضر ، ثمة شبح أبيض يلوح أنه لعجوز نائم .

أخذ (كمب) يمعن النظر فيما يحيط بالمنزل باحثا عن المسدس المعلق فى الهواء ، ولكنه كان قد اختفى .

وعادت عيناه إلى (أداى) ، لقد بدأ الصراع بداية حسنة، وعندئذ سمع رنين جرس الباب الأمامى وتعالت طرقات عليه ، حتى أنه لم يتحمل هذا الصخب ، فوقف حائرا . وكان الخدم قد أغلقوا حجراتهم عليهم، اتباعا لأوامر (كمب) . تهالك فوق أحد المقاعد وقد ساد

السكون ، جلس مرهف السمع يقظ الحواس، ثم شرع يتطلع بحذر إلى ما وراء النوافذ الثلاث ، الواحدة بعد الأخرى . نهض وسار بخطى وئيدة حتى بلغ رأس الدرج ووقف ينصت فى قلق . ثم اتجه إلى حجرة النوم وسلّح نفسه بقضيب حديدى يستخدم فى المدفأة ، وذهب ليتفحص من جديد المزاليج الداخلية لنوافذ الطابق الأرضى . وتحقق من أن كل شىء آمن وعلى ما يرام . وعاد إلى الحجرة العلوية . ونظر من خلالها ، فوجد (أداى) ما زال راقدا بلا حراك فى نفس المكان الذى سقط فيه، ثم لمح خادمته وشرطيين يأتيان من طريق خلفى . وكان السكون يغلف كل شىء . وبدا أن الثلاثة القادمين يتلكأون فى سيرهم ثم أخذ (كمب) يفكر فيما يفعله عدوه الخفى فى تلك اللحظات .

روّع حينما سمع طرقا عنيفا فى الطابق السفلى . وتريث قليلا ثم هبط على الدرج من جديد ، للبحث عن مصدر الطرق . وفجأة امتلأ المنزل بأصوات ضربات عنيفة وتحطيم أخشاب . ثم سمع صوت تحطيم المزاليج الحديدية لمصاريع النوافذ . كان يرتعد وهو يدير المفتاح فى باب المطبخ فيفتحه . وقتئذ انشقت المصاريع وتناثرت شظايا الخشب فى الداخل . وقف مشدوها من هول ما يرى . وكان إطار النافذة – إلا من دعامة وحيدة – مايزال سليما ولكن لم يبق من زجاج النافذة سوى قطع صغيرة مازالت عالقة بالإطار. وكان قد تم تحطيم المصاريع الخشبية بواسطة بلطة حادة ، وأصبحت الآن تضرب بعنف لتحطم إطار النافذة

والدعامات الحديدية التى تحميها . وفجأة انحرفت جانبا وتوارت عن الأنظار . ورأى المسدس ملقى فى الممر بالخارج ، ثم لم يلبث أن قفز عاليا فى الهواء . تراجع (كمب) إلى الوراء فى فزع ، وانطلقت من المسدس رصاصة على الباب المغلق فتطايرت شظايا الخشب قريبا من رأسه . هرع إلى الباب وفتحه ثم خرج منه وأغلقه خلفه ، وعندما أصبح خارج المطبخ تناهى الى سمعه صوت الرجل الخفى وهو يصيح ويضحك . وحينئذ بدأت من جديد ضربات البلطة وتحطيم الخشب .

وقف (كمب) فى الردهة يحاول أن يفكر . ذلك أنه لن تمضى سوى دقائق ، حتى يصبح الرجل الخفى فى داخل المطبخ ، فهذا الباب لن يحول بينه وبين اقتحام المطبخ . وبعدئذ .. !

دق جرس الباب الأمامى من جديد ، فظن أنهما رجلا الشرطة الذان شاهدهما يأتيان مع خادمته ، فاندفع إلى الباب ورفع السلسلة وسحب المزاليج . وقبل أن يفتح الباب سأل من الطارق فأجابت خادمته ، فاطمأن قليلا وسمح للثلاثة بالدخول وبسبب اضطرابهم سقطوا فوق بعضهم البعض ، ثم أوصد الباب مرة أخرى .

قال (كمب) وهو يلهث من فرط انفعاله : " إنه الرجل الخفى ! معه مسدس به طلقتان باقيتان، لقد قتل (أداى) بأن أطلق علية الرصاص بطريقة ما ! ألم تروه فوق الحشائش ؟ إنه ملقى هناك ! "

سأله أحد الشرطيين :- " مَنْ ؟ " رد (كمب) قائلا : " (أداى) "

قالت الخادمة : - " لقد أتينا من الطريق الخلفى "

تساءل واحد من رجلى الشرطة : وما هذه الضربات ؟ "أجاب (كمب) بسرعة : "إن الرجل الخفى فى المطبخ ، أو سيكون فيه بعد قليل . وقد وجد بلطة فى مكان ما ..." وإمتلأ المنزل بغتة بالصوت المدوى لضربات الرجل الخفى على باب المطبخ . وحدقت الخادمة فى اتجاه المطبخ فأصابتها رعدة ثم هرعت إلى حجرة الطعام . حاول (كمب) أن يفسر الأمر فى عبارات متقطعة ثم سمعوا باب المطبخ ينهار .صرخ (كمب) وهو يتحرك مسرعا : " من هنا " وأخذ يدفع الشرطيين إلى مدخل حجرة الطعام ، ثم صاح : " قضيب تقليب فحم المدفأة "واندفع إلى سياج المدفأة وناول قضيبا لكل شرطى ثم ألقى بنفسه فجأة إلى الخلف . أحنى أحد الشرطيين رأسه بسرعة وحاول ضرب البلطة بالقضيب الحديدى الذى يحمله ، ولكنه أخطأها . وعندئذ سمعوا الطلقة النارية قبل الأخيرة من المسدس ، مزقت لوحة زيتية ثمينة للرسام (سيدنى كوبر) . وقام الشرطى الثانى بضرب المسدس بواسطة القضيب الحديدى ، فأسقطه على الأرضية بصوت مسموع . ومنذ بداية الصراع أخذت الخادمة تصرخ لعدة دقائق وهى تقف بجانب المدفأة ، ثم هرعت إلى أقرب نافذة لفتح مصراعيها ، ربما فى محاولة منها للهروب عبر النافذة المحطمة الزجاج . تراجعت البلطة إلى الممر الداخلى بين الغرف،

واستقرت فى موضع يبعد عن الأرضية بنحو ستين سنتيمترا . وكان بإمكانهم سماع صوت تنفس الرجل الخفى ، الذى قال : "ابتعدا أنتما الاثنان ، أنا أريد هذا الرجل (كمب) !"

قال الشرطى الأول وهو يتجه إلى الأمام بسرعة ملوحا بالقضيب فى اتجاه الصوت الخفى : " أما نحن فنريدك أنت !" ويبدو أن الرجل الخفى تقهقر إلى الوراء ، فاصطدم بمنضدة وأسرع أحد الشرطيين مصوبا القضيب الحديدى إلى هذا المكان ، ولكن الرجل الخفى تلقاه بالبلطة . وضربه فوق خوذته فحطمها . وطرح الشرطى أرضا، عند بداية السلالم المؤدية إلى المطبخ . أما الشرطى الثانى فقد سدد القضيب الحديدى فيما وراء البلطة . فأصاب شيئا لينا ، ودوت صرخة ألم قوية، وسقطت البلطة فوق الأرضية. وضرب الشرطى الهواء من جديد ، ولكنه لم يصب شيئًا ، فوضع قدمه فوق البلطة وعاد يضرب القضيب الحديدى فى الفراغ. ووقف ليصغى باهتمام لأقل حركة ، ثم سمع صوت نافذة حجرة الطعام تفتح وخطوات سريعة فى الداخل . تقلب الشرطى الأول ثم استوى جالسًا على الأرضية ، ومازالت الدماء تسيل بين عينه وأذنه، تساءل بضعف: " أين هو ؟" أجابه الشرطى الثانى قائلاً: " لا أدرى. ولكنى أصبته. ولعله يقف فى مكان ما بالردهة. أو ربما فر من النافذة" تريث للحظات ثم أردف قائلاً : " ... ولكن أين الدكتور (كمب) ؟" ومرت فترة صمت . وعاد الشرطى يصيح : " دكتور

(كمب) !" وأخذ الشرطى المصاب يحاول الوقوف على قدميه حتى تمكن من هذا ، وفجأة سمعوا الصوت الخافت لقدمين عاريتين على السلم المؤدى للمطبخ . صاح الشرطى الثانى واندفع إلى الأمام مطوحًا بالقضيب الحديدى الذى يمسك به ، فحطم حاملاً جدارياً لمصباح غازى. وهمّ كأنه يريد أن يقتفى أثر الرجل الخفى نازلاً على الدرج ، ثم غيّر رأيه ودلف إلى حجرة الطعام . صاح قائلاً : " دكتور (كمب) ! " ثم توقف دون أن يكمل.

كانت نافذة حجرة الطعام مفتوحة على مصراعيها ، ولا يوجد أى أثر للخادمة ولا للدكتور (كمب)!

الفصل الثامن والعشرون

اقتناص المطارد

كان السيد (هيلاس) - أقرب الجيران من مالكى الفيلاّت للسيد (كمب) - نائمًا فى الكوخ الصيفى الملحق بفيلته، عندما بدأ حصار منزل (كمب). علمًا بأن السيد (هيلاس) كان واحداً من القلائل شديدى العناد الرافضين تصديق كل هذا الهراء، عن رجل خفيّ . على عكس زوجته التى كانت تصدق هذه الحكايات ، كما تم تذكيره بذلك فيما بعد . وقد كان السيد (هيلاس) يصر على السير عبر حديقته ، وكأن شيئًا لم يكن . وذهب لينام فى فترة مابعد الظهيرة ، كما هى عادته لسنوات . وكان يَغُطُّ فى النوم على الرغم من صوت تحطيم النوافذ ، بيد أنه استيقظ فجأة ولديه اقتناع عجيب ، بأن هناك خطأً ما .

نظر بعيداً إلى حيث منزل (كمب) ثم فرك عينيه وعاد ينظر من جديد . وبعد ذلك استوى جالسًا على فراشه . واضعًا قدميه على أرضية

الكوخ وأخذ يرهف سمعه ، وهمس لنفسه : " فلترحمني السماء ! إن هذا الشيء الغريب مازال موجوداً ! "

كان منزل (كمب) يبدو مهجوراً لأسابيع ، بعد تعرضة لهجوم عنيف! كان كل زجاج النوافذ محطمًا - ماعدا نوافذ حجرة المكتب العليا - ولكنها كانت تحتفظ بمصاريعها مغلقة من الداخل . قال (هيلاس) في قرارة نفسه : " أقسم أنها كانت سليمة .. " ونظر إلى ساعة يده وأردف قائلاً : " ... منذ عشرين دقيقة " وأصبح مدركًا لذلك العنف الواضح والزجاج المكسور ، على مسافة بعيدة منه ، عندئذ جلس فاغراً فاه من غرابة ما يراه . ثم حدث أمر آخر أكثر عجبا ! إذ انفتحت بعنف مصاريع نافذة حجرة الاستقبال في منزل (كمب) ، وظهرت الخادمة مرتدية قبعة وملابس الخروج ، تشق طريقها بجهد - وهي في أشد حالات الانفعال - لتبعد الزجاج المكسور . وفجأة ظهر رجل بجانبها يقوم بمساعدتها .. إنه الدكتور (كمب) ! وفي الدقائق التالية ، فتحت النافذة على مصراعيها وخرجت الخادمة بصعوبة ، ثم اندفعت إلى الأمام عبر الممر ، واختفت بين شجيرات حديقة المنزل .

حينئذ وقف السيد (هيلاس) مضطرباً من عدم قدرته على الفهم ومتوجسًا شراً ، من كل هذه الأمور العجيبة . بعد ذلك شاهد (كمب) واقفا على عتبة النافذة ثم قفز منها إلى الأرض . وأخذ يركض مسرعًا مفزوعًا عبر الممر المحاط بالشجيرات متوقفا بين لحظة وأخرى ، وكأنما ليتفادى أن يراه شخص ما . واختفى في الدقائق التالية . خلف نباتات "

القوطيسوس "(*) ثم ظهر من جديد وهو يتسلق بجهد السور المحيط بمنزله ، انكفأ على وجهه فى الجانب الآخر ، ولكن سرعان مانهض من سقطته ، واندفع يركض وهو فى حالة يرثى لها ، هابطا الممر المشترك إلى حيث فيلا السيد (هيلاس) .

صاح السيد (هيلاس) وقد سيطرت الفكرة على ذهنه : " يا إلهى ! إنه ذلك الرجل الخفى المتوحش . هذه حقيقة مؤكدة "

اعتاد السيد (هيلاس) أن يقرن أفكاره بأفعال . وقد تعجب طباخه – وهو ينظر إليه من النافذة العلوية – عندما شاهده وهو يركض فى اتجاه المنزل بسرعة تصل إلى أربعة عشر كيلومتراً فى الساعة . قال الطباخ لنفسه :

" أعتقد أنه ليس خائفا .. " ثم رفع صوته صائحا : " .. (مارى) ! تعالى هنا "، بعدها سمع صوت أبواب تصفق بعنف وقرع أجراس وصياح السيد (هيلاس) الذى يشبه خوار الثور : " أغلقوا الأبواب ، أوصدوا النوافذ . أقفلوا كل شىء ! إن الرجل الخفى فى طريقه إلي هنا! " . وعلى الفور ، امتلأ المنزل بالصرخات والتعليمات الصادرة ووقع الأقدام السريعة هنا وهناك . وهرول السيد (هيلاس) بنفسه ليوصد

(*) نبات من الفصيلة القرنية . (المترجم)

النوافذ الفرنسية(*) التى تطل على الشرفة . وما أن فعل هذا ، حتى ظهرت رأس (كمب) وكتفاه وركبتاه ، على حافة سور الحديقة . وفى اللحظات التالية راح يشق طريق عبر نباتات " الهَلْيونْ "(**) ، وأخذ يركض لاهثا ، ثم عبر ملعب التنس فى طريقه إلى المنزل . عندها أغلق السيد (هيلاس) المزاليج قائلا : " اننى جد آسف إذا كان الرجل الخفى يطاردك ! ولكن لن يُسمح لك بالدخول " .

ظهر وجه (كمب) المرتعب ملاصقا لزجاج النافذة ، وأخذ يدق بعنف ويهز النافذة الفرنسية بشدة . وقتئذ تبين له أن جهوده عديمة الجدوى ، ومن ثم ركض على طول الشرفة ووثب من على إفريزها ، وأخذ يطرق بعنف الباب الجانبى ، بعدها قام بالالتفاف حول المنزل من ناحية الساحة الجانبية ، ليصل إلى واجهة المنزل من جديد ، ثم إلى الطريق المؤدى إلى التل .

" راح السيد (هيلاس) يمعن النظر عبر زجاج نافذته - والرعب يرتسم على وجهه - ولكنه لم يكد يلحظ اختفاء (كمب) ، إلا أن أقدامًا خفية كانت تطأ نباتات " الهَلْيونْ " ، هنا وهناك . فى هذه اللحظة قام السيد (هيلاس) بالركض مندفعًا إلى الطابق العلوى ، ومن ثم لم تعد

(*) نافذة كبيرة تمتد إلى أرضية الحجرة (المترجم) .

(**) نبات يؤكل كنوع من الخضراوات (المترجم) .

باقى المطاردة فى مرمى بصره . لكن ما أن عبر فتحة الدرج عند الطابق الثانى ، حتى تناهى إلى سمعه صوت إغلاق البوابة الجانبية بعنف . ما إن وصل (كمب) إلى الطريق الموصّل إلى التل ، حتى اندفع فى الاتجاه المنحدر لأسفل ، وهكذا راح يقوم بشخصه بالسباق نفسه . الذى كان يراقبه بدهشة بالغة – منذ أربعة أيام – من شرفة حجرة مكتبه .

أخذ يركض بلياقة معقولة ، بالنسبة لرجل لا يتدرب على رياضة العدو بانتظام . وعلى الرغم من أن وجهه كان شاحبًا والعرق يتصبب منه، فقد كان مسيطرًا على انفعالاته إلى أقصى حد ممكن . كان يركض بخطوات واسعة ، وعندما يصادف أرضًا غير ممهدة أو يكثر بها الحصى والحجارة أو تتناثر فوقها قطع الزجاج المهشم الذى يتألق فى ضوء الشمس ، كان يجتازها كلها بسرعة . وذعره قد بلغ أقصى حده .

أخذ ينهب الطريق فى منتصفه ، تاركًا للأقدام غير المرئيه للرجل الخفى – التى تتبعه – حرية الخيار فى إتخاذ ماتراه مناسبًا لعبور هذه الأراضى .

" واكتشف (كمب) – ربما لأول مرة فى حياته – أن طريق التل كان واسعًا ومهجورًا ، بشكل يفوق الوصف . وأن بدايات المدينة فى الأسفل ، عند سفح التل ، تبدو نائية بطريقة غريبة . وتراءى (لكمب) أن عملية الركض أصبحت بطيئة ومؤلمة ، بحيث لايمكن مقارنتها بأية طريقة أخرى للهروب من هذا الموقف . كانت كل الفيلات ذات الألوان الكئيبة

تحت شمس مابعد الظهيرة ، تبدو محكمة الإغلاق بالمزاليج خوفًا من الرجل الخفى . لقد كان من الواجب تركها غير مغلقة ، تحسبًا لمثل هذه المواقف ! بدأت المدينة فى الظهور والبحر فى خلفيتها والناس فى الأسفل يتحركون وهم مفعمون بالنشاط .

وقتئذ وصلت عربة الترام أسفل التل ، حيث مخفر الشرطة . وتساءل (كمب) لنفسه : " هل أصوات وقع الأقدام التى أسمعها من ورائى هى للرجل الخفىّ ؟ بعد كل هذا المجهود للفرار ! " .

راح الناس فى أسفل الطريق يحدقون النظر إليه وهو يركض أمامهم ، وبدأ إثنان أو ثلاثة أشخاص يجرون معه . شعر بألم فى حنجرته وأصبح يتنفس بصعوبة ، وبصوت أجش . حينئذ أصبح الترام قريبًا منه . وكان العاملون فى شركة "چولى كريكترز" ينزلون أبواب المبنى فى جلبة . وفيما وراء محطة الترام ، كانت ثمة أكوام من الحصى وبعض الدعامات لأعمال الصرف الصحى . طرأت على ذهنه فكرة مفاجئة، أن يقفز داخل الترام ويغلق أبوابه ، ولكنه غيّر رأيه وعزم أن يمضى إلى مخفر الشرطة. وفى اللحظات التالية ، استطاع أن يمر من أمام مبنى شركة "چولى كريكترز " ، ويصل إلى أطراف الطريق غير الممهدة ، والناس يروحون يجيئون أمامه ومن حوله . أخذ سائق الترام والمحصل يحدقان فيه ويعجبان من ركضه السريع، بينما كانت الجياد محررة لتنال قسطًا من الراحة . كما ظهرت إمارات

الدهشة على وجوه العمال الذين يشتغلون بأعمال الحفر ، قريبا من هذا المكان – الواقفين على أكوام الحصى – وراحوا يشخصون بعيون تكاد تقفز من محاجرها .

انخفضت سرعته قليلا ، وحينئذ سمع وطء أقدام مطارده الخفى . اندفع (كمب) للأمام من جديد ، مستعيداً سرعته . وصرخ فى العمال وعلى وجهه إيماءة غامضة الدلالة ، لايمكن أن يفهم منها مايريده : – " إنه الرجل الخفىّ " .

واتته لحظة إلهام ، فقفز للأمام بحيث أصبح بينه وبين الرجل الخفى ، مجموعة العمال ذوى الأجسام الضخمة . تخلى عن فكرة الاتجاه إلى مخفرالشرطة ، واستدار ليدخل إلى أحد الشوارع الجانبية ، ويندفع بجانب عربة خضرىّ . ثم تردد لجزء من الثانية عند باب أحد متاجر الحلوى ، وهرول إلى مدخل زقاق يعيده ثانية إلى الشارع الرئيسى . كان إثنان أو ثلاثة أطفال يلعبون هناك . وما إن ظهر (كمب) حتى فزعوا وتفرقوا ، على أثر ذلك فتحت العديد من الأبواب والنوافذ ، وأطلت منها أمهات أرشدتهن قلوبهن غريزيا ، بأن ثمة خطر يهدد أطفالهن. . إندفع إلى الشارع الرئيسى من جديد، على بعد نحو ثلاثمائة متر من نهاية خط الترام . فى لحظتها أدرك أن هناك جلبة شديدة من الأصوات العالية وأشخاص كثيرين يركضون .

رفع نظره من جديد إلى نهاية الطريق فى اتجاه التل ، وعلى بعد نحو عشرة أمتار كان يجرى عامل ضخم الجثة يطلق اللعنات ويضرب فى الهواء بمعول ثقيل أمسك به فى يده . وخلفه مباشرة أخذ يركض محصل الترام وقبضاه مضمومتان ، وبعدهما جاء آخرون يجرون وهم يصيحون ويحركون أذرعهم فى الهواء متوعدين .

" وهناك فى اتجاه المدينة ، كان يركض أيضا العديد من الرجال والنساء ، ولاحظ (كمب) بوضوح ، أن أحد الرجال خرج من متجره وبيده عصى . وصرخ شخص ما من بين الحشد : " تفرقوا ! تفرقوا "

وفجأة أدرك (كمب) الوضع البديل الذى أصبح يواجه الرجل الخفى ، إذإنه صار مُطَارَدًا بدلاً من أن يكون مُطَارِداً . حينئذ توقف عن الجرى وقال وهو يلهث : " إنه قريب من هناك ! شكلوا صفًا عبر المكان " .

صاح صوت ما : " هكذا ! " تلقى (كمب) على أثر ذلك لكمة قوية من الخلف تحت أذنه مباشرة ، كادت أن تطرحه أرضًا . إستدار بسرعة ليواجه خصمه الخفىّ ، وإستطاع – بالكاد – أن يظل منتصب القامة . رفع يديه فى الهواء ، كأنما يتعلق بشىء ما لايراه . وفى هذه اللحظات ، تلقى لكمة ثانية تحت الفك ، فسقط على الأرض ممدداً ويديه وساقيه مفرودة . وفى التو شعر بركبتين تجثمان على حجابه الحاجز وضغطت يدان قويتان على عنقه تنويان قتله . لكن إحدى اليدين كانت أضعف من

الأخرى . قبض (كمب) بعنف على رسغى الرجل الخفى ، فسمع صرخة ألم من مهاجمه. وقتئذ شاهد معول العامل ضخم الجثة، يندفع فى الهواء من فوقة، صادمًا شيئًا ما بقوة ، ومحدثًا صوتًا مكتومًا. وشعر بنقطة من مادة رطبة تسقط على وجهه، أعقبها تخفيف ضغط يدى الرجل الخفي على عنقه. وبمجهود مُضنٍ خلّص نفسه وإستطاع أن يمسك بغريمه من كتفه ويسحبه على الأرض ثم جثم فوق صدره ، قابضًا بإحكام على المرفقين غير المرئيين للرجل الخفى. وصرخ قائلاً: " لقد تمكنت منه . ساعدونى فى القبض عليه. إنه تحتى. أمسكوا بقدميه!"

وفى لحظات إندفع كثيرون فى نفس الوقت، إلى حيث يدور الصراع، كذلك إندفع فجأة أحد الغرباء إلى المكان، معتقدا أن ما يجرى عبارة عن مباراة حماسية فى الرجبى لم تصدر أى صرخات بعد صيحة (كمب)، بل مجرد صوت الرياح ودبيب الأقدام والأنفاس اللاهثة.

"بعدها – وبمجهود شاق – قذف الرجل الخفى بإثنين من مهاجميه بعيدا عنه، ورفع نفسه عن الأرض محاولا الإستقرار على ركبتيه توطئة للنهوض على قدميه. تعلّق (كمب) به ، كما يحكم كلب الصيد قبضته على فريسته.

وراحت عشرات الأيدى تتدافع نحو الرجل الخفى تمسك به وتضربة ، على الرغم من أنه غير مرئى لهم. وفجأة استطاع محصل

التزام الإمساك برقبة الخفي وكتفيه وأرغمه على الإنبطاح أرضا من جديد. ثم جاء مجموعة من الرجال الأشداء المستعدين للتشاجر، إلى حيث الصراع والتفوا حول المكان. وبدأ البعض منهم فى ركل الرجل الخفى بوحشية، إثر ذلك صاح بصوت متحشرج ينم عن الألم المبرّح قائلاً: "الرحمة! الرحمة"

ثم خفت صوتة وكأنة يختنق. صرخ فيهم (كمب): " تراجعوا أيها الحمقى". وبالفعل حدث تراجع نشيط من كل الأشخاص أقوياء البنية. وإستطرد (كمب) قائلا: " أؤكد لكم أنة قد أصيب، ارجعوا إلى الخلف".

نشب صراع وجيز لإخلاء مكان حول الرجل الخفى، وحينئذ بدأت العيون المتشوقة، تحدق النظر لمعرفة ما يحدث. ركع (كمب) ورفع يديه إلى فوق حوالى أربعين سنتيمتراً عن الأرض، ممسكا بذراعين غير مرئيتين. وخلفه أحد رجال الشرطة يحكم قبضتيه على رسغى قدمين خفيتين.

صاح العامل الضخم وهو يمسك بمعول ملطخ بالدماء:-
"لا تتركوه ! إنه يتظاهر بالإصابة"

رد علة (كمب) قائلا: "إنة لا يتظاهر" وبكل حرص رفع ركبة الرجل الخفى وأكمل:

و"سأظل ممسكا به" . أصبح وجه (كمب) مليئًا بالكدمات ومحتقنا بالدماء، وكان يتحدث بصعوبة لأن إحدى شفتية تدمى. حرر إحدى يدى الرجل الخفى، وراح يتحسس وجهه غير المرئى، ثم قال: "إن فمه رطب مغطى بالدم" تريث لبرهة ثم استطرد: " .. يا سبحان الله !". وفجأة إستوى عل قدميه ثم عاد ليركع إلى جانب الجسد الخفى.

كان هناك الكثير من التدافع والتزاحم وجلبة ووقع أقدام، إذ بدأت جموع جديدة فى التوافد، ليزيدوا ضغط الحشد الواقف فى المكان. وقتئذ خرج الناس من منازلهم، وفتحت أبواب مبنى "چولى كريكرز" على اتساعها.

أخذ (كمب) يتحسس الجسد الخفى الممدد، فبدا له أنه يمرر يده فى فراغ، قال: "إنه لا يتنفس! لقد سكنت حركته.. و كف قلبه عن الخفقان!"

فجأة انثنت امرأة عجوز تتعلق بذراع العامل الضخم، تصرخ بفزع: " انظروا". ثم أشارت بإصبع مجعد. تطلعوا إلى حيث أشارت، فإذا بهم يروعون لمشهد بالغ الغرابة، شكلا شفافا باهتا كأنه مصنوع من الزجاج . بعدها إتضحت عروق وشرايين وعظام وأعصاب. وظهر هيكل ليد ثم غضاريفها وعظامها. كانت فى البداية ضبابية. ثم صارت أكثر عتامة واتضحت أكثر فأكثر، وهم يحدقون فى المشهد بذهول. صاح الشرطى:

" يا للعجب! لقد بدأت القدمان تتضحان" وهكذا، استمر هذا التحول العجيب. يسرى - ببطء - من يدىّ الرجل الخفى وقدميه، إلى بقية أطرافه ومنها إلى باقى أجزاء جسمه الرئيسية.لقد كان الأمر أشبه بسريان السم ببطء فى الجسم.

فى البداية ظهرت الأعصاب البيضاء الصغيرة، ومخطط ضبابى رمادى لأحد، وبدت الأطراف العظام شفافة شبيهة بالزجاج.ثم اتضحت شبكة شرايين الجسم المعقدة وبعدها أخذت تكتسى باللحم والجلد فى البداية ظهرت كأشكال ضبابية غير واضحة المعالم ، ولكن سرعان ما ازدادت بالتدريج كثافة قوامها و إثر ذلك، بدأوا يشاهدون صدره الممتلىء بالكسور وذراعيه اللتين تكسوهما الرضوض، ثم بدأت تتضح معالم وجهه وباقى جسمه ، وكأنما يعاد رسمها لتعود لها حيويتها من جديد.

فى النهاية، أفسح الجمع المحتشد طريقا للدكتور(كمب) ليقف، بجانب الجسد المسجى على الأرض.هناك كان يتمدد رجل عارٍ تماما فى حالة يرثى لها،جسدا مليئا بالكسور والكدمات والسجحات، لرجل فى الثلاثين من عمره، أبيض شعر الرأس واللحية. كانت درجة اللون الأبيض التى عليها الجسد،لا تتناسب مع عمره. بل هى درجة الأبيض التى يعانى منها مرضى المَهَقْ . وكانت عيناه محمرتين جدا كالون العقيق الأحمر ومفتوحتين على اتساعهما ويداه مطبقتان بشدة، ويبدو على وجهه مزيج من الغضب العارم والرعب المروع.

قال أحد الرجال:- "غطوا وجهه ! بالله عليكم غطوا هذا الوجه".إثر ذلك اندفع ثلاثة أطفال من وسط الجمع ليشاهدوا ما يجرى،لكنهم أجبروا على العودة إلى الخلف من جديد.أحضر أحدهم ملاءة من القماش من مبنى شركة"جولى كريكرز" وغطوه وحملوه إلى داخل المبنى، وهناك انتهت حياة (جريفن)..الرجل الخفى.

الخاتمـــة

وهكذا تنتهى قصة التجربة الغريبة والشريرة للرجل الخفى. وإذا أردت أن تعرف المزيد عنه، فعليك الذهاب إلى حانة صغيرة بالقرب من " بورت ستو" لتتحدث مع صاحب الحانة ، ولافتة الحانة عبارة عن لوحة خالية إلا من قبعة وحــذاء برقــبة، أما الاسم فهو عنوان قصتنا هذه.

صاحب الحانة رجل قصير وبدين وذو أنف أسطوانى بارز وشعر مجعد خشن وجهه به بقع متوردة متناثرة. وهو يحتسى الكثير من الخمر. وسوف يحدثك بإسهاب عن كل الأمور التى حدثت له بعد وفاة الرجل الخفى . وكيف أن المحامين حاولوا انتزاع الكنز الذى عثر عليه.

وقال صاحب الحانة: "عندما وجدوا أنه ليس بمقدورهم إثبات مال من هــذا . شعرت بالسعادة وخصوصا أنهم لم يحاولوا إثبات أنى مكتشف هذا الكنز الرائع ! ولست أدرى هل أبدو كشخص اكتشف كنزا! ثم أعطانى أحد السادة جنيها ذهبيًا كل ليلة لكى أروى القصة بقاعة " الإمباير ميوزيك" . "فقط أقص الوقائع بتعبيراتى وكلماتى أنا باستثناء أمر واحد"

وإذا أردت إيقـاف السـيل المتـدفق لحكايتـه هذه فـجـأة، يمكنك أن تفعل ذلك بأن تسأله هل كانت هناك ثلاث مـخطوطات فى سياق القصـة. وهو يعترف بوجود تلك المخطوطات. ويستطرد مكملاً وشارحًا ومؤكداً كلامه بالقسم، أن كل الناس يعتقـدون أنه يحتفظ بها، والحقيقة أنها ليـست بحـوزته ! وعلى حـد قـوله : .. والذى حـدث أن الرجل الخـفى أخـذها لكى يخيفـها، عندمـا فررت إلى "بورت ستو"، ثم أوهم السيـد (كمب) الناس بفكرة أن المخطوطات معى." ويصمت الرجل مستغرقا فى التفكير ويأخذ فى تأملك بنظرات مـختلسة ثم يعبث بأصـابع عصبيـة فى نظاراته، ولا يلبث أن يغادر البار لقد فضل أن يظل عزبا، إذا لم ترق لة النسـاء قط. ولا توجد إمـرأة واحدة تعمل لديه ، ويبـدو لأول وهلة رجـلا كتومـا . و هو أمر متوقـع من رجل مثله. ولكن فى خصوصيـاته الهامة – مـثل إدارة شـئون العـمل – فـإنك تجـده رجـلا عمليا مـحنكا . وهـو يدير حانته بدون إتباع تعليمات ولوائح عديدة، وإنما بالذوق واللباقة والكياسة. وعلى الرغم من بطء حركتة، فإنة مفكر لا يستهان به ، كما أنه أشتهر فى القرية كلها بحكمتة وبخله الشديد. أما معرفته بطرق ومسالك جنوب إنجلترا، فقد تفوق فيها على أشهر الخبراء فى هذا المجال.

وفى صباح كل يوم أحد على مدار العام بأكمله ، يقوم بغلق حـانته بالنسبة إلى العالم الخارجى . وكل ليلة بعد العاشرة مساء ، ويذهب إلى

قاعة البار حاملا كأسا زجاجية من " الجن"(*) الممزوج بقليل من الماء وبعد أن يضع الكأس يوصد الباب ويتأكد من إغلاق ستائر النوافذ، بل أنه يفتش أيضاً تحت المنضدة.و عندما يوقن بأنة وحيد تماماً يفتح الخزانة ومن أحد أدراج صندوق بداخلها، يخرج ثلاثة كتب مكتوبة بخط اليد ومجلدة بجلد بنى اللون، ويضعها بحرص بالغ فوق منتصف المنضدة.

وقد أصبحت أغلفة تلك الكتب متهالكة ومتآكلة وتغير لونها – بتأثير الطحالب، إلى اللون الأخضر. ذلك أنها وضعت ذات مرة مؤقتا فى حفرة بالأرض. كما طمست بعض صفحات الكتب بسبب المياة القذرة. وعادة يجلس صاحب الحانة على مقعد بمسندين، ويأخذ – متمهلاً – فى ملء غليونه الطويل بالتبغ، بينما يتأمل لبرهة الكتب الثلاثة التى أمامه فى إعجاب. ثم يجذب أحدها ناحيته ويفتحه ويبدأ فى دراسته وتقليب صفحاته إلى الأمام وإلى الوراء، باهتمام بالغ ثم يقطب ما بين حاجبيه وتتحرك شفتاه بصعوبة: "عجبا ! إن المكتوب هذا يدل على أنه رجل غريب ولكنه يتمتع بالذكاء الخارق!"

وسرعان ما يسترخى فى جلسته ويسند ظهره إلى الوراء، ويحدق فى الدخان المتصاعد منه فى أرجاء الغرفة، باتجاه أشياء خفية لا يراها

(*) خمر قوية . (المترجم)

الأخرون ثم يستطرد قائلا: "....إن الحياة مفعمة بالأسرار... ويا لها من أسرار رائعة" صمت قليلا ثم أردف: "... بمجرد أن أتمكن من السيطرة على هذه الأسرار.. يا إلهى! ولن أفعل كما فعل الرجل الخفى ! بل إننى سوف .. حسنًا " ثم سحب نفسًا عميقًا من غليونه . الرجل فى حلم، هو حلم حياتة الرائع الذى لا ينتهى أبدًا. وعلى الرغم من أن (كمب) أخذ يبحث وينقب دون توقف. وطرح (أداى) عليه . أسئلة صعبة ؛ فإن أى إنسان لا يدرى – بخلاف صاحب الحانة – أن تلك الكتب موجودة فى حوزته ، وبها السر العجيب للاختفاء، وعشرات من الأسرار الغريبة الأخرى المكتوبة فيها، ولن يستطيع أى إنسان أن يعرف شيئا عنها إلا بعد موت صاحب الحانة.

المؤلف فى سطور:

هـ . ج. ويلز (١٨٦٦ - ١٩٤٩)

- ولد (ويلز) فى (بروملى) بمقاطعة (كنت) بإنجلترا .

- عمل بالتدريس والصحافة .

- يعد من الرواد الحقيقيين لأدب الخيال العلمى، كما أنه كاتب ذو مواهب متعددة، تكاد تتنافس مع بعضها البعض، فهو مؤلف لقصص الخيال العلمى وروائى اجتماعى وإنسان مجادل قوى الحجة، وشخص يجيد التنبؤ بالمستقبل والتحذير من العوائق المحتملة، كما أنه مؤرخ للبشرية .

- من أشهر رواياته (آلة الزمن) عام ١٨٩٥، (جزيرة د. مورو) عام ١٨٩٦ و(الرجل الخفى) عام ١٨٩٧ و(حرب العوالم) عام ١٨٩٨ و(أول بشر على القمر) عام ١٩٠١ . وكان تأثير الكتب فوريا، إذ سرعان ما حصل على التهنئة والثناء كمفكر عبقرى . وتعكس معظم هذه الروايات آراء (ويلز) فى الثورة العلمية والتصدى للنفاق الاجتماعى والبحث عن العدالة الاجتماعية .

- تحولت أفكار (ويلز) إلى الجوانب الاجتماعية والسياسية فى الحياة، واتضح ذلك فى سلسلة كتبه الطويلة، التى بدأت بكتاب (توقعات) عام ١٩٠١ و(اكتشاف المستقبل) عام ١٩٣٢ و(مدينة فاضلة حديثة) . ونجده فى هذه الكتب - إلى جانب تصويره المبدع للمستقبل - يضمنها بعض النبوءات الاجتماعية ووجهة نظره الشاملة المريرة للمجتمع الإنجليزى فى ذلك الوقت .

- وبعد عام ١٩٠١، كانت وسيلة (ويلز) الرئيسية هى "رواية الأفكار"، وهى خلاصة من رواية شبه سيرة ذاتية والظروف المتغيرة للعلاقات بين الرجل والمرأة . وتعد (مكيافللى الجديد) أول رواية له والأفضل فى هذا المجال، تليها فى الشهرة (السيد بريتلنج ثاقب البصر) التى نشرت فى ذروة الحرب العالمية الأولى . وابتكر (ويلز) شعار "الحرب التى سوف تنهى الحرب"، وأصبح مهتمًا للغاية بصنع السلام، وإنشاء سلطة عالمية لتجنب الصراعات المستقبلية بين الدول . وعندئذ عاد ببساطة إلى دور المعلم والمربى، وكتب سلسلة من الكتب التعليمية الموسوعية، حيث بدأها بكتاب (ملخص تاريخ العالم) الذى يعد من أشهر كتبه . وبصدور هذا الكتاب وصل (ويلز) إلى قمة شهرته ومجده .

المترجم فى سطور:

رءوف وصفى صبحى

- ولد فى القاهرة .

- عمل بالتدريس بجامعات مصر والعراق والكويت .

- نال جائزة تبسيط العلوم – أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا . وجائزة الثقافة العلمية – أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا . وجائزة مؤسسة هانز زايدل الألمانية .

- عضو اتحاد الكتاب .

- عضو لجنة الثقافة العلمية – المجلس الأعلى للثقافة .

- ترجم العديد من الكتب العلمية، وفى مجال الخيال العلمى منها :

"الروبوت" و"الحاسب الآلى" و"كوكب الأرض" و"مذنب هالى" (مؤسسة الكويت للتقدم العلمى) ومسرحيات من الخيال العلمى (وزارة الإعلام – الكويت) . وقام بترجمة كتاب "ثلاث رؤى للمستقبل"، و"حرب العوالم" للمركز القومى للترجمة . كذلك ترجمة مقالات علمية بمجلة الثقافة العالمية .

- شارك فى العديد من الندوات منها "ندوة الخيال العلمى" . وقام بإعداد البرنامج التليفزيونى "سؤال جواب" وتقديمه بتليفزيون الكويت، و"الخيال العلمى" (إذاعة الكويت) .

- نشرت مقالاته وقصصه فى عدد كبير من الصحف والمجلات العربية، منها جريدة الأهرام وجريدة الأخبار ومجلة العلم (مصر)، ومجلة العربى الكويتية ومجلة "التقدم العلمى" مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، ومجلة "دبى الثقافية" الإمارات .

- أحد رواد أدب الخيال العلمى والثقافة العلمية بالوطن العربى .

- حاصل على شهادة تقدير من نقابة العلميين .

التصحيح اللغـوى : **عبد الرحمن طعمة**
الإشـــراف الفنـــى : **حسن كامل**